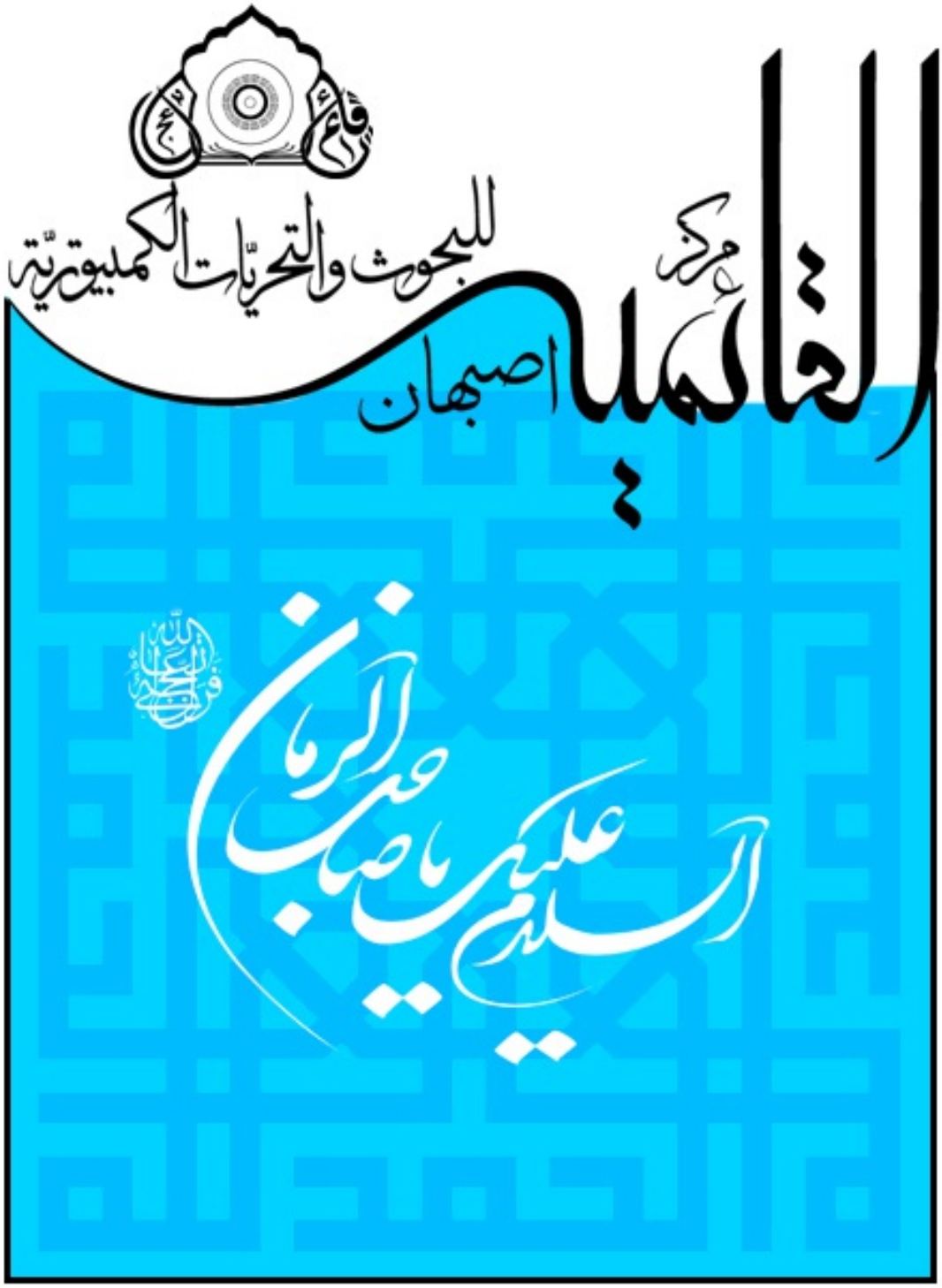

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مسابقة الجوار

من أجل الوفاق ومعرفة الحقيقة

القاضي أحمد حسين يعقوب

الغدير

بسم الله الرحمن الرحيم

مساحه للحوار من اجل الوفاق و معرفه الحقيقه

كاتب:

احمد حسين يعقوب اردنى

نشرت فى الطباعة:

الغدير

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
مساحه للحوار من اجل الوفاق و معرفه الحقیقه ----- ۷
اشارة ----- ۷
کلمة المرکز ----- ۷
قصة تألیف الکتاب: شکوی صدیق ----- ۷
مفهوم الشیعة والتشیع ----- ۸
اشاره ----- ۹
معنی کلمة شیعة ----- ۹
معنی کلمة شیعة فی السیاق التاریخی ----- ۱۲
تدبیر النبی و تدبیر الشیع العربیة ----- ۱۵
شیعة أهل بیت النبوة: تکون و فرق ----- ۱۸
الإمامة بعد وفاة النبی ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
التنکر لنصوص الإمامة ----- ۳۰
النصوص الشرعیة الدالة علی خلافة علی و إمامته ----- ۳۷
عقیدة کل من الشیعة والسنة فی جمع القرآن الکریم، و ذات رسول الله والأئمة من بعده، و مصادر التشریع ----- ۴۰
اشاره ----- ۴۰
عقیدة أهل بیت النبوة و شیعتهم فی جمع القرآن الکریم ----- ۴۱
عقیدة أهل بیت النبوة و شیعتهم فی رسول الله محمد والأئمة من بعده ----- ۴۴
نظریة عدالة الصحابة ----- ۴۸
نظریة عدالة الصحابة عند الخلفاء و شیعتهم ----- ۴۸
الصحابة والصحبة فی مفهوم أهل بیت النبوة و شیعتهم ----- ۶۴
التقیة والمتعة فی الإسلام و عند شیعة أهل بیت النبوة ----- ۶۷

التقیة ----- ۶۷
المتعة فی الإسلام و عند شیعة أهل بیت النبوة ----- ۷۰
الاختلافات الفقهیة بین شیعة أهل بیت النبوة، و شیعة الخلفاء (أهل السنة) ----- ۷۴
الوضع الأمثل و بذور الاختلاف ----- ۷۴
محاولة لتقدیم الإسلام فی جو الخلاف والاختلاف ----- ۷۷
نماذج من الخلاف والاختلاف بین المسلمین ----- ۸۲
الدعوة إلی وحدة المسلمین ----- ۸۷
اسباب الخلاف والاختلاف ----- ۸۷
منهاج دولة البطون التربوی والتعلیمی ----- ۹۰
من هم المراجع بعد الصحابة و سقوط دولة البطون ----- ۹۵
پاورقی ----- ۱۰۶
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۱۵

مساحه للحوار من اجل الوفاق و معرفه الحقيقه

اشارة

سرشناسه : یعقوب اردنی، احمدحسین، - ۱۹۳۹

عنوان و نام پدیدآور : مساحه للحوار من اجل الوفاق و معرفه الحقیقه/ احمدحسین یعقوب

مشخصات نشر : بیروت : الغدیر، ق۱۴۱۸ = .م۱۹۹۷ = .۱۳۷۶.

مشخصات ظاهری : ص ۲۸۷

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس

موضوع : شیعه -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

موضوع : رهبری (اسلام)

موضوع : وحدت اسلامی

موضوع : امامت

رده بندی کنگره : BP۲۱۲/۵/ی۷م۵ ۱۳۷۶

شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۷۸۳۸

کلمة المرکز

فی مساحة تتسع للأنا وللآخر المتعدد، یسعی الباحث أحمد حسین یعقوب إلی الحوار، وإن کان محاوره یقول: (وبالرغم من سعة صدری وتسامحی إلا أن مجرد ذکر کلمة (شیعة) کاف لإثارة حنقی ونفوری حتی لکأننی مسکون فی لا شعوری بکراهیة الشیعة والتشیع...). یسعی الباحث إلی الحوار ممتلکاً عدة من سعة الإطلاع وحسن استیعاب الفکر السیاسی: قدیمه وحدیثه، ورغبة فی معرفة الحقیقة وجعلها بدیلاً من الکره الکامن فی اللاشعور وطریق هدایة إلی الصواب فی عالم معقد اختلطت فیه الأمور وضاع الهدی. یتفق أحمد حسین یعقوب ومحاوره: صدیقه المثقف السنی أن یعقدا عدة جلسات یجریان فیها الحوار الفکری، فیقدم المحاور، فی الجلسة الأولی سلسلة متماسکة من الأسئلة حول موضوع معین، فیحمل هذه الأسئلة، لیضع فی مدة کافیة إجابات موثقة عنها، ثم یقدم هذه الإجابات إلی محاوره، یقرأها هذا، ویعود لیقدم طائفة جدیدة من الأسئلة، وهکذا دوالیک إلی أن یتم الوفاق علی أحد أمرین: إما أن یبقی الصدیق أسیراً لما سماه (السکن اللاشعوری) أو تتغیر نظرته ومشاعره فیجد فی التشیع طریق الهدی. وهذا ما کان، فتم الحوار... صاغ الصدیق أسئلة تتعلق بسبع قضایا أساسیة هی: ۱ - مفهوم الشیعة والتشیع ومسار تکونه التاریخی، وانتشاره. ۲ - الإمامة بعد وفاة النبی، وطبیعة الخلاف الذی حدث فی هذا الصدد جعل المسلمین فرقاً، وحجج کل فریق النصیة والاجتهادیة. ۳ - مصادر التشریع، وما یتصل بها من جمع القرآن الکریم وذات رسول الله (ص) والأئمة (ع). [صفحه ۶] ۴ - نظریة عدالة الصحابة. ۵ - التقیة والمتعة فی الإسلام، وعند شیعة أهل بیت النبوة. ۶ - الاختلافات الفقهیة بین شیعة أهل بیت النبوة وشیعة الخلفاء (أهل السنة). ۷ - الدعوة إلی وحدة المسلمین. وقد أجاب الباحث عن هذه الأسئلة إجابات موثقة، وجری حوار معمق بشأنها أدی إلی وفاق علی أمر نترک للقارئ أن یتوصل إلیه من خلال المشارکة فی هذا الحوار الموضوعی المعمق الهادف إلی تحقیق وحدة أساسها المعرفة، فعسی أن یهدینا الله إلی ذلک، وهو نعم المولی ونعم النصیر. مرکز الغدیر للدراسات الإسلامیة بیروت [صفحه ۷]

قصة تألیف الکتاب: شکوی صدیق

قال صديقي: إنك تعلم أنني رجل من أهل السنة، وقد ورثت هذا التصنيف وراثة. وتعلم، أيضاً، أنني رجل منفتح الذهن والعقل، وقد اطلعت على الخطوط العريضة للفكرين: الرأسمالي التحرري والاشتراكي الشيوعي، وأحطت بنظرية الحكم في الإسلام حسب رأي أهل السنة. وتعلم كذلك أنني متسامح وديمقراطي أؤمن بالرأي والرأي المعارض، ويتسع صدري لتعدد الآراء، وتعدد الرسالات، فيمكنني التعايش مع المسلمين واليهود والنصارى والمجوس وأتباع الأحزاب الدينية والقومية وحتى الشيوعية. ولا أشعر بالغرابة لهذا التعدد الهائل في المجتمع نفسه، ولا ينتابني أي إحساس بالتعصب. وبالرغم من سعة صدري وديمقراطيتي وتسامحي إلا أن مجرد ذكر كلمة (شيعة) كاف لإثارة استغرابي وحنقي ونفوري، حتى لكأنني مسكون في (لا شعوري) بكراهية الشيعة والتشيع! الرغبة في المعرفة ومضى صديقي يقول لي: وعند ما قرأت كتابكم القيم (نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية في الإسلام)، وكتابكم الآخر (النظام السياسي في الإسلام)، تكونت عندي رغبة جامحة في معرفة حقيقة الشيعة والتشيع، وأحسست بتأنيب الضمير، وتمنيت لو يرشدني الله تعالى إلى رجل خبير ب (التسنن والتشيع) ليريح ضميري، ويشبع رغبتي في معرفة الحقائق. وعندما قرأت كتابكم (مرتكزات الفكر السياسي)، وتتبعت مقارناتك الموضوعية والفذة التي أجريتها بين الإسلام والرأسمالية والماركسية الشيوعية، وثقت بسعة اطلاعك وحسن استيعابك للفكر السياسي: قديمه وحديثه، فقدرت في ذهني أنك الأردني الوحيد القادر على إشباع [صفحه ۸] رغبتي الجامحة في معرفة حقيقة الشيعة والتشيع، وتذكرت ما بيننا من الصداقة وأنك لن تحول بيني وبين الوقوف على الحقيقة المجردة ل (الشيعة والتشيع)، لأن الوقوف على هذه الحقيقة مكسب ديني ودنيوي معاً، ومن الممكن أن يكون طريقه هداية وإرشاد إلى الصواب في عالم معقد ضاع فيه الهدى والصواب، واختلطت فيه الأوراق. خطة الحوار واتفقت مع صديقي المثقف السني على أن نقعد عدة جلسات نجري فيها الحوار الفكري البحت، فيقدم لي، في الجلسة الأولى، سلسلة متماسكة من الأسئلة حول موضوع معين فأحمل هذه الأسئلة وأنقطع عنه مدة كافية للإجابة عنها وتوثيق هذه الإجابة، حتى إذا ما فعلت ذلك اجتمعنا، فيقرأ إجاباتي عن أسئلته وتساؤلاته، ثم يسلمني طائفة جديدة من أسئلته لأتولى الإجابة عنها، وتقديمها له في جلسة لا حقة وهكذا دواليك حتى ينتهي صاحبنا من تساؤلاته! واحتفظ صاحبي لنفسه بحق التعقيب على الأجوبة إن لم يكن مقتنعاً، وقدر أنه، من خلال الأسئلة والأجوبة سيقف في نهاية المطاف على حقيقة (التشيع) و (الشيعة) وماهية كل منهما، فيبقى أسيراً لما سماه (السكن اللاشعوري) أو ستتغير نظرته ومشاعره، فيجد في التشيع طريق الهدى. وقد اقتصر دوري على الإجابة عن أسئلة صديقي المركزة على موضوع الحوار. الحوار في كتاب واقترح صديقي، بعد انتهاء جلسات الحوار، أن تجمع تساؤلاته كما هي، وأجوبتي عنها من دون زيادة ولا نقصان، وتطبع في كتاب، اقترح أن نسميه: (ثم وقفت على حقيقة الشيعة) مع الإشارة إلى أن الكتاب كان ثمرة حوار بين صديقين أحدهما سني والآخر شيعي. وافقت على هذا الاقتراح. وبعد قرابة سنة، جاء صديقي السني وطلب جميع أوراق أسئلته فأعطيتها له، فوضع أجوبة كل طائفة من [صفحه ۹] التساؤلات خلفها في مدة لا تزيد على ساعة من الزمن، ثم تناول ورقة بيضاء وكتب العنوان الذي اقترحه، وطلب مني أن أسلم هذا الكتاب لإحدى دور الطباعة والنشر. ثم تناول يدي وشد عليها وعيناه تفيضان بالدمع، وقال لي بصوت تخنقه العبرات: ليشهد الله وملائكته وأشهد على أنني مع أهل بيت النبوة، ومع بني هاشم. لقد اقتنعت بعدالة قضيتهم، وعرفت حجم الظلم الذي لحق بهم! وأتمنى لو كنت معهم في جميع المشاهد لأفدينهم بدمي وروحي. فقلت لصاحبي: لقد اهتديت حقاً، ومن دون إعداد جرى على لساني قوله تعالى: (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) [مريم / ۷۶]. هذه هي القصة الكاملة لتأليف هذا الكتاب ومن خلال الأسئلة والأجوبة يمكنك حقاً أن تقف على حقيقة التشيع والشيعة. وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على رسوله الأمين محمد وعلى آله الذين اصطفى من عباده. المحامي أحمد حسين يعقوب جرش الأردن ۱۵ رمضان ۱۴۱۷ هـ ۲۴ / كانون الأول / ۱۹۹۷ م [صفحه ۱۲]

مفهوم الشيعة والتشيع

اشاره

الطائفهٔ الأولی من الأسئلهٔ قال صدیقی السنی: هل تبین معنی (الشیعهٔ) و (التشیع) فی اللغهٔ وفی القرآن الکریم وفی السنهٔ النبویهٔ الشریفهٔ ; وتطلعنی علی المفهوم التاریخی لمصطلح (الشیعهٔ)، ثم تبین لی حقیقته وکیف انتشرت ظاهرهٔ التشیع فی المجتمعات البشریهٔ بعامهٔ والمجتمع الإسلامی بخاصهٔ؟ وأرید أن تجذر لی هذا المصطلح فی الواقع التاریخی. وهل لدیک علم عن حکم النبی فی هذا التجذیر؟ وهل أخذت کلمهٔ الشیعهٔ معنی خاصاً ومتی؟ وما هو سبب النفور العام، لدی الأغلبیهٔ الساحقهٔ من المسلمین، من کلمهٔ شیعهٔ؟ وهل للشیعهٔ فرق کثیرهٔ وما هی؟ طلب المهلهٔ والموافقهٔ تسلمت ورقهٔ الأسئلهٔ من صاحبی، وطلبت منه أن یمهلنی بضعهٔ أشهر للإجابهٔ عنها. ووعدته بتقدیم الإجابات علی شکل بحث فوافق. وبعد ثلاثهٔ أشهر وضعت الأجوبهٔ التالیهٔ بین یدیه، وطلبت منه أن یقرأها وأن یعقب علیها إذا أراد، أو یقدم طائفهٔ جدیدهٔ من تساؤلاته. [صفحه ۱۳]

معنی کلمهٔ شیعهٔ

المعنی اللغوی کلمهٔ شیعهٔ، لغهٔ، وعلی العموم، تعنی: الفرقهٔ، أو الجماعهٔ من الناس [۱] ، التی یجتمع أبناؤها علی أمر واحد، ویتبع بعضهم رأی بعض [۲] ، وهم متشابهون فی آرائهم وأمورهم وموالاتهم [۳] . وإذا أضیفت کلمهٔ (شیعهٔ) لرجل کقولک: شیعهٔ فلان، أو لرأی کقولک: شیعهٔ هذا الرأی فإنها تعنی: الأصحاب أو الأتباع أو الأعوان أو الأنصار أو المؤیدین [۴] . فالشیعهٔ، لغهٔ: جماعهٔ، أو فئهٔ، من الناس متجانسهٔ، ومتمیزهٔ عن غیرها، من جماعات المجتمع وفئاته بقیادتها وفکرها ورأیها وأسلوب عملها. وهی بمثابهٔ الحزب الواحد، له هدف یسعی لتحقیقه وفکر یسعی إلی نشره وتعمیمه. المعنی فی القرآن الکریم نزل القرآن الکریم بلسان عربی مبین. وعند نزوله، کانت اللغهٔ العربیهٔ هی اللغهٔ السائدهٔ فی قاعدهٔ الإسلام الأولی، وکانت معانیها قد استقرت. فاستعمل القرآن الکریم کلمات هذه اللغهٔ لإیصال ما أراد إیصاله من المعانی والأفکار للناس. وکان رسول الله، بالضرورهٔ والواقع، أفصح العرب، وأقدر من تکلم العربیهٔ، وقد تولی بنفسه قراءهٔ القرآن الکریم وبیانه للناس. ولأن کلمهٔ شیعهٔ کانت [صفحه ۱۴] مستقرهٔ المعنی، فقد أرسلها القرآن الکریم إرسال المسلمات، وهکذا فعل الرسول لأنها فی مرتبهٔ من الوضوح لا تحتاج إلی توقف خاص وإیضاح. وورد لفظ (شیعهٔ) فی القرآن الکریم مرهٔ واحدهٔ، ولفظ (شیعته) ثلاث مرات، ولفظ (شیع)، جمع شیعهٔ، خمس مرات، ولفظ (أشیاعکم) مرهٔ واحدهٔ، ولفظ (بأشیاعهم) مرهٔ واحدهٔ. فیکون القرآن قد استعمل کلمهٔ شیعهٔ واشتقاقاتها المذکورهٔ إحدی عشرهٔ ومن خلال هذه الاستعمالات أبرز العناصر الأساسیهٔ لمعنی الکلمهٔ لغهٔ واصطلاحاً. وجاءت استعمالات القرآن الکریم لها بالمعنی الذی أراد تأکیداً علی استقراره، وعلی الوحدهٔ بین المعنیین اللغوی والاصطلاحی. قال تعالی: ۱ -... (ثم لننزعن من کل شیعهٔ أیهم أشد علی الرحمن عتیاً) [مریم / ۶۹]. وقد أجمع المفسرون علی أن کلمهٔ شیعهٔ، الواردهٔ فی هذه الآیهٔ، تعنی فئهٔ، أو جماعهٔ، أو حزباً أو فرقهٔ أو طائفهٔ من الناس شاع أمرها وتمیزت من غیرها. ۲ - (... فوجد فیها رجلین یقتتلان هذا من (شیعته) وهذا من عدوه فاستغاثه الذی من شیعته...) [القصص / ۱۵] کان المجتمع المصری، فی عهد فرعون، مجتمعاً واحداً شکلیاً، ولکنه کان، واقعیاً، منقسماً إلی مجموعهٔ کبیرهٔ من الفرق أو الجماعات أو الطوائف أو الأحزاب أو الشیع، بدلیل قوله تعالی عن فرعون (وجعل أهلها شیعاً) [القصص / ۴] فاستعمل القرآن الکریم کلمهٔ (شیعته) للتعبیر عن حالهٔ بنی إسرائیل فی مصر، فقد کانوا شیعهٔ أو فرقهٔ متمیزهٔ من الفرق أو الشیع أو الجماعات أو الأحزاب الأخری التی تکون المجتمع المصری. فأمر الإسرائیلیین واحد، ورأیهم واحد ویتبع بعضهم بعضاً، ویوالی بعضهم بعضاً ولهم قیادهٔ أو وجاههٔ واحدهٔ ویواجهون معاً محنهٔ واحدهٔ. فعبر القرآن الکریم عن هذه الجماعهٔ الإسرائیلیهٔ بکلمهٔ (شیعهٔ). ۳ - بعد أن استعرض القرآن الکریم ملامح المواجههٔ بین نوح وقومه وبین نهایتها. وربطاً للماضی بالحاضر قال تعالی: (... وإن من شیعته لإبراهیم) [صفحه ۱۵] [الصافات / ۸۳] ومن معانی هذه الآیهٔ أن نوحاً علیه السلام، کان یقود فرقهٔ أو جماعهٔ أو حزباً أو شیعهٔ (الشیعهٔ المؤمنهٔ) متمیزهٔ بفکرها

وقيادتها وأمرها ورأيها من غيرها من فرق المجتمع الذى عايشه نوح وجماعته وأحزابه. ويعنى أن إبراهيم آمن بفكر هذه الجماعة المؤمنة ورأيها، وسار فى خطها ما جعله امتداداً لنوح، وجعل الجماعة أو الشيعة الإسرائيلية امتداداً لشيعته. لذلك فإن نوحاً ومن اتبعه وإبراهيم ومن اتبعه يشكلون، معاً، شيعة أو فرقة أو جماعة متميزة عن غيرها من فرق وجماعات أى مجتمع من المجتمعات، فطوال التاريخ البشرى وجدت جماعة أو فرقة أو شيعة مؤمنة لها أمرها الإيمانى المميز، يقودها بالتتابع رجال مميزون قاموا بأمر الله تعالى. ۴ - (... ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون) [الحجر / ۱۰ و ۱۱]. لقد بين الله تعالى موقف المجتمعات البشرية من رسلها، ووصف تلك المجتمعات ب (الشيع): جمع شيعة، لأن كل مجتمع من تلك المجتمعات كان فى حقيقته منقسماً على ذاته، ومقسماً إلى مجموعة كبيرة من الفرق أو الجماعات أو الطوائف أو الأحزاب المتنافسة. وبالرغم من حالة التمزق والإختلاف التى ألقت أجرانها فى كل مجتمع إلا- أن (شيعة) قد أجمعت على تكذيب الرسل والاستهزاء بهم، لأن الرسل يملكون الحقيقة، والجواب اليقينى لكل سؤال، فإذا سطعت الحقيقة وعرفها الجميع، فستذوب تبعاً لذلك كيانات الشيع، وتخسر مكاسبها الناتجة عن التمزق والإختلاف، وهذا هو السر فى وحدة طوائف (شيع) كل مجتمع من رسله. ۵ - (... أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض) [الأنعام / ۶۵]. بين القرآن الكريم أن انقسام المجتمع الواحد إلى شيع متعددة تحت شعار البحث الزائف عن الحقيقة وبدافع خفى لتحقيق مصالح فردية أو فئوية، والإصرار على تجاهل الشيعة المؤمنة، وقيادتها الشرعية المميزة التى تملك الحقيقة، كل ذلك يشكل مظهراً من مظاهر الدمار، ونذير عذاب سيحل بالمجتمع عاجلاً أم [صفحه ۱۶] آجلاً. وقد تهلك شيع المجتمع بعضها بعضاً، عند ما يتوافر واقع (التلبيس) وبهلاك هذه الشيع تتم عملية التبديل الاجتماعى التى عبر عنها القرآن الكريم بقوله: (يستبدل قوماً غيركم) [التوبة / ۳۹]. ۶ - (... إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شئ) [الأنعام / ۱۵۹] إن انقسام المجتمع إلى شيع أو فرق أو جماعات أو أحزاب غير مقبول، إطلاقاً فى الموازين الإلهية، لأنه يتناقض مع الأمر الإلهى، ومع الغاية من الاجتماع البشرى ; والمنخرطون فى صفوف الشيع، وقادتهم لا- يلتقون مع الرسول أى رسول تحت أى شعار لأن نهجهم وخطهم مختلفان بالكامل عن منهج الرسول وخطه. ۷ - (... إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً) [القصص / ۴] سلمت البشرية بسوء نمط حكم فرعون وبشاعة أساليبه، وأبرزها رعيته إلى مجموعة من الشيع أو الفرق أو الجماعات أو الأحزاب وتسليطه شيعة، أو مجموعة من الشيع، على شيعة أو مجموعة أخرى من الشيع، وأخذ يدير الصراع على طريقته. ۸ - (... ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) [الروم / ۳۱ و ۳۲] تقسيم المجتمع إلى شيع أو جماعات، أو أحزاب متنافرة صفة بارزة من صفات المشركين، ونمط بارز من أنماط إدارتهم للمجتمع. ۹ - (ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر) [القمر / ۵۱] الخطاب موجه إلى شيع مكة ومن حولهم من شيع القرى الذين أجمعوا على تكذيب رسول الله، تماماً كما فعلت شيع الجمتمعات البشرية السابقة مع رسلها. ۱۰ - (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل...) [سبأ / ۵۴] وشيع مكة، ومن حولها من شيع القرى، هم المعنيون بالخطاب، (كما فعل بأشياعهم)، أى بأمثالهم وأشباههم من شيع المجتمعات السابقة التى كذبت الرسل. [صفحه ۱۷] هل الشيع هى الأحزاب فى القرآن الكريم؟ ۱ - نلاحظ أن ألفاظ (شيعه وشيعته وشيع وأشياعكم وبأشياعهم) قد وردت، فى القرآن الكريم، إحدى عشرة مرة، وأن لفظ (الأحزاب) قد تكرر، فى القرآن الكريم، إحدى عشرة مرة أيضاً. ومن المؤكد أن هذا التطابق العددى ليس مصادفة بل له دلالة. ۲ - ونلاحظ، أيضاً، أن الله، تعالى، قد عرف المجتمعات التى كذبت الرسل واستهزأت بهم ب (الشيع) بقوله: (ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الأولين) [الحجر / ۱۰] وعرف هذه الشيع بأنها أحزاب وأبرز وحدة العلة بقوله: (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) [ص / ۱۲ و ۱۳ و ۱۴]. ۳ - وقال تعالى، مخاطباً، شيع مكة ومن حولها من شيع العرب (ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر) [القمر / ۵۱] فشيع العرب الذين كذبوا الرسول هم على شاكلة شيع الأولين، وعند ما وحدت الشيع العربية نفسها، وجيشت أكبر جيش لها، وغزت الرسول فى غزوة الخندق، فوصفها الله تعالى بأنها أحزاب فقال: (ولما رأى المؤمنون الأحزاب...) [الأحزاب / ۲۲]

(يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب...) [الأحزاب / ۲۰]. ۴ - ثم إن الشيع العربية كانت من جملة المشركين الذين عناهم تعالى بقوله: (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) [الروم / ۳۱ - ۳۲] وهذا يعنى أن كل شيعة من هذه الشيع المتفرقة هى بمثابة حزب حقيقى له قناعاته وذاتيته التى تميزه عن غيره من الشيع أو الأحزاب ومن يتمعن فى الآيات التى وردت فيها كلمة شيعة ومشتقاتها، وفى الآيات التى وردت فيها كلمة أحزاب يجد أن الفوارق بين مصطلحى الشيع والأحزاب تكاد تكون معدومة. الشيعة المؤمنة فى القرآن الكريم أشار القرآن الكريم، بصراحة تامة، إلى وجود شيعة مؤمنة قادها نوح عليه السلام، ونص على أن إبراهيم الخليل كان من شيعة نوح. وباستقراء القرآن [صفحه ۱۸] الكريم تجد أن الشيعة المؤمنة كانت موجودة طوال التاريخ البشرى، فلم يخل مجتمع بشرى قط من شيعة مؤمنة بغض النظر عن القلة أو الكثرة. فقد كانت الشيعة المؤمنة، بالضرورة، متميزة، فى كل مجتمع، بقيادتها وبفكرها الذى يمثل الأمر الإلهى. وكانت الشيعة المؤمنة، دائماً، هى الفرقة الناجية من العذاب الإلهى، والوارثة والقائمة بأمر الله تعالى، لقد جهر كل داع بدعوته فى مجتمع منقسم على نفسه ومقسم إلى مجموعة من الفرق أو الجماعات أو الأحزاب أو الشيع لتتنافس فى ما بينها. وبالرغم مما بين هذه الشيع من تناقضات، إلا أنها كانت تتخذ من رسولها موقفاً موحداً فتجمع على تكذيبه، باعتباره خطراً يهدد نظام المجتمع كله. ويغرى موقف الشيع الموحد هذا أغلبية أفراد المجتمع فيؤيدونه، ويشاركون الشيع بتكذيب الرسول، ويتنافسون فى إظهار العداوة له. هذا شأن الأكثرية الساحقة من أبناء المجتمع. وتتبع الرسول أقلية قليلة من أبناء ذلك المجتمع فيؤمنون به كرسول وكولى لهم، ويتمسكون بالتعاليم الإلهية التى بشر بها، وهكذا يكون الرسول ومن اتبعه عملياً شيعة مؤمنة لها قيادتها وأمرها وفكرها وتتميز من غيرها لأن شيع المجتمع جميعها الأغلبية الساحقة من أفراده قد أجمعوا على تكذيب الرسول ومحاصرته، وأصروا على إجهاض دعوته وإفشالها. لذلك وجدوا أن أتباع هذه الأقلية للرسول يشكل تحدياً لإرادة المجتمع وخروجاً صارخاً على نظامه ونواميسه، لذلك صب المجتمع جام غضبه على هذه الأقلية المؤمنة، وسخر وسائل إعلامه لتشويه سمعتها والتشنيع عليها، واختلاق الأكاذيب والتهم ضدها. وقد تتمادى قيادة المجتمع فتعذب أفراد الشيعة المؤمنة، أو تتخذ من الإجراءات ما يجعل حياة أفرادها فى منتهى العسر والضيق. وهكذا يتمكن المجتمع، بقوته ونفوذه ووسائل إعلامه، من عزل الشيعة المؤمنة وقيادتها وتهميش دورها، وتجريدها من جميع الحقوق السياسية التى تتمتع بها بقية الشيع. وينجح المجتمع فى خلق رأى عام نافر من كل ما يتعلق بالشيعة المؤمنة، وتنفلق جميع قنوات الاتصال الاجتماعى والفكرى معها، وينظر إلى أبنائها بوصفهم مجموعة من الأراذل الذين لا وزن لهم ولا قيمة. هذا هو وضع الشيعة المؤمنة فى جميع المجتمعات التى كذبت الرسل [صفحه ۱۹] كلمة شيعة فى السنة النبوية استعمل الرسول الأعظم كلمة شيعة، فى حديثه، لتدل على المعنى الذى حددت معالمه اللغة وأبرزه القرآن الكريم فقد نقل السيوطى عن ابن عساكر أن الرسول قال لأصحابه يوماً: (والذى نفسى بيده إن هذا - يعنى علياً بن أبى طالب - وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة) [۵] ونقل السيوطى، فى درره، عن ابن مردويه أن رسول الله فسر لعلى بن أبى طالب آية (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) [البينة / ۷] بقوله لعلى: (هم وأنت وشيعتك). وأخبر رسول الله علياً أمام الصحابة: (بأنه سيقدم على الله وشيعته راضيين مرضيين) [۶] وذكر ابن حجر فى الصواعق: - ۱ - أن رسول الله فسر آية (أولئك هم خير البرية) بعلى وشيعته [۷] . ۲ - وقد استعمل الرسول كلمة (شيع) (جمع شيعة) فبعد أن بين لأصحابه بأن أمته ستقتل من بعده ابنه الإمام الحسين فى كربلاء، حذرهم قائلاً: (والذى نفسى بيده لا تقتلوه بين ظهرانى قوم لا يمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً) [۸] . ونلاحظ أن الرسول الكريم قد بين لأصحابه بأنه ستكون لعلى بن أبى طالب شيعة خاصة به، وأن علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ومع أنه صادق إلا أنه قد أقسم على صحة قوله ليكون اليقين فى قلوب سامعيه. وفى موقف آخر، بين الرسول لأصحابه أن علياً بن أبى طالب وشيعته هم قطعاً ممن عناهم الله تعالى [صفحه ۲۰] بقوله (أولئك هم خير البرية) [البينة / ۷]. وفى موقف ثالث أكد الرسول لعلى بن أبى طالب بأنه سيقدم على الله وشيعته راضين مرضيين. وقد تلفظ الرسول بذلك قبل وقوع تلك الأحداث، وقبل أن يزداد أعداء على بن أبى طالب. وقد روى هذه الأحاديث رجال كثيرون من كبار علماء أهل السنة وليسوا من

شیعة الإمام، فی وقت کانت فیه محبة الإمام أو روایة أی فضیلة من فضائله أو فضائل أهل بیت النبوة تعد من جرائم الخیانة العظمی فی نظر الدولة التاریخیة التی کانت تحکم المسلمین باسم الإسلام. وقد اقتنع الرواة بصحة صدور هذه الأحادیث عن الرسول، وإلا لما تجشموا عناء روایتها. وما یعنینا هو أن الرسول الأعظم قصد بشیعة علی أعوانه ومؤیدیه والقائلین بولایته، وعدهم بمثابة فرقة أو جماعة من الناس متمیزة من غیرها من الفرق والجماعات. وهذا المعنی اللغوی والاصطلاحی عینه الذی أبرزه القرآن الکریم. وفی المثال الثانی المتعلق بالحسین استعمل رسول الله کلمة (شیع) لتدل علی المعنی عینه الذی أبرزه القرآن الکریم عند استعماله لکلمة (شیع) وهو الحالة التی ینقسم المجتمع فیها علی نفسه وینقسم إلی مجموعة من الأحزاب أو الجماعات أو الفئات المتناقضة والمتصارعة. [صفحه ۲۱]

معنی کلمة شیعة فی السیاق التاریخی

۱ – أقدم نص عثرت علیه، فی التاریخ السیاسی الإسلامی، تضمن کلمة (شیعة) ینسب للخلیفة الثانی عمر بن الخطاب، فمن المعروف أن هذا الخلیفة عارض بشدة صلح الحدیبیة الذی ارتضاه الله للمسلمین ووقعه رسوله. وکان یری أن هذا الصلح (دنیة فی الدین)، حاول جهده لإلغاء تلک المعاهدة حتی لا یعطی (الدنیة فی دینه)، ولکن محاولاته لم تنجح. وفی ما بعد عبر عن ذلک بقوله: (لو وجدت ذلک الیوم شیعة تخرج عنهم رغبة بالقضیة لخرجت) [۹] وفی روایة ثانیة ذکرها ابن أبی الحدید: (أن عمر قد قام مغضباً وقال: لو أجد أعواناً ما أعطیت الدنیة أبداً) [۱۰] وما یعنینا أن عمر بن الخطاب استعمل کلمة (شیعة) وقصد بها جماعة تری رأیه وتسعی معه لتحقیق هدف مشترک. وبعبارة أخری إن عمر قد عنی بکلمة (الشیعة) معناها اللغوی المستقر لغة والمتفق مع خطاب القرآن وخطاب الرسول. ۲ – واستعملت کلمة (شیعة) فی صک التحکیم الذی کتب بین الإمام علی بن أبی طالب وبین معاویة بن أبی سفیان. وقد وردت لتدل دلالة کاملة علی المعنی اللغوی المستقر فی اللغة والمعبر عنه فی القرآن والحدیث. وجاء فی هذا الصک: (هذا ما تقاضی علیه علی بن أبی طالب... ومن کان معه من شیعته قاض معاویة بن أبی سفیان... ومن کان معه من شیعته) کما قال نصر بن مزاحم بروایة محمد بن علی بن الحسین والشعبی، وروی جابر عن زید بن الحسین روایة أخری، ولکنها تتفق مع الأولی بذکر (ومن کان معه من شیعته عند ذکرها للإمام علی، وعند ذکرها لمعاویة [۱۱] . [صفحه ۲۲] ۳ – قال الإمام علی فی إحدی خطبه [۱۲] (... حتی یکون بعضکم أئمة لأهل الضلالة وشیعة لأهل الجهالة). وقال عن أهل البصرة (... وأفسدوا علی جماعتی ووثبوا علی شیعتی) [۱۳] . ۴ – زار معاویة بعد أن استبد بالحکم، بیت عثمان بن عفان، ولما رأته عائشة ابنة عثمان صاحت وندبت أباها، کأنها تقول لمعاویة: (إن معاقبة قتلة عثمان کان هو الشعار الذی رفعته للخروج علی الإمام علی بن أبی طالب، وها أنت قد قبضت علی مقالید الأمور فما الذی یمنعک من معاقبة قتلة أبی! (وفهم معاویة المغزی، فقال لها: (یا بنت أخی إن الناس أعطونا سلطاننا فأظهرنا لهم حلماً تحته غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد..). إلی أن قال: (ومع کل إنسان منهم شیعة، فإن نکثناهم نکثوا بنا..) [۱۴] . فمعاویة یعبر عن واقع الحال المتمثل بانقسام المجتمع إلی شیع، ویستعمل کلمة شیعة لتدل علی معناها اللغوی والاصطلاحی والتاریخی. کما جاء فی القرآن الکریم. ۵ – وبعد انتصار معاویة ومبایعته لیکون خلیفة، أو ملکاً، علی المسلمین استهل عهده بسلسلة من المراسیم الملکیة التی وجهها لعماله، وجاء فی بعضها: (لا تجیزوا لأحد من شیعة علی وأهل بیته شهادة وجاء فی آخر: (أن انظروا من قبلکم من شیعة عثمان ومحبیه وأهل ولایته) [۱۵] . ۶ – قال معاویة للحسین بن علی علیه السلام یوماً: (یا أبا عبد الله، أعلمت أنا قتلنا شیعة أبیک فحنطناهم وکفناهم وصلینا علیهم ودفناهم؟ فقال الحسین: لکنا والله إن قتلنا شیعتک ما کفناهم ولا حنطناهم ولا صلینا علیهم ولا دفناهم) [۱۶] . [صفحه ۲۳] ۷ – کتب معاویة إلی والیه علی الکوفة، المغیرة بن شعبة، یوصیه بشتم علی بن أبی طالب وذمه والعیب علی أصحابه، وإقصائهم وعدم الاستماع إلیهم إلی أن قال: (وبإطراء شیعة عثمان...) [۱۷] . ۸ – کتب یزید بن معاویة إلی والیه عبید الله بن زیاد: (أما بعد فقد کتب إلی شیعتی من أهل الکوفة یخبرونني أن ابن عقیل یجمع الجموع..) [۱۸] . ۹ – وقال الیعقوبی فی

تاريخه: (فقام جماعة من شيعة مروان فقالوا: لتقومن إلى المنبر أو لنضربن عنقك) [۱۹] . ۱۰ - أحضر زياد ابن أبيه قوماً (بلغه أنهم شيعة لعلى ليدعوهم إلى لعن على) [۲۰] . ۱۱ - وصف الإمام أبو جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام ملخص ما أصاب أهل بيت النبوة إلى أن قال: (وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدى والأرجل على الظنة، وكل من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره..) إلى أن قال: (حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة على...) [۲۱] . شيعة وتشيع: لغة واصطلاحاً الفقرات التى أوردناها فى مقدمة الفصل الثانى نماذج مختارة من الاستعمالات التاريخية لكلمة شيعة، فإذا أضيفت إلى ما سقناه من النصوص الشرعية الواردة فى القرآن والسنة التى اشتملت على كلمة شيعة وشيع، وتبينا [صفحه ۲۴] المعنى ; لا يبقى لدينا أدنى شك فى أن كلمة شيعة تعنى، لغة واصطلاحاً، فرقة أو جماعة من الناس متجانسة ومتميزة عن غيرها من الفرق والجماعات، بأساليبها ورأيها وفكرها الخاص بها الذى تسعى إلى تعميمه، وبهدفها الذى تسعى إلى تحقيقه. وتلتف، بالضرورة حول، قائد مميز بفكره أو برأيه أو بقدرته أو بموقعه أو بما يرتجى منه حسب مقاييس أفراد تلك الفرقة أو الجماعة، وقائد هذه الجماعة مع فكرها يشكلان نقطة جذب واستقطاب وتجمع، ومن الطبيعى أن يتناصر أفراد هذه الجماعة وأن يوالى بعضهم بعضاً، ويتبع بعضهم بعضاً وأن يكون لهم موقف موحد وأمر واحد ما دامت هذه الفرقة أو الجماعة قائمة. والفرقة التى تتصف بهذه الصفات تعرف باسم (شيعة)، ويسمى التفافها حول فكرها وقيادتها وموالاتها لهما التفاف أفراد هذه الشيعة التشيع لغة واصطلاحاً. وسنرى كيف استقر معنى كلمة (شيعة) ليدل على فئة أو جماعة أو فرقة أو شيعة معينة من دون غيرها من الفرق أو الجماعات أو الشيع، وهى شيعة أهل النبوة. ظاهرة الشيع وتعددها فى كل مجتمع نشوء الشيع (جمع شيعة)، أى الفرق أو الجماعات أو الأحزاب، وتعددها ظاهرة بشرية عامة وشاملة لم يخل منها مجتمع بشرى قط، قديماً وحديثاً. وقد تزامن قيام الشيع وتعددها مع نشوء ظاهرة السلطة بمعناها الواسع وقيامها، فوجدت الظاهرتان معاً، وصارتا من الصفات المميزة لأى مجتمع بشرى. والسبب فى ذلك أن الوصول إلى السلطة عزيزة المنال، ويستحيل إدراكها بالجهد الفردى، ولا يمكن أن تنال إلا عن طريق الغلبة والتغلب، سواء بالقهر والقوة (نحن مع من غلب) أو عن طريق الانتخاب. وتظهر الشيع بوصفها وسائل رئيسية موثرة لتحقيق الغلبة والتغلب بشقيها آنفى الذكر. أما تعدد الشيع فيعود إلى تضارب مصالح الأفراد والجماعات، واختلاف الآراء والأفكار والوسائل والتفاوت فى الثقافات واليقين، وما فى النفس من نوازع الحسد والرغبة بالتسلط، وممارسة الشر، ومن تقديم العاجلة على الآجلة، ومن الإصرار على تجاهل الأمر الإلهى، وإرغام أنف الشيعة المؤمنة [صفحه ۲۵] القائمة عليه، ومن نفور الشيع من فكرة الجزم واليقين التى تنادى بها قيادة الشيعة المؤمنة، وارتياحها لفكرة الظن والتخمين المنبع الوحيد لتصوراتها وعقائدها. ويمكن القول، وبكل ارتياح، إن ظاهرة الشيع وتعددها تعطى معنى ظاهرة الحزبية لتشابه التركيبة والأهداف والبنى. وقد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن التاريخ السياسى البشرى ما هو إلا ثمرة الصراع بين الشيع، وكل الشيع تطمع فى الاستيلاء على السلطة وحيازتها لهم هذا الصراع لصالحها، ولم ينته هذا الصراع طوال التاريخ ولم يبرح المجتمع مكانه، فكأنه يدور فى حلقة مفرغة لا تشهد إلا نشوء الشيع وقيامها وتبعثرها وتعاقبها على السلطة. وإصرارها على استبعاد الشيعة المؤمنة التى تمثل الخط الإلهى، والتى لم يخل منها مجتمع قط عبر التاريخ بغض النظر عن القلة والكثرة. الشيع فى المجتمع الإسلامى نشأ المجتمع الإسلامى وأخذ صورته النهائية عندما نجح الرسول فى توحيد العرب سياسياً لأول مرة فى التاريخ، ونقلهم من دوائر الشرك وأديانه إلى دائرة التوحيد ودينها الإسلام، وقيادتهم. والمجتمع الإسلامى لم يكن أبداً بمنجاة من ظاهرة الشيع وإن كان جميع أفراد المجتمع الإسلامى قد ادعوا أنهم شيعة الرسول فإن الواقع يتناقض مع شمول هذا الادعاء. لقد واجه الرسول مجتمعاً جاهلياً يتكون من عدد لا حصر له من الشيع أو الجماعات. ففى مكة، على سبيل المثال، كانت تسكن عدة قبائل، منها قبيلة قريش الكبيرة، وكانت قريش تتكون من ۲۵ بطناً، وكل بطن من هذه البطون يشكل شيعة حقيقة متميزة عن غيرها. وعملاً بالنهج التاريخى لشيع المجتمعات البشرية فقد تحالفت شيع بطون قريش ال ۲۳ ووقفت وقفة رجل واحد ضد النبى وضد البطنين الهاشمى والمطلبى اللذان اختارا بأن يكونا شيعة للنبى. ووقفت مع شيع قريش الأكثرية الساحقة من شيع العرب طوال الثلاث

عشرة سنة التى أمضاها النبى فى مكة قبل الهجرة. وبعد الهجرة جيشت شيع البطون الجيوش، بمساعدة شيع [صفحه ۲۶] العرب، ودخلت مع النبى وشيعته فى حرب مسلحة ضروس استمرت زهاء ثمانى سنين. ثم هزمت شيع البطون، وفوجئت قيادة هذه الشيع بجيش النبى يدخل عاصمتها دخول الفاتحين، فاستسلمت، وعندما رأت جميع الأبواب مغلقة فى وجهها أسلمت كارهة. وباستسلامها وإسلامها استسلمت وأسلمت شيع العرب المتحالفة معها ولم ينقب النبى الكريم عن ما فى القلوب وإنما اكتفى بالظواهر، ولم يعاقب شيع العرب عامة وشيع البطون خاصة على جرائمهم السابقة وإنما عفا عنهم قائلاً: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)، ووسعهم بحلمه وقلبه الكبير وسماحته، ولاح لغير المتبصر أن شيع العرب قد تفككت وتبعثرت وانتهت بالفصل، ولم يتصور العامة أن شيع العرب فى حالة الهدوء الذى يسبق العاصفة، وأن شيع العرب سرعان ما تعود إلى ممارسة الدور التاريخى الذى مارسته شيع الأمم السابقة! عودة الشيع العربية، ولكن بعمائم الإسلام قبيل وفاة النبى الكريم بأشهر، كان المجتمع الإسلامى مجتمعاً واحداً فى الظاهر. يوالى النبى، ويعلن التزامه بأحكام الدين، ولكن بذور مجموعة هائلة من الأخطار والكوارث كانت قد نبتت وترعرعت واشتد ساعدها بعيداً عن الأنظار وتحت السطح تماماً: ۱ - فالمنافقون الذين مردوا على النفاق يجوبون العاصمة، وقد أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر والحقد على محمد وآله. ۲ - وقسم كبير من الأعراب، من حول المدينة، منافقون لم تتوقف اتصالاتهم قط مع مردة النفاق فى المدينة. ۳ - يليهم مرتزقة من الأعراب لا يعرفون من الدين إلا اسمه ولا مطمع لهم إلا الكسب والغنيمة، وهم على استعداد للتحالف مع من يدفع لهم حتى ولو كان الشيطان نفسه. ولا تتوقف هذه الفئات عن التلفظ بالشهادتين والقيام بمظاهر الدين، ولا يعرف الفوارق بينهم وبين غيرهم من المسلمين إلا من عمر الله قلبه بالإيمان. [صفحه ۲۷] ۴ - وبعد أن جاء نصر الله والفتح، ودانت بلاد العرب بالولاء والطاعة لقيادة الرسول، التأم شمل قبيلة قريش وتألق نجمها لأنها عشيرة النبى. وتكاتف مهاجرو هذه العشيرة وطلقاؤها، وتوطدت أواصر العلاقة من جديد بين شيع البطون ال ۲۳، وصار لها موقف موحد من الأمور العامة، يمكنها أن تجهر به حتى أمام الرسول نفسه. والدليل القاطع على ذلك أنه عند ما مرض الرسول مرضه الذى مات منه أراد أن يلخص الموقف لأمته وأن يكتب لها توجيهاته النهائية، وضرب النبى موعداً لكتابتها، وأحست شيع البطون أن هذه التوجيهات تمس مصالحها وتوجهاتها، وفى الوقت المحدد وما أن قال الرسول: (قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) حتى قال قائل شيع البطون: (إن الرسول قد اشتد به الوجع وهو يهجر، ولا حاجة لنا بكتابه ولا بوصيته لأن القرآن عندنا وهو يكفينا) [۲۲] وما أن أتم قائل البطون كلامه حتى قالت البطون بصوت واحد: (القول ما قاله فلان إن النبى يهجر، ولا حاجة لنا بكتاب النبى لأن القرآن وحده يكفينا)، واحتج الحاضرون من غير أبناء البطون، وتشاد الطرفان واختصما، وكان واضحاً أن أفراد شيع البطون هم الأكثرية، فصرف النبى النظر عن كتابة ما أراد، لأنه لو أصر على الكتابة لأصرت البطون على هجره مع ما يستتبع ذلك من آثار مدمرة على الدين كله) [۲۳] . ۵ - وقد طورت الشيع القريشية ال ۲۳ المتحالفة مفهوماً جديداً للقيادة من بعد النبى، فرأت أنه ليس من الإنصاف أن يكون النبى من بنى هاشم وأن [صفحه ۲۸] يكون الخليفة من بنى هاشم وأن (العدل والصواب والتوفيق) يكمن فى أن تكون النبوة لبنى هاشم والخلافة لبطون قريش ال ۲۳ تتداولها فى ما بينها. وجاء هذا التطور بعد إعلانات الرسول عن استخلافه لعلى بن أبى طالب، وإعطاء أهل بيت النبوة دوراً مميزاً فى قيادة الأمة من بعد النبى، بخاصة بعد إعلانه الشهير فى غدير خم، وليسهل على شيع البطون الإلتفاف على أوامر النبى وتوجيهاته قالوا: (إن الرسول بشر يتكلم فى الغضب والرضى). ما يعنى أنه لا ينبغى أنه يحمل جميع كلام النبى على محمل الجد، ولا ينبغى أن ينفذ كله، وحتى تتأكد من تطوير شيع البطون لمفهوم القيادة من بعد النبى وتخصيص النبوة للهاشميين والخلافة للبطون [۲۴] . ۶ - إن شيع بطون قريش ال ۲۳ التى أحيت تحالفها والتى أسلم أفرادها جميعاً، فى ما بعد، جميعها موتورة، فما من بطن من البطون إلا وقتل آل محمد وبخاصة على بن أبى طالب منه قتلى خلال المعارك التى جرت بين الكفر والإيمان، وفكرة الثأر عميقة الجذور فى النفس البشرية، بعامة وفى نفوس العرب بخاصة، والتلفظ بالشهادتين غير قادر على اقتلاع هذا الأثر. ۷ - والأخطر أن بطون قريش ال ۲۳ تمسكت بنبوة النبى، ربما لاقتناعها بصدقة، أو لأنها وجدت فى النبوة طريق ملكها وسيادتها على العرب، وصار من مصلحة الجميع التمسك بهذه النبوة. وانسياقاً مع هذا التوجه،

برأت شيع البطون رسول الله من الدماء التى سفكها أثناء حربه المسلحة مع البطون وحصرتها فى آل محمد بعامة وبعلى بن أبى طالب وذريته بخاصة. [صفحه ۲۹] ۸ – لقد صار مصطلح (مسلم) هوية لكل أفراد المجتمع الإسلامى والأخطر أن الجميع تقريباً صاروا صحابة، وأحيطوا عملياً بالهالة نفسها من التقديس والاحترام من دون فرق يذكر بين مهاجر وطليق ومؤمن ومنافق، وبين من قاتل مع النبى أو قاتل ضده، فقد أسلم الجميع بالنتيجة!! وصحبوا النبى وعفا الله عما مضى. ۹ – فى هذا المناخ استذكر المجتمع مواقف شخصيات بارزة، من حول الرسول، فصار لكل واحد منها شيعة خاصة به، فنشأت شيعة لأبى بكر وأخرى لعمر، ثالثة لعثمان، ورابعة لطلحة... الخ. وكل شيعة تنادى بتميز صاحبها، وتفتحت أشداق المطامع وتهيأ المناخ لعودة الشيع الجاهلية ولكن معممة بعمامة الإسلام. ۱۰ – والأخطر أن شيعة النبى المخلصة التى قامت الدولة على أكتافها أصبحت كالشعرة البيضاء فى جلد ثور أسود. وكان واضحاً أن كفة تحالف شيع البطون هى الراجحة، وهى المرشحة القوية لقيادة عصر ما بعد النبوة، فأقبل المنافقون وطلاب الدين والراغبون فى السلامة على هذا التحالف. وتشابكت أيدى الشيع، فتشكل واقعياً بدون إعلان، أكبر تحالف للشيع فى التاريخ الإسلامى كله، وأخذت الشيع تتربص وتنتظر موت الرسول الأعظم لتقتسم الغنيمة! [صفحه ۳۱]

تدبير النبى و تدبير الشيع العربية

علم النبى اليقينى بما تدبره الشيع العربية كان النبى الكريم على علم يقينى بكليات ما يجرى فى الخفاء وتفاصيله وبتوجهات الحركة العامة للأحداث. فقد وضع الله تعالى أمام نبيه صورة متكاملة للماضى والحاضر والمستقبل، وقد حوت هذه الصورة أدق التفاصيل. كان النبى يعلم أن الشيع وفتنتها المظلمة تنتظر موته لتبطش بطشتها الكبرى، فتعيد ترتيب كل شئ حسب سيرته الجاهلية الأولى، ولكن بلباس الإسلام. وكان يعلم أن النوايا الجرمية قد تشكلت بالفعل، وأخذت صورتها النهائية فى قلوب قادة الشيع وضمائرهم، وهو يعلم حجم تأثيرها على سير الأحداث، لأن هذه الشيع شكلت الأكثرية الساحقة من أفراد المجتمع الإسلامى. ومما زاد الأمر تعقيداً أن هذه الأكثرية تتلفظ بالشهادتين، وتقوم ظاهرياً بكل ما يطلبه الإسلام منها، وتظهر الرضى بقيادة النبى وولايته وقبولهما، وتتظاهر بالالتزام التام بكل أوامره وتوجيهاته فى الوقت الذى تخفى فيه نواياها الجرمية، وتخفى فيه الحقد على محمد وآل محمد، والكفر بكل ما جاء به وما يرمز إليه. ولكن هذا العلم اليقينى الدقيق لم يتأت للنبى نتيجة تحليله الشخصى الدقيق للموقف فحسب، وإنما هو علم إلهى سابق لوقوع الأحداث اختص الله به تعالى نبيه، ما يجعل استعمال القوة – على فرض وجودها – غير مسوغ وفق قواعد العدل الإلهى، فكيف يعاقب النبى على نوايا جرمية!؟ صحيح أن هذه النوايا قد أخذت صورتها النهائية، ولكنها ما زالت مخفية فى قلوب أصحابها! وكيف يعاقب النبى الشيع على أفعال لم تدخل حيز التنفيذ ولم تقع بعد!؟ وهذا أمر لا يتفق مع طبيعة العدل الإلهى، ولا مع طبيعة شخصية الرسول، وطبيعة الدولة التى يقودها. النبى يكشف مؤامرة الشيع ويفضح أهدافها وقياداتها كشف الرسول لأمته وجود مؤامرة على الشرعية الإلهية، وأن المتآمرين ينتظرون موته لينقضوا الإسلام عروة عروة بدءاً من نظام الحكم وانتهاء بالصلاة. [صفحه ۳۲] كما روى ذلك ابن حنبل وابن حيان فى صحيحه والحاكم [۲۵] والأهم من ذلك أن رسول الله كشف الانقلابيين وسمى قادة الفتن من بعد وفاته وحتى قيام الساعة، كما روى حذيفة برواية ابن أبى شيبة وأبى نعيم [۲۶] وأعلن النبى أنه فى حالة نجاح المؤامرة فإن النفاق سيظهر، وترتفع الأمانة وتقبض الرحمة، ويتهم الأمين، ويؤتمن غير الأمين [۲۷] وسيبتلى المؤمنون حتى أن المؤمن لا يستطيع أن يصلى إلا سراً [۲۸] . ومع هذا فإذا صلى المؤمن وحده يصلى وهو خائف [۲۹] وأن الإسلام سيعود غريباً [۳۰] . وسيكون هنا لك كفر بعد إيمان [۳۱] وإذا نجحت المؤامرة فإن قيادة الأمة ستؤول إلى أشد الناس بغضاً لمحمد وآل محمد [۳۲] وأنهم سيفتكون بآل محمد فتكاً ذريعاً. وبالإيجاز، فإن الرسول الله لم يترك أمراً سيفعله المتآمرون، إن نجحوا فى مؤامرتهم، إلا وبينة وكشفه للأمة. لقد استبق رسول الله الأفعال قبل وقوعها وحذر الأمة منها، لقد تركهم على المحجة البيضاء، وهذا أقصى ما يستطيع الوالد أن يفعله لأولاده والولى لمواليه والقائد لأتباعه. إنه يكشف لهم بدقة المناطق الملغومة، ويقسم لهم بأغلظ الأيمان أنه قد حدد المنطقة الملغومة وشاهد

بأم عينيه كافة الألغام، وأنه مشفق وحريص ومحب لذلك كله حذرهم، ولكن ليس بوسعه إجبارهم على تجنب المنطقة الملغومة أو على الابتعاد عن تلك الألغام. لأنه لا يستطيع ذلك، فضلاً عن أنه لن يكون موجوداً معهم. ولأن الأحداث لم تقع، كان عسيراً على الناس أن يستوعبوا تحذيرات الرسول. وعلى أى حال، لقد بين الرسول أن نجاح المتآمرون سيكون بمثابة طوفان حقيقى يجتاح المجتمع [صفحه ۳۳] الإسلامى، ويعمل فيه يد التبديل والتعديل والتحريف فى كل ما هو إسلامى وسيؤدى إلى فتنة عمياء مظلمة إذا أخرج المؤمن يده فيها لم يكد يراها. الخطة الإلهية لإفشال مؤامرة الشيع التمسك بالثقلين بعد أن كشف النبى مؤامرة الشيع وفضح قياداتها وبين حقيقة أهدافها أكد، للمؤمنين بخاصة وللمسلمين بعامة، أن الخطة الإلهية لمنع حدوث انقلاب الشيع وإفشاله إفشال غيره إذا وقع. ولتمييز المؤمن من سواه، ولإدراك الهدى وتجنب الضلالة، وضمان قيادة الشيعة المؤمنة للمجتمع تتمثل فى التمسك بالثقلين، وهما: كتاب الله وعترة النبى أهل بيته. ثم بين الرسول هذين الثقلين لن يفترقا إلى يوم القيامة. من صيغ حديث الثقلين ۱ - (كأنى قد دعيت فأجبت، وإنى قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتى) [۳۳] . ۲ - (يا أيها الناس، إنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتى أهل بيتى) [۳۴] . ۳ - (إنى تارك فيكم خليفتين: كتاب الله... وعترتى أهل بيتى) [۳۵] . ۴ - (إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتى) [۳۶] . ۵ - (يا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله.. وأهل بيتى) [۳۷] . ۶ - (ألا- وإنى تارك فيكم الثقلين: أحدهما كتاب الله عز وجل وعترتى أهل بيتى) [۳۸] . [صفحه ۳۴] وقوم ابن حجر حديث الثقلين فقال [۳۹] : (ثم اعلم أن لحديث التمسك بالثقلين طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً) [۴۰] . وحديث الثقلين هو مقطع من خطبة الرسول التى ألقاها فى غدير خم أمام مئة ألف مسلم على الأقل بعد عودته من حجة الوداع. وقد ورد فى هذا المقطع بعد قرار تنصيب الإمام على بن أبى طالب أميراً للمؤمنين ووليا للمسلمين من بعد النبى. الربط المحكم بين ولاية النبى وبين التمسك بالقرآن والتمسك بأهل بيت النبوة فى غدير خم، سأل رسول الله الجمع الحاشد الذى ضم أكثرية المسلمين: ۱ - (ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قال المسلمون: بلى). ۲ - قال: (ألستم تعلمون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قال المسلمون: بلى). ۳ - قال: (أيها الناس إنى وليكم. قال المسلمون: صدقت). ۴ -: (أيها الناس، من وليكم؟ قال المسلمون، ثلاثاً: الله ورسوله). بعد هذا كله أخذ الرسول بيد على بن أبى طالب ثم قال: ۱ - (من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه). ۲ - (هذا وليى وأنا موال من والاه ومعاد من عاداه). ۳ - (من كان الله ورسوله وليه فهذا على وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه). ۴ - (أيها الناس، إن الله مولاى وأنا ولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) [۴۱] . بعد إعلان تنصيب الإمام على مباشرة جاء مقطع حديث الثقلين، وتلاحظ [صفحه ۳۵] أن الرسول الله ربط ولاية على بولايته، وربط ولايته بولاية الله فمن يوالى علياً بعد وفاة النبى فقد والى النبى، ومن والى النبى فقد والى الله. ومن رفض ولاية على، فقد رفض ولاية رسول الله، من رفض ولاية رسول الله فهو كافر كائناً من كان. كذلك ربط الولاء للثقلين معاً، فالقرآن ثقل وأهل بيت النبوة ثقل آخر، فالتمسك بالقرآن وحده لا يكفى، فالقرآن له وجوه متعددة، وأئمة أهل بيت النبوة هم وحدهم الذى يعلمون علم اليقين الوجه المطلوب. ومن جهة ثانية، فإن القرآن شريعة وأهل البيت قيادة وعلم ونقطة تجمع للشيعة المؤمنة، والقيادة لا تغنى عن الشريعة، والشريعة لا تغنى عن القيادة، فأحدهما يكمل الآخر. تجذير حديث الثقلين دين الإسلام كله يقوم على ثقلين: الأول رسول الله والثانى كتاب الله. فليس مسلماً من يؤمن بالرسول ولا يؤمن بالقرآن، وليس مسلماً من يؤمن بالقرآن ولا يؤمن بالرسول فحتى يستقيم إسلام أى شخص مسلم وإيمانه يتوجب عليه أن يؤمن بالاثنين معاً، أى بالقرآن الكريم شريعة أو قانوناً نافذاً، وبمحمد رسولاً ومبلغاً لهذه الشريعة وإماماً ووليا وقائداً له ولجميع المسلمين، فإن لم يؤمن بذلك فإنه ليس مسلماً. فلو قال أحد المسلمين إنه مؤمن بالقرآن، ولكنه لا يؤمن بمحمد فهو كافر، ولو قال أنه مؤمن بمحمد ولكنه لا يؤمن بأن القرآن من عند الله فهو كافر بلا خلاف ولو قال إنه مؤمن بالقرآن، ومؤمن بمحمد رسولاً، ولكنه لا يقبل أن يكون محمد أمامه وقائده ووليه، وهو يفضل ولاية أبى بكر أو عمر أو عثمان أو أبى سفيان على ولاية الرسول فهو كافر أيضاً. فالإسلام الحقيقى

يقوم على ركنين: الركن الشخصى المتمثل بالقيادة أو الإمامة أو الولاية، ويمثلها الرسول حال حياته والقائم الشرعى مقامه بعد وفاته. ومبدأ الثقلين مبدأ عام يشكل امتداداً لمبدأ الرسالة. فكل رسول من الرسل كان فى زمانه ثقلاً، وشكلت التعليمات الإلهية الثقل الآخر، وأتباعه المخلصون هم الشيعة المؤمنة. وقد اكتسبوا صفة الشيعة المؤمنة لأنهم آمنوا بالثقلين (أى رسول ذلك الزمان والتعليمات الإلهية) والإسلام الذى جاء به رسول الله محمد يقوم على ثقلين أيضاً: الثقل الشخصى المتمثل برسول الله والثقل التشريعى المتمثل بالتعليمات الإلهية أى القرآن الكريم. وفى كل [صفحه ۳۶] زمان يوجد الثقلان معاً، ولا غنى لأحدهما عن الآخر فهما متكاملان. فلا بد من وجود شخص يقوم مقام النبى لإمامة الشيعة المؤمنة - التى لم يخل مجتمع منها قط - وقيادتها وولايتها بغض النظر عن القلة أو الكثرة، فيكون هذا الشخص بمثابة علم للهدى ونقطة تجمع واستقطاب لمعتنقيه وطلابه، ورمز لطاعة الله فتكون طاعته كطاعة الله، ومعصية كمعصية (من يطع الرسول فقد أطاع الله) [النساء / ۸۰] ويكون هو القائم بأمر الله، وقائد الدعوة إليه، والإمام أو الولى أو رئيس الدولة إن تمخضت الدعوة عن دولة. والأهم من ذلك أن هذا الشخص (الرسول أو القائم الشرعى مقامه) هو وحده الذى يفهم التعليمات الإلهية فهماً قائماً على الجزم واليقين، وهو المؤتمن على هذه التعليمات ودقة فهمها وتبليغها، وسياسية الشيعة المؤمنة وفق أحكامها. وبالضرورة فإن هذا الشخص أو (الثقل) (أى الرسول أو القائم الشرعى مقامه) يجب أن يكون الأعلم بالتعليمات الإلهية، فى زمانه، والأقرب إلى الله، وأصلح الموجودين وأفضلهم فى ذلك الزمان، ليكون جديراً بالإمامة والقيادة ومؤتمناً على الأمر الإلهى. وبتعبير أدق (يجب أن يكون معداً ومؤهلاً إلهياً) للقيام بما هو منوط به. وهذه المؤهلات توافرت فى جميع الرسل السابقين وتوافرت فى أوصيائهم. وهى متوافرة، بالضرورة، فى رسول الله خاتم الرسل وفى وصيه على بن أبى طالب، والأوصياء الأحد عشر (الأئمة من بعده). هذا هو الثقل الشخصى فى دين الإسلام عبر تاريخه الطويل من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا. أما الثقل الآخر وهو التشريعى المتمثل بالتعليمات الإلهية (يهدون بأمرنا) [الأنبياء / ۷۳] فقد استقر بصورة نهائية فى القرآن الكريم. الثقل الشخصى من بعد الرسول: اثنا عشر إماماً لقد رأينا أن رسول الله قد أعلن، فى غدير خم وأمام جمع من المسلمين لا يقل عن مئة ألف مسلم، أن علياً بن أبى طالب هو الولى من بعد النبى، لأن الله سبحانه وتعالى قد اختاره وأهله وأعده ليكون ولى المؤمنين وأميرهم وإمامهم وقائدهم وسيدهم والمبين لما اختلفوا فيه من بعد النبى، وبالتالى فإنه لن يؤدى عن النبى إلا النبى أو على كما سنثبت ذلك. ولأن رسول الله آخر الرسل ورسالته آخر [صفحه ۳۷] الرسالات، ولأنه لا ينبغى أن تخلو الأرض من قائم بأمر الله، وقائد للشيعة المؤمنة فقد بين رسول الله أن الأئمة من بعده اثنا عشر إماماً، أولهم على بن أبى طالب وآخرهم محمد بن الحسن المهدى المنتظر، وجميعهم من ذرية النبى ومن صلب على وقد اختارهم الله، تعالى، وأعدهم وأهلهم للإمامة والولاية، بحيث يكون كل واحد منهم هو الأوحد فى زمانه (أى الأعلم والأفهم والأتقى والأقرب لله ولرسوله وأفضل أهل زمانه). وأمر الله رسوله أن يبين للمسلمين أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأن علياً بن أبى طالب بعد وفاة الرسول هو الأولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأن الحسن من بعد وفاة على، هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأن الحسين من بعد وفاة الحسن هو الأولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأن كل واهد من التسعة الآخرين هو الأولى بالمؤمنين من أنفسهم وأن كل واحد منهم هو أحد الثقلين فى زمانه، فلا تدرك الهدى إلا به وبالقرآن معاً، ولا تتجنب الضلالة إلا به وبالقرآن معاً، وإن التمسك بالاثنين معاً فرض عين على كل مؤمن ومؤمنة. ولا يلزم بموالاتهم إلا المؤمنون، فموالاتهم هى مقياس الإيمان والدليل عليه، وأتباعهم هم الشيعة المؤمنة حقاً ومعاداتهم هى مقياس الفسوق والعصيان، وأعداؤهم امتداد لشيع الأولين. الإجماع على صحة عدد الأئمة لقد أجمع أهل الملة على أن عدد الأئمة من بعد النبى هو اثنا عشر إماماً ولا خلاف عند شيعة أهل بيت النبوة فى صحة هذا العدد وصحة صدوره عن رسول الله، فالشيعة ترسله إرسال المسلمات، كذلك فإن الشيع أو أهل السنة يؤكدون صحة هذا العدد، ويؤكدون صدور الحديث عن رسول الله [۴۲] . لم ينجح أهل السنة فى ترويض هذا النص أو تطبيقه على الواقع التاريخى. أما شيعة أهل بيت النبوة فقد جزموا بأن الأئمة الاثنى عشر الذين عناهم رسول الله هم: [صفحه ۳۸] ۱ - على بن أبى طالب. ۲ - ابنه الحسن. ۳ - وابنه الحسين. ۴ - وابنه على. ۵ - وابنه محمد. ۶ - وابنه جعفر. ۷ - وابنه موسى. ۸ - وابنه على. ۹ - وابنه محمد. ۱۰ -

وابنه على. ١١ - وابنه الحسن. ١٢ - وابنه محمد بن الحسن المهدى عليهم السلام. وهم يرون أن كل إمام قد تعين بنص ممن سبقه حسب توجيه رسول الله وأوامره، وأن كل واحد منهم هو الثقل الأصغر فى زمانه ولكل واحد منهم قد انتهى علم النبوة. لقد روى عبد الله بن عباس وأسامة بن زيد وعبد الله بن جعفر أن رسول الله قال: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأخى على أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنى الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم ابنى الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه على بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركهم يا على، ثم ابنى محمد بن على أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين) [۴۳] . ولا خلاف عند شيعة أهل بيت النبوة من صحة حديث ابن عباس التالى: (سمعت رسول الله يقول: (أنا وعلى والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين [صفحه ۳۹] مطهرون معصومون) [۴۴] قال جابر بن عبد الله الأنصارى: (لما أنزل الله على نبيه (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) [النساء / ۵۹] قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله فمن هم أولى الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال الرسول: هم خلفائى يا جابر وأئمة المسلمين من بعدى، أولهم على بن أبى طالب، ثم الحسن بن على، ثم الحسين بن على، ثم على بن الحسين، ثم محمد بن على، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم على بن موسى، ثم محمد بن على، ثم على بن محمد، ثم الحسن بن على، ثم محمد بن الحسن المهدى) [۴۵] . أهل بيت النبوة هم الثقل الأصغر أولئك هم ذرية النبى من صلب على والنبى أبوهم [۴۶] ، وهم أولاد النبى [۴۷] ، وهم سادة أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، كما هو ثابت فى آية التطهير [الأحزاب / ۳۳]، وهم أبناء النبى وأحفاده الذين عناهم تعالى فى آية المباهلة [آل عمران / ۶۱]، وهم ذووا القربى الذين عناهم الله فى آية المودة [الشورى / ۲۳] وآية الأنفال [الأنفال / ۴۱]. وهم الذين أمر الله عباده بأن لا يتقدموهم فيهلكوا ولا يتأخروا عنه فيهلكوا [۴۸] وهم فى الأمة كسفينة نوح فى قومه [۴۹] وهم [صفحه ۴۰] من وصفهم رسول الله بأنهم أمان للأمة من الاختلاف. ومن يخالفهم يصبح آلياً من حزب إبليس [۵۰] ، وهم الذين اختارهم الله للفضل والشرف والرئاسة [۵۱] وقد بين الرسول أن مكانهم فى الأمة مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس ولا يهتدى الرأس إلا بالعينين [۵۲] وقد جعل الله الصلاة عليهم جزءاً لا يتجزأ من الصلاة المفروضة على العباد، فحتى تتم الصلاة يتوجب على المصلى أن يصلى على محمد وعلى آل. فإن لم يكن الأئمة الأطهار من آل محمد فمن يكون إذاً! [صفحه ۴۱]

شيعة أهل بيت النبوة: تكون و فرق

الدعوة الإلهية إلى التشيع أعطى القرآن الكريم أهل بيت النبوة مكانة متميزة لم يعطها لأهل بيت قط، فهم المعنيون بآيات التطهير والمباهلة والمودة فى القربى حتى أن الله تعالى حرم عليهم الصدقة، وخصص لهم جزءاً من الأفعال. وهم المبشرون بالجنة (وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً) [الإنسان / ۱۲] قبل أن يبشر بها أحد. ومن الطبيعى أن فاطمة وعلى والحسن والحسين هم سادة أهل بيت النبوة بلا خلاف. فهم أقرب الناس للنبى، وهم أول المعنيين بالآيات التى أشرنا إليها. ثم إن النبى ركز تركيزاً مكثفاً على أهل بيت النبوة بعامة وعلى على بن أبى طالب والحسن والحسين بخاصة. وأبرز علياً بن أبى طالب، فقال إنه خليفته وإنه الولى من بعده بل وولى كل مؤمن ومؤمنة، وأنه الإمام، وأنه المبين، وأنه الهادى، ولا أحد يؤدى عن النبى إلا النبى نفسه أو على، وأن على من بعد النبى هو أولى بكل مؤمن من نفسه، ومن بعد على الحسن، ومن بعد الحسن الحسين إلى أن يتم العدد اثنى عشر إماماً بالمهدى المنتظر. والأهم من ذلك أن رسول الله عد القرآن الكريم ثقلاً واعتبر هؤلاء الأطهار ثقلاً آخر، وجزم رسول الله بأن الهدى لا يدرك إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً، وأن الضلالة لا يمكن تجنبهما إلا بالتمسك بهما معاً. ما يجعل التشيع لأهل بيت النبوة، فى هذا المفهوم والتمسك بهم، معادلاً للتشيع للقرآن الكريم والتمسك به لأنهما خلاصة الدين وعنوانه وضمان وجوده واستمراره. والتشيع، فى هذا المفهوم، عمل تعبدى من جميع الوجوه خاصة وأن رسول الله لم يأمر بذلك من تلقاء نفسه ولا بمبادرة شخصية منه، بل كان يبين القرآن ويتبع بدقة متناهية ما يوحى إليه (إن أتبع إلا ما يوحى إلى) [الأنعام / ۵۰]. ومن جهة ثانية، فإن علياً بن أبى طالب لم يكن شخصاً مغموراً،

فأبوه عبد مناف بن عبد المطلب (أبو طالب) شيخ البطاح، تعرفه جميع العرب. ثم إن النبى قد ربى علياً، وأتبعه على [صفحه ۴۲] أتباع الفصل لأثر أمة، فما رؤى النبى إلا ومعه على، ثم إنه ابن عم النبى الشقيق وزوج ابنته البتول فاطمة، ووالد سبطيه الحسن والحسين ولا عقب للنبى غير هما، ثم إن علياً هو فارس العرب أجمعين الذى قتل سادات البطون يوم بدر، وقتل حملة ألويتها يوم أحد، وبارز عمرو بن ود يوم الخندق وقتله أمام العرب جميعهم، وهو الذى هزم اليهود فى خيبر، ثم إن علياً باب الحكمة والعلم اللدنى، لقد اجتمعت له من أسباب المجد والشهرة ما لم تجتمع لأحد من بعد النبى قط فمن الطبيعى جداً أن يحب المؤمنون، الصادقون فى حب رسول الله، هذا الرجل العظيم وأن يتشيعوا له لأهل بيته، وأن يعدوا الآيات القرآنية والسنة النبوية الواردة فيهم بمثابة دعوة إلهية لموالاة أهل بيت النبوة والتشيع لهم. وأن التشيع لهم بمثابة تشيع للنبى نفسه، وللدين الذى جاء به، وإلا فما هو المقصود من حديث الثقلين!؟ وليعتبروا التشيع طريق الفوز والعلو والجنة وإلا فكيف يفسرون قول النبى (إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة)، أو بيان النبى لآية (أولئك هم خير البرية) [البينة / ۶] (بأنهم على وشيعته) وقد وثقنا ذلك فى الصفحات السابقة! كلمة شيعة تأخذ معنى خاصاً رأينا أن كلمة شيعة عنت، لغة واصطلاحاً، وفى القرآن الكريم والسنة والاستعمالات التاريخية فئة أو جماعة، أو طائفة أو أتباع حزب أو شخص ومؤيديه. ولما تكونت شيعة أهل بيت النبوة وشاع أمرها وظهرت حجتها، ونتيجة تضافر الحكام وشيع المجتمع الإسلامى عليها، تكون رأى عام إسلامى مشبع بالنفور والاستياء من شيعة أهل بيت النبوة، وخلصوا إلى نتيجة مفادها أن هؤلاء خطر مشترك يهدد الجميع، فاتحدت الشيع الإسلامية فى مواجهة شيعة أهل بيت النبوة، تماماً كما اتحدت شيع المجتمعات السابقة للإسلام فى مواجهة الأنبياء وشيعتهم المؤمنة، وضمن سلسلة من الإجراءات الطويلة أقلع الحكام وشيع المجتمع الإسلامى نهائياً عن استعمال كلمة شيعة وتشيع، وتم تخصيص هذه الكلمة لتدل بإطلاقها على شيعة على وأهل بيت النبوة مثلما تدل بتخصيصها بعدما تكون رأى إسلامى عام صار معه التشيع فى هذا المفهوم جريمة وصارت تهمة [صفحه ۴۳] الكفر والزندقة أخف وطأة على الأسماع والقلوب من تهمة التشيع لأهل بيت النبوة. وما يعنينا أن معنى كلمة شيعة قد تخصص نهائياً بشيعة أهل بيت النبوة، ومن النصوص التى تنير ذلك نقرأ: قال ابن منظور: (وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى علياً وأهل بيته، رضوان الله عليهم أجمعين، حتى صار لهم اسماً خاصاً، فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفى مذهب الشيعة كذا أى عندهم، وأصل ذلك من المشايعة وهى المتابعة والمطاوعة) [۵۳] . قال الأزهرى: (والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويوالونهم) [۵۴] . قال الشيخ أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى، فى كتابه الفرق والمقالات: (الشيعة هم فرقة على بن أبى طالب المسمون بشيعة على فى زمن النبى وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته من بعد الرسول). وقال أبو حاتم السجستانى [۵۵] : (إن لفظ الشيعة كان على عهد الرسول) [۵۶] . وباختصار، فإن كلمة الشيعة، إطلاقاً، أو شيعة أهل بيت النبوة، إضافة، صارت تطلق على أولئك الذين يقولون بوجود نص شرعى على خلافة على بن أبى طالب بالذات والأئمة من ولده من بعد النبى، ويقولون بإمامتهم وولايتهم ويتبعونهم ويقتدون بهم ولا يقتدون بغيرهم، ولا يقرون لأحد غيرهم بالإمامة والولاية. ومن الغريب والمدهش حقاً أن كافة الفرق والجماعات الإسلامية سلمت لشيعة أهل بيت النبوة ب (مصطلح شيعة) ورضيت بتخصيصه لهم، وتوقفت عن إطلاق لفظ شيعة على غير هم من الفرق والجماعات! وحتى نبقى ضمن إطار البحث، وبغض النظر عن صحة مقولات شيعة أهل [صفحه ۴۴] بيت النبوة أو عدم صحتها، فإن لهذه الشيعة أمرها الواحد، وقيادتها الواحدة، وفكرها الخاص بها الذى تسعى لنشره وتعميمه، وهدفها الوحيد الذى تسعى إلى تحقيقه، ولها ثقافتها وآلياتها الثقافية الخاصة بها. كل هذا يجعلها جماعة أو فئة أو حزباً متميزاً بالكامل من غيره من الأحزاب والفرق والجماعات الإسلامية. وبالرغم من هذا التخصيص (العرفى) لكلمة شيعة فإننا نجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام المعنى اللغوى والاصطلاحى المستقر فى اللغة والقرآن والسنة والتاريخ، وإن تخصص (عرفياً). التشيع للأشخاص والأفكار من سنن المجتمعات البشرية التشيع وقيام الشيع، وفق مفهومها اللغوى والاصطلاحى، كان الصفات البارزة التى ميزت المجتمعات البشرية طوال التاريخ. ووجود الشيع الكثيرة مظهر من المظاهر الدائمة لكل مجتمع. والمجتمع الإسلامى لم يشذ عن هذه القاعدة، فقد تكونت للرسول نفسه شيعة أخذت تنمو وتكبر حتى انضم لها أفراد المجتمع كله، فقد تشيع

الجميع لرسول الله أو تظاهروا بـذلك، وآمنوا بما جاء به، حتى بـدا المجتمع الإسـلامى شـيعة واحدة متميزاً باعتقاداته وقيادته عن غيره من المجتمعـات المعاصـرة له. وبعـد انتقال الرسول إلى جوار ربه تشـيع فريق من المسـلمين لأبى بكر وفريق آخر لعمر، وثالث لعثمان، ورابع لطلحـة وخامس للزبير.. وسادس لمعاويـة، وسابع لمروان بن الحكم، وثامن ليزيد بن معاوية... الخ. وكان لكل واحد من أولئك الشخصـيات شـيعته الخاصة به التى ترى رأيه، ولم يقل أحد من الناس أن التشـيع لهذه الشخصـية البارزة أو تلك جريمة، ولم تحاصـر شيع المجتمع الإسـلامى شـيع أولئك الشخصـيات البارزة بل كان الناس يعدون التشـيع لهم أمراً عادياً جداً مألوفاً. فمعاوية، مثلاً، وأبوه قادا الأحزاب وحاربا رسول الله بجميع وسائل الحرب، وقاوما بجميع فنون المقاومة، ولم يدخلا الإسـلام إلا بعد ثلاثة وعشرين عاماً من العناد، وبعـد أن أحيط بهم، ومع هـذا فلم تر جموع المسـلمين غضاضة ولا حرجاً من وجود شـيعة لمعاوية، ومن التشـيع له مع أنه طليق ومن المؤلفة قلوبهم. ويزيد بن معاوية، مثال ثان، قتل ابن الرسول فى كربلاء وسبعة عشر رجلًا [صفحه ۴۵] من أهل بيت النبوة، وساق بنـات الرسول سـبايا من كربلاء فى العراق إلى دمشق من دون مسوغ لهـذا كله. وهـدم الكعبـة وهى قبلـة المسـلمين، واسـتباح مـدينة الرسول، وقتل عشرة آلاف مسلم فى يوم واحد وهو يوم الحرة، وحبل جيشة ألف عذراء من بنات مدينة الرسول بالقوة. ومع هذا لم تر جموع المسـلمين غضاضة ولا حرجاً فى أن تكون له شيعة. ومثال ثالث، مروان بن الحكم لعنه رسول الله، ولعن أباه، ونفاه من المدينة، وحرم عليه أن يساكنه فيها، وكان من المعروفين بعداوتهم لرسول الله. ومع هذا كانت له شـيعة ترى رأيه ولم تتعجب جموع المسـلمين من وجود شـيعة له ولم تتعجب لأنه صار خليفة بل ووالد جميع خلفاء بنى أمية المروانيين وجدهم. وليس لدى الجموع المسلة ما يمنع من أن تكون للأمويين شـيعة وقد كانت بالفعل، أو لبنى تيم أو لبنى عدى أو لأى بطن من بطون قريش أو من بطون قبائل العرب، وقد كـانت بالفعـل، فليس فى ذلـك مـا يـدعو إلى الاسـتغراب ومـا يخرج عـن المـألوف! ولكن مـا يـثير دهشـة الجمـوع المسـلمة وحنقها واسـتغرابها هو وجود شـيعة لأهل بيت النبوة أو وجود من يتشـيع لهم. هـذا ما يقيم الـدنيا ولا يقعدها! قد تتقبل الجموع المسـلمة فكرة وجود جماعة شـيوعية ينكرون وجود الله! وتتقبل وجود يهود ونصارى ولكنها لا تتقبل وجود شـيعة أو حزب يؤيد أهل بيت النبوة! فما هو السـبب فى هذا النفور العجيب؟ وما هو سر هذه العقيدة؟ إنها ثقافة التاريخ ورواسب الماضى المناقضة تماماً للثقافة القرآنية. الثقافة المناقضـة للثقافة القرآنية الشـيع تنفض وتتبعثر عادة بموت قادتها، أو إفلاس فكرها، أو فشل تجربتها، لتقوم على أنقاضـها شـيع جديدة بقيادات جديـدة وفكر جديـد أو معـدل تعـديلًا جذرياً. هذه قاعدة عامة لم تشذ عنها إلا شـيعة أهل بيت النبوة. فقد بقيت هذه الشـيعة ثابتـة ولم تنقرض، وبقى فكرها كما هو لم يتزعزع ولم يتبـدل. فمنـذ وفاة النبى وحتى الآن وشـيعة أهل بيت النبوة ترى أن ولايـة الأمة وإمامتها وقيادتها من بعـد النبى وحتى قيام الساعـة هى حق شـرعى ثابت لعلى بن أبى طالب ولأبنائه [صـفحه ۴۶] وأحفاده الأئمة من بعـده، وأنهم قـد غصـبوا هذا الحق ظلماً. ثم إن هذه الشـيعة تزيد ولا تنقص. لقد شـعر الحكام بخطورة هذه الحركة على نظم حكمهم وعلى الصـيغة الجديدة التى طرحوها للإسـلام. وشـعرت الشيع الإسلامية جميعها بهذه الخطورة واستاء العامة فالشيعة يخطئون صراحة، أو ضمناً أعداداً كبيرة من الصحابة، ويقولون بكل صراحة إن علياً بن أبى طالب كان أولى بالخلافة من أبى بكر وعمر وعثمان، لهؤلاء الثلاثة فى نفوس المسـلمين مرتبة من القداسة والتقديس تفوق التصور. فشـعرت العامة أن شـيعة أهل بيت النبوة تهز عقيدتهم بقداسـة هؤلاء الثلاثـة، ما أثار سـخطها وشـعورها البالغ بالاستياء، لأن هؤلاء الثلاثـة فوق الشـبهات فهم أعمـدة الحكم التاريخى من بعـد النبى، وعصورهم هى العصور الذهبيـة فى الإسـلام. والتشـكيك بنزاهتهم تشـكيك بالدين نفسه، وهدم العصور الذهبية! ومن جهة ثانية، فإن هؤلاء الثلاثة، كما ترى الشيع، أجل وأرفع من أن يعرفوا حق على والأئمة من أهل بيت النبوة بالإمامة والولاية ثم يغصبوه منهم. ورسخ هـذه العقيـدة وزاد من خطورتها أن الأمويين الـذين طبعوا الدولـة الإسـلامية التاريخيـة بطابع المؤسسـية والاسـتقرار التنظيمى وبخاصـة معاويـة بن أبى سـفيان موتورون وحاقـدون على آل محمـد بعامة وعلى على بن أبى طالب وذريته بخاصة، فقد قتل على حنظلة شـقيق معاويـة واشترك مع الحمزة فى مقتـل عتبـة جـد معاويـة، والوليـد ابن خـاله وشـيبة شـقيق جـده وتسـعة من شـيوخ بنى أميـة، ومعـاوية والأمويون بشـر، وتلفظهم بالشـهادتين لا يخرج الحقـد من قلوبهم وعندما ملك معاوية زمام الأمور، ودانت له البلاد الإسـلامية بالطاعة

رغبة أو رهبة استغل خليفة العامة وسخر جميع موارد دولته وإعلامها لتثبيت قواعد الملك الأموى، وتقليم أظافر أهل بيت النبوة والتنكيل بهم وبشيعتهم، ليكونوا مجرد رعايا منبوذين لا معين لهم ولا ناصر، فيقضى على أية مخاطر محتملة منهم على ملكه بخاصة وعلى ملك الأمويين بعامة. فما أن استقر عرش معاوية حتى أصدر سلسلة من (المراسيم الملكية)، وطلب من جميع عماله فى أرجاء الدولة أن ينفذوها بدقة بالغة، وأن يأخذوا الناس بها. ومن أهم هذه (المراسيم). ١ - (برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبى تراب وأهل البيت). [صفحه ۴۷] وعملاً، بهذا (المرسوم) فمن يروى حديث الثقلين، أو حديث (من كنت مولاه فهذا على مولاه ووليه) أو أى حديث آخر مهدور الدم ويمكن لأى شخص أن يتولى إعدامه فى الشارع العام ومن دون محاكمة! ٢ - طلب معاوية جميع عماله (أن لا يجيزوا لأحد من شيعة على بن أبى طالب وأهل بيت النبوة شهادة) وبناء على هذا (المرسوم) لو حضر الحسين ابن رسول الله عقداً من العقود لما جاز له أن يشهد على هذا العقد، ولا يجوز لأى من موالى أهل بيت النبوة شهادة أيضاً. فهم رسمياً محرومون من كافة الحقوق المدينة والسياسية حسب قوانين دولة معاوية (ومراسيمها) التشريعية. ٣ - قال معاوية لعماله: (انظروا من قامت عليه البينة أنه يجب علياً بن أبى طالب وأهل البيت فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه) ونتصور خطورة هذا القرار إذا عرفنا أن العطاء كان هو المصدر الوحيد لرزق أكثرية رعايا الدولة الإسلامية آنذاك. ۴ - وقال معاوية لعماله: (من اتهمتموه بموالاة على بن أبى طالب وأهل بيت النبوة فنكلوا به واهدموا داره) فصار بإمكان الوالى، فى أى بلد أو كورة، أن يهدم دار أى مسلم بجرم موالاة على بن أبى طالب أو أهل بيت النبوة. ۵ - أمر معاوية عماله: (لا تتركوا خبراً رواه أحد من المسلمين فى أبى تراب إلا وتأتونى بمناقض له فى الصحابة، فإن هذا أحب إلى وأقر إلى عينى وأدحض لحجة أبى تراب وشيعته)! وبناء على هذا (المرسوم) يتولى عمال معاوية، إذا شاع قول الرسول لعلى: (أنت ولى كل مؤمن ومؤمنة من بعدى)، على سبيل المثال، إيجاد المحدثين الذين يتولون اختلاق حديث عن رسول الله ينفى الحديث السابق، ويعطى مزاياه لصحابى آخر. فقرأت كتب معاوية (ومراسيمه) على الناس فى كل كورة فقام الخطباء، وعلى كل منبر، يلعنون علياً بن أبى طالب ويقعون فيه وفى أهل بيت النبوة [۵۷] . [صفحه ۴۸] ومع ضغط الدولة، ووسائل إعلامها تكون رأى عام يرى أن الزندقة والكفر أخف جرماً من التشيع لأهل بيت النبوة أو من موالاتهم. وبالفعل، فإن الزنادقة والكفار والمنافقين لم يتعرضوا لعشر معشار ما تعرض له أهل بيت النبوة وشيعتهم. قال المدائنى: (ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين، وولى عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف الثقفى، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض على وموالاة أعدائه، وموالاة من يدعى أنهم من أعدائه) [۵۸] . لم تتوقف الدولة الأموية عن التنقيب المستمر لإيجاد شخصيات إسلامية تأخذ الفضل من على، أو تسبقه فى هذا الفضل، وعن إيجاد جماعات إسلامية تقف على قدم المساواة مع أهل بيت النبوة وتسبقهم، فاخترع الأمويون وأشياعهم (" نظرية عدالة الصحابة) بثوبها الفضفاض، ونسبوا للصحابة جميعاً من الفضائل ما لم يخطر على البال لا حباً بالصحابة، ولكن إرغاماً لأنوف أهل بيت النبوة ومواليهم! قال ابن عرفة، المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، فى تاريخه: (إن أكثر الأحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيام بنى أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم) [۵۹] . واستغل العباسيون حالة التعاطف مع قضية أهل بيت النبوة، وشكلا شيعة خاصة بهم، وغلب العباسيون بنى أمية فحكموا، وكان المفترض أن تخف الوطأة عن أهل بيت النبوة وشيعتهم بسقوط الحكم الأموى وقيام حكم بنى العباس أبناء عمومة الإمام على، ولكن حكم بنى العباس لم يقل وطأه على أهل البيت وشيعتهم من الحكم الأموى. وغلب العثمانيون بنى العباس وأقاموا دولتهم الجديدة على أنقاض الدولة العباسية. وبقيت شيعة أهل بيت النبوة هاجس الدولة التاريخية، وبقى الحصار مفروضاً عليها. ومع أن دولة الخلافة التاريخية قد سقطت رسمياً [صفحه ۴۹] بسقوط آخر سلاطين بنى عثمان ; إلا أن الثقافة التى زرعتها فى نفوس العامة عن الشيعة والتشيع، بمعناه (العرفى) الجديد، لم تسقط بعد، بل ما زالت ضاربة الجذور فى نفوس العامة عموماً والحركة الوهابية خصوصاً، وبقيت هذه الثقافة، جزءاً لا يتجزأ من معتقدات العامة. وهذا يتعارض مع توجه الأمة لتوحيد كلمتها وجهدها فى مواجهة أعدائها! إنه لمن المدهش حقاً أن يتمكن أهل بيت النبوة من المحافظة على تواصل بقائهم فى هذا المناخ العاصف. ومن المثير

للدهشة، أيضاً، أن يبقى لأهل بيت النبوة شيعة تتبنى قضيتهم وتقول بحقهم بالإمامة والولاية والقيادة أمام هذه الأمواج العاتية من العداء فى الوقت الذى تتبعثر فيه كل الشيع ويتحول فكرها وقادتها إلى مجرد كلمات مختصرة فى صفحات التاريخ. صفوة المجتمع والخلاصة أن التشيع يعنى موالاة القيادة الإلهية، أى الصفوة، وأن الشيعة هم قمة الوعى وهم الصفوة والنماذج الإسلامية المتحركة، وبهذا وصفهم الإمام محمد الباقر عليه السلام بقوله: (ما شيعتنا إلا من أتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع والتخشع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة، والبر بالوالدين، وتعهد الجيران من الفقراء وذوى المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم فى الأشياء) [۶۰] . فرق الشيعة استقر معنى كلمة (الشيعة) للدلالة على كل أولئك الذين يؤمنون بحق أهل بيت النبوة بالإمامة أو القيادة أو الولاية أو المرجعية من بعد النبى، بغض النظر عن درجات هذا الإيمان ودوافعه. والشيعة متفاوتون فى هذا الإيمان. وهذا التفاوت [صفحه ۵۰] ينجم عن قربهم من الأئمة أو بعدهم عنهم، ومعرفتهم أو جهلهم بالمنظومة الشرعية الإلهية التى عالجت حق أهل بيت النبوة بالإمامة أو القيادة أو الولاية أو المرجعية من بعد النبى. فرق الشيعة فى عهد الرسول لقد بذر الرسول أول بذور التشيع لأهل بيت النبوة بأمر من ربه وتظافرت السنة النبوية مع القرآن الكريم لرسم إطار التشيع وتحديد الغاية منه، فالقرآن الكريم يعلن طهارة أهل بيت النبوة، ويسأل المؤمنين عن المودة فى القربى، ويؤكد أن أهل بيت النبوة هم أبناء النبى وبناته، وهم كنفسه. والقرآن الكريم يخصص جزءاً من واردات الدولة الإسلامية: الخمس من الأنفال لأهل بيت النبوة، ليضمن لهم مورداً كريماً ودائماً فى جمع الأزمان ليستعينوا به على الحياة وفى تأليف القلوب من حولهم، وجاءت السنة النبوية لتجعل من على وفاطمة والحسن والحسين الرموز الحية لعائلة أهل بيت النبوة أو مؤسستهم، ولتبين أن هؤلاء الأربعة هم أول المقصودين من اصطلاح أهل بيت النبوة، ومنعاً للالتباس، قدم رسول الله علياً بن أبى طالب ليكون وزيره الأول، وخليفته من بعده، وأعلن هذا النبأ فى اليوم نفسه الذى أعلن فيه أبناء النبوة والرسالة والكتاب، ولم تحمل البطون نبأ ولاية على من بعد النبى وخلافته له على محمل الجد، لأنها استبعدت أن ينجح محمد وأن يكون له ملك، وخليفة له على هذا الملك، لذلك تجاهلت نبأ الولاية من بعد النبى. وتابع النبى دعوته ونجح فى تكوين دولته فى الوقت الذى كان يتصدى فيه لعدوان بطون قريش. وخلال هذه الآونة لم يتوقف النبى عن تقديم على بن أبى طالب للأمة، فسماه الإمام، وسماه الهادى، وسماه القائد، وسماه الولى، وسماه الخليفة. وفى غدير خم، أعلن أمام المسلمين أن علياً بن أبى طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو ولى ومولى كل من كان النبى وليه ومولاه، وسأل الله أن يوالى من يوالى علياً وأن يعادى من عاداه، فبايعت جموع المسلمين علياً بن أبى طالب ولياً وأميراً وإماماً وخليفة من بعد النبى. وكان أول المبايعين أبو بكر وعمر وعثمان وبقية التسعة الذين انتشر خبر تبشيرهم بالجنة. بعد ذلك وفى المقام نفسه أعلن [صفحه ۵۱] النبى أن الإسلام كله من بعد النبى يتألف من ثقلين: أحدهما كتاب الله وهو بمثابة القانون النافذ للدولة، وثانيهما عترة النبى أهل بيته. وأقسم للحاضرين بأن الهدى لا يمكن أن يدرك إلا بالثقلين معاً، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إطلاقاً إلا بالثقلين معاً. وزيادة فى الإيضاح أكد النبى أن علياً بن أبى طالب وشيعته هم الذين عناهم الله بقوله (أولئك هم خير البرية) [البينة / ۶] وأن علياً وشيعته سيدخلون الجنة غراً محجلين، وأنه لا مكان فى الجنة لمن لا يوالون علياً وأهل بيت النبى! وهكذا قاد الرسول بنفسه الدعوة للتشيع إلى على وأهل بيت النبوة لأنه أراد أن تكون الأمة المؤمنة حزباً واحداً (شيعة) تقف من وراء على وأهل بيت النبوة طوعاً ومن دون إكراه، وأراد أن يمزج التدين بالتشيع، وأن يربط القرآن بأهل البيت، وأهل البيت بالقرآن وأن يجعل من هذه الوحدة الطريق الفرد للهدى، والواقى المنيع من الضلالة، ومن الطبيعى أن الرسول قد فعل ذلك كله بأمر من ربه. أثبت الإمام على بن أبى طالب، خلال مرحلتى الدعوة والدولة، تميزه وأهليته بجميع المراتب التى اختصه الله تعالى بها وأعلنها نبيه للمسلمين، فكان واضحاً للقاصى والدانى، للعدو والصديق أن علياً هو الأقرب للنبى فهو ابن عمه الشقيق، وقد حضنه النبى ورباه فى حجره كابنه، وهو زوج ابنته البتول، ووالد سبطيه وابن عمه أبو طالب الذى احتضن النبى صغيراً ورباه ثم حماه بنفوذه عندما أعلن نبوته، وهو ابن المرأة الفاضلة التى احتضنته وعاملته كأم وأحبته أكثر من أولادها. ثم إنه الأعلم بالدين والأفهم والأتقى، والأشجع والأفضل لقد كان فارس الإسلام،

وأوحد زمانه، لذلك كان خليقاً بكل المراتب التى أعلنها النبى، وكفاه فخراً أن الله تعالى قد اختاره لذلك وأهله وأعده. ومن هنا كان التشيع للإمام على بن أبى طالب ولأهل بيت النبوة منهجاً رسمياً للدولة النبوية باعتباره إعداداً لمرحلة ما بعد النبوة. فكان التشيع لعلى بن أبى طالب جزءاً لا يتجزأ من الدين، فمن والاه وأطاعه فقد والى النبى وأطاعه، ومن رفض ولايته وعصاه فقد رفض ولاية النبى وعصاه، ومن سبه أو آذاه فقد سب النبى وآذاه. لقد صار الإمام علماً للهدى فلا يحبه [صفحه ۵۲] إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق. ومن هنا فقد قبلت الأمة الإسلامية ذلك، فأظهرت أو تظاهرت بالتشيع لعلى وأهل بيت النبوة، لأنه بغير هذا لن يكتمل الإيمان. يقول معاوية بن أبى سفيان، وهو عدو الإمام اللدود، فى رسالة وجهها لمحمد بن أبى بكر بالحرف: (وقد كنا، وأبوك معنا، فى حياة من نبينا نرى حق ابن أبى طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده.. فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه على ذلك اتفقا واتسقا...) [۶۱] . تدل هذ الرسالة على أن الجميع كانوا يتشيعون للإمام على أو يتظاهرون بذلك. إذا كانت هذه حقيقة نظر معاوية للإمام على الذى قتل أخاه، وجده وشقيق جده وخاله وابن خاله وتسعة من أبناء عمومته فمن باب أولى أن تكون الرعية كلها مثله. لقد قبل المسلمون إمامة الإمام على واعتبروه قدراً مقدوراً، كالنبوة وقبلوا قيادة أهل بيت النبوة المستمرة للمجتمع الإسلامى، ولولا الانقلاب الذى قادة قادة بطون قريش، لأسباب بعضها قبلى ; لما اختلف على التشيع للإمام ولأهل بيته اثنان، ولسارت أمور الأمة سجحاً إلى القيامة. والذى يعنينا هنا أن التشيع لعلى بن أبى طالب والقول بإمامته وبحق أهل بيت النبوة بالإمامة والولاية والقيادة من بعد النبى كان خطا عاما مسلما من الجميع، أو هكذا تظاهر الجميع من دون إكراه. ومن هنا كان الناس جميعهم شيعة، وكانت الشيعة فرقة واحدة، واندمجت فكرة التشيع مع الدين، وصارت وجها من وجوهه، وامتازت عقيدة التشيع فى تلك المرحلة بالبساطة والوضوح، وتلخصت فى أمرين: ۱ - قانون نافذ يتكون من القرآن الكريم وبيان النبى لهذا القرآن. ۲ - قيادة سياسية منحصرة بعمادة أهل بيت النبوة، وأول العمداء على بن أبى طالب. [صفحه ۵۳] التشيع فى عهد الخلفاء الثلاثة لما أراد النبى أن يكتب توجيهاته النهائية، وهو على فراش الموت وجد نفسه وجهاً لوجه أمام بطون قريش: مهاجرها وطليقها، ومن خلف البطون المنافقون والمرتزقة من الأعراب! وجد نفسه أمام حزب منظم وقوى يقوده صهره عمر بن الخطاب، فما أن قال النبى: قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، حتى قال عمر بن الخطاب: إن النبى يهجر، حسبنا كتاب الله! وعلى الفور رددت البطون وحلفاؤها: القول ما قال عمر! إن النبى يهجر! ونجحوا فى الحيلولة بين النبى وبين كتابة ما أراد. لقد تيقن النبى والقلة المؤمنة التى اصطفاها لتشهد كتابة توجيهاته النهائية. إنهم أمام الفتنة بعينها، وإن بطون قريش التى هزمها النبى، وهى على الشرك، جاءت لتهزم النبى تحت مظلة الإسلام! وإنها تهدف إلى هدم كافة الترتيبات الإلهية المتعلقة بالإمامة والقيادة والولاية من بعد النبى، وإنها تستعد لغصب حق أهل بيت النبوة الشرعى فى القيادة، والاستيلاء عليها بالقوة والتغلب والقهر، وتقديم الدين على طريقة البطون. لقد قدرت البطون ودبرت فأحكمت التدبير، فلو أصر النبى على كتابة توجيهاته لأصرت البطون وحلفاؤها على هجر النبى ; وفى ذلك هدم للدين وإبقائه طريقاً لملك البطون، وقدر النبى أن عهوده ومواثيقه اللفظية وتأكيداته التى تكررت تكفى المؤمنين ليحموا الشرعية الإلهية بسواعدهم، فإن تخاذلوا عن حمايتها فسيذلوا ويحرموا نعمة هذه الشرعية الإلهية، وسيتفرقوا. وإن تفرقوا لن يجتمعوا إلا بالعودة إلى هذه الشرعية بعد أن يمسهم الشيطان بنصب وعذاب. وخرجت البطون من بيت النبى منتصرة، واغتنمت فرصة انشغال أهل بيته بتجهيزه وتكفينه، ونصبت خليفة، وبايعته بطون قريش، وبايعه المنافقون والمرتزقة من الأعراب، وأصحاب المصالح من الأنصار، وعزل أهل بيت النبوة وبنو هاشم والقلة المؤمنة وصاروا أقلة كما كان وضعهم فى مكة قبل الهجرة. وواجه الإمام على وأهل البيت والفئة المؤمنة واقعاً سياسياً لا طاقة لهم بمواجهته [۶۲] . [صفحه ۵۴] إلغاء النهج العام للتشيع وتجميده عند ما نجحت بطون قريش فى انقلابها الذى قاده صهرا النبى، واستولت بالقوة والتغلب والقهر على منصب الخلافة اتخذت سلسة من التدابير والقرارات المؤلمة، نجحت، من خلالها، بإلغاء النهج العام الذى رسمه النبى للتشيع لعلى بن أبى طالب بخاصة وأهل بيت النبوة بعامة، فبدلت رسمياً واجب الولاء لأهل بيت النبوة بالولاء لقريش، وجعلت الولاء لخليفة البطون بديلاً من الولاء لعلى بن أبى طالب، وجمدت التشيع تجميداً كاملاً من عدة طرق هى: ۱ - منع رواية الأحاديث

النبويـة المتعلقة بالتشـيع لأهل بيت النبوة بعامة ولعلى بخاصة وكتابتها، وحرق المكتوب منها. ۲ - تحطيم الرموز التى ينبغى شـرعاً على الناس أن يوالوها. فقـد جر الخليفـة الإمام على بن أبى طالب جراً، وهدد بالقتل إن لم يبايع، وشـرع جيش الخليفة فى حرق بيت فاطمة بنت الرسول محمد على من فيه، وفيه فاطمة والحسن والحسـين سـبطا الرسول. ۳ - حرمـان أهل بيت النبوة من حقهم فى ميراث النبى، ومصادرة المنح التى أعطاها لهم النبى حال حياته! وحرمانهم من حقهم فى الخمس الوارد فى آية محكمة. ۴ - حرمان أهل بيت النبوة من تولى الوظائف العامـة وأوضـحت البطون لهم بأنه إذا ما أرادوا العيش فإن عليهم أن يقفوا أذلـة أمام بيت الخليفـة ليأخذوا حاجتهم من المأكل والمشـرب! واستعملت سلطات الدولة ونفوذها لصد الناس عن موالاة على وأهل بيت النبوة ونجحت فى ذلك. ومن خلال هـذه التـدابير المؤلمـة اسـتطاعت دولة البطون أن تعزل علياً وأهل بيت النبوة اجتماعياً وسياسـياً واقتصادياً، وأن تذلهم إذلالاً بالغاً، وأن تظهرهم فى مظهر الـذين لا حول لهم ولا قوة. وما يعنينا أن دولـة البطون ألفت، رسـمياً وعملياً، النهـج العام للتشـيع الذى رسـمه النبى، وجمـدت التشـيع تجميداً تاماً، والقلة التى اختارت الوفاء بعهد الله رسوله، والبقاء على ولائها وتشـيعها لعلى خاصة وأهل [صـفحه ۵۵] بيت النبوة عامة كتمت ولاءها وتشـيعها، وتظاهرت بتقبل ما حدث حفظاً لحياتها ومصالحها، وبقيت عقيدتها بالتشـيع على بساطتها التى كـانت سائـدة فى زمن الرسول، فهى تؤمن بالقرآن وبيان النبى لهـذا القرآن قانوناً أبـدياً للأمـة، وتؤمن بعلى بن أبى طالب وأئمـة أهل بيت النبوة قيادة أبدية للأمة من بعد النبى، ولكنها اضطرت لإخفاء هذا الإيمان. بمعنى أنه لم يكن للشيعة فرق فى هذا العهد إنما كانوا فرقة واحدة. عودة النهج العام للتشيع بعد مقتل خليفة بطون قريش الثالث عثمان، وتسـلم الإمام على منصب الخلافة، رفع جميع القيود التى وضعها الخلفاء الثلاثة، وأخذ يكشف النقاب ويذكر الأمة بالنصوص الشرعية التى عالجت منصب القيادة من بعد النبى. ولم تمض آونة بسيطة على حكمه حتى أدركت الأكثرية الساحقة من المسلمين، أن المياه قد عادت إلى مجاريها، وأن الحق قد عاد إلى صاحبه، وشـعرت كأنها اسـتفاقت من حلم، وأعلنت الفئـة المؤمنـة حقيقـة إيمانها وفتـح الإمام بعض مغاليق علمه بالقـدر الـذى تتحمله العامـة، وعادت سـيرة البطل لتشق طريقها إلى الأسماع من دون قيود، وبهر الجميع بمسلك الإمام الشخصى وعدله وجلال قدره، فالتفت حوله قلوب المخلصـين فتشـيعوا له ولأهل بيته، وتشـيعت البقية أو تظاهرت بالتشـيع. وصار التشـيع لأهل بيت النبوة النهج العام للمجتمع، بعد القضاء على حزب عائشـة وطلحة والزبير، ودانت البلاد الإسـلامية لحكم الإمام وقيادته ولم تبق إلا ولاية الشام التى أعلنت عصـيانها له بقيادة معاويـة بن أبى سـفيان. خلال هـذه الحقبـة كانت الشـيعة فرقة واحدة ولعقيدتها البساطة التى كانت سائدة فى عهد النبى و تقوم هـذه العقيـدة على حديث الثقلين الذى يؤكد أن قيادة الأمة حق خالص لأئمة أهل بيت النبوة. الاختلاف ونشوء الفرق وقف الصـحابة المخلصـون جميعهـم مع الإمـام على فى سـلمه وحربه ومعهم عامـة المسـلمين، ووقفت بطـون قريش ومعهـا المنـافقون والمرتزقـة من الأعراب [صـفحه ۵۶] وأهل الشام مع معاويـة، الـذى اسـتعد لهـذه المواجهة طوال مدة حكمه لولايته الشام التى امتدت قرابة عشـرين عاماً. كانت مواجهة بين القوة والشرعية، لقد أنهكت الحرب معسكر الإمام وحدثت معركة صفين، ورجحت كفة الإمام ومعسكره، ولا حت بوادر هزيمـة معاويـة وجيشه فاخترع معاويـة وابن العاص خدعة رفع المصاحف على الرماح، وشـعار (هذا كتاب الله بينا وبينكم)، ودب الخلاـف فى معسـكر الإمـام، فمنهم من يقول: هـذا كتـاب الله، ومنهم من يقول: تلـك خدعـة من رجلين لاـ يعرفـان كتـاب الله. وتوقف القتال، واشـتد الخلاف فى معسكر الإمام، وصار الإمام نفسه مأموراً بعد أن كان آمراً، ووجدت الأكثرية فرصة للقعود والدعة، وتهيأ المناخ لنشوء الفرق والأحزاب، الفئـة المؤمنـة، وهى قلـة بقيت على ولائها للحق لم تتزعزع، والأكثريـة الساحقـة فتحت آذانها لما يقال وهو كثير، وفتحت قلوبها للهوى الـذى انفلت من حواجزه، وتبعثرت وتشـرذمت الكثرة طرائق بدداً. كان هم الإمام أن يعيد الكثرة إلى خط القلة المؤمنة، وكانت المهمة عسيرة إن لم تكن مستحيلة، فقد ألقى الخلاف أجرانه فى معسكر الإمام وأفلتت أزمة الأمور من يـده، وعبر عن واقع الحـال بقوله: (لاـ رأى لمن لا يطاع). وأخيراً صـمم الإمام أن يـدعو على أولئك الـذين رفضوا طاعته، وأن يخرج وأهل بيته والقلـة المؤمنة التى أطاعته إلى حرب معاوية. فى قمة هذا التصـميم، وبينما كان الإمام يسـتعد لأداء الصـلاة فى صبيحة أحد أيـام شـهر رمضان كان السـيف الغـدر، بيـد أشـقاها ابن ملجم، وما أن دلف الإمام إلى المسـجد حتى هوى السـيف على رأس أتقاها،

ومات أفضل المسلمين بعد النبى، وبايعت القلة المؤمنة الحسن، وتبعهم الذين بايعوا أباه. وجهز الإمام على الفور جيشاً لمقاتلة معاوية، وسار الجيش بقيادة عبيد الله بن العباس، ومن دون علم الإمام جرت مفاوضات بين معاوية وبين عبيد الله أسفرت عن حصول الأخير على رشوة كبيرة من معاوية فالتحق ومعه ثلث الجيش بمعاوية. لم يستسلم الإمام إنما خرج ومعه فئة من المؤمنين لينضموا إلى ما تبقى من الجيش، وليقاتلوا معاوية، وفجع قلب الإمام الشريف عندما اكتشف أن فرقة ممن تبقى من جيشه كانت تخطط للقبض عليه وتسليمه حياً لمعاوية مقابل مبلغ من النقود، وأن هذه الفرقة قد شرعت فى ذلك وطعنته وهجمت على فسطاطه ونهبته! [صفحه ۵۷] عندئذ تيقن الإمام أن الاستمرار فى مواجهة معاوية عسكرياً فى هذه الظروف انتحار حقيقى سيؤدى حتماً إلى إبادة الفئة المؤمنة إبادة تامة، وخلو الساحة من المؤمنين، وهذا ما يتمناه معاوية وبطون قريش، وبالنتيجة سينتصر معاوية. لذلك، وحرصاً من الإمام على ما تبقى من الفئة المؤمنة ومن أهل بيت النبوة، قرر أن يتنازل لمعاوية عن الخلافة بشروط، حتى لا يضطر يوماً إلى التنازل عنها من دون شروط، وجرت مفاوضات، وقبل معاوية بشروط الإمام، ووقع على التزامه بها، وتنازل الإمام رسمياً، وصار معاوية بالقوة والقهر خليفة جميع المسلمين. وبعد أن تم له ما أراد، لم يف بعهد الله، ولم يحترم توقيعه على شروط الحسن. وظهر معاوية على حقيقة ملكاً لا مطمع له إلا الملك، وما كانت الشعارات التى رفعها سوى ستار يخفى تحته أطماعه. وبعد أن استهل معاوية عهده الجديد، أخذ الناس يقارنون بين عهده وعهد على، وسيرته وسيرة على، وعدله وعدل على، وعلمه وعلم على، وأصله وأصل على، فندموا وتباكوا على الإمام وعلى كل ما كان يرمز له (ولات حين مندم) واضطروا إلى مواجهة عسف الملك الذى أقاموا ملكه بأيديهم وأعمالهم! الفئة التى تشيعت لله ولرسوله ولأهل بيته بقيت على عهد الله لم تتغير، ولم تهتز قناعاتها بأن القيادة والمرجعية حق خالص لأهل بيت النبوة، ولكنها اضطرت أن تخفى هذه القناعات تماماً كما أخفتها فى عهد الخلفاء الثلاثة حرصاً منها على حياتها ومصالحها الهزيلة. وهؤلاء الباقون على عهد الله هم الشيعة. والفئات التى تباكت من ظلم معاوية وولاته وفقدت عدل الإمام وسيرته، بدأت من الصفر وأخذت تكون لنفسها قناعات مختلطة تتضمن نوعاً من الموالاة لأهل بيت النبوة، ولكنها ليست الموالاة الشرعية إنما هى تعبير عن المعاناة، أولئك ليسوا شيعة. التشيع، من منظور السلطان، جريمة تفوق جريمة الكفر بعد أن استقام الأمر لمعاوية ولبطون قريش، وأنشبوا أظفارهم فى أعناق المسلمين وقلوبهم لم يكتفوا بإلغاء النهج العام للتشيع الذى كان سائداً زمن النبى، [صفحه ۵۸] وزمن على، ولم يكتفوا بطمس النصوص الشرعية التى تبرز علياً وأهل بيت النبوة وتؤكد حقهم فى القيادة والمرجعية، بل سخروا كل إمكانيات الدولة وطاقاتها الهائلة للتشكيك فى هذه النصوص الشرعية، ولاختلاق فضائل ونصوص نبوية لمعاوية وقادة البطون ما أنزل الله بها من سلطان، وفرض هذه الفضائل والنصوص المختلفة على الناس وجعلها منهاجاً تربوياً وتعليمياً لرعايا دولة معاوية. وأبعد من ذلك فإن معاوية وقادة البطون صوروا علياً بن أبى طالب فى صورة الشيطان (حاشاه) وفرضوا على الرعية لعنه وسبه والتبرؤ منه ومن أهل بيت النبوة. وأصدر معاوية، بوصفه سلطان المسلمين، سلسلة من (المراسيم الملكية) عممت على كافة ولاته، وفى كل أقاليم دولته، أمرهم فيها بأن يمحوا من ديوان العطاء كل من يشتبهوا بموالاته لعلى بن أبى طالب وأهل بيت النبوة، وألا يقبلوا له شهادة، وإن ظنوا بأن أحداً من المسلمين يحب علياً وأهل بيت النبوة فعليهم أن يهدموا داره وأن يقتلوه على الفور. فصارت كلمتا الكفر والزندقة أخف بمليون مرة من كلمة التشيع، وصار الكفرة والزنادقة ملوكاً إذا ما قيسوا بالشيعة، وصارت الانتماء إلى الشيعة من الجرائم الكبرى التى تعرض مرتكبها للقتل من دون محاكمة، وعلى الشبهة! وصارت هذه (المراسيم) جزءاً من المنهاج التربوى والتعليمى للدولة يتناقلها الناس، جيلاً بعد جيل. وما يعنينا أن الفئة المؤمنة بحق أهل بيت النبوة بقيادة الأمة بقيت على إيمانها، ولكنها أخفت هذا الإيمان فى حرز منيع، وكان هم الشيعة منصباً بالدرجة الأولى والأخيرة على المحافظة على الحياة. فلم يعد بوسع أحد منهم أن يقول لخادمه بأنه من الشيعة. كم كان الواحد منهم يتستر على إيمانه تماماً كتستر مؤمن آل فرعون بل وأشد تستراً، لأن البديل الآخر هو الموت. وتركت الساحة لمعاوية ولبطون قريش لينجحوا فى تحريف الحقائق بقوة الدولة وسلطانها! لذلك تشبثت الشيعة بالحياة لا حرصاً عليها، ولكن طمعاً بنقل الحقيقة من جيل إلى جيل وبيانها للناس، وفاء بما أخذه الله على العلماء. المذبحة الكبرى لما شعر معاوية بدنو

أجله، وليتم بالصالحات أعماله، أخذ يعد العدة ليستخلف ابنه يزيد من بعده، وشجعه على ذلك تأييد البطون والمنافقين والمرتزقة [صفحه ۵۹] وجند الشام المجندة تحت أمرته، وخيراتها المكنوزة لحاجاته الشخصية. ويزيد هذا شاب سكير مشهور بخلاعته وقلة دينه ومجونه وتفاهته. ولكن، وكما فرض نفسه على الأمة بالتغلب والقهر، أراد أن يورثها لابنه باعتبارها جزءاً من ممتلكاته الخاصة، وقدر معاوية أن أهل المدينة الذين يعرفون يزيداً لن يقبلوه، وبالتالى فستكون الفرصة ذهبية للقضاء التام على ما تبقى من المؤمنين. وبعد أن استخلف يزيد وعهد إليه ; أوصاه بأن يرسل مسلم بن عقبة إلى المدينة إذا ثار أهلها، ويبدو واضحاً أن معاوية قد تفاهم مع مسلم بن عقبة على ما ينبغى فعله بأهل المدينة. مات معاوية، وجرت (مراسيم) بيعة الخليفة الجديد يزيد مع مراسيم العزاء بموت الخليفة القديم معاوية، وطلب من الحسين بن على بن أبى طالب سبط النبى، وابن على، أن يبايع يزيد ليكون حاكمه وإمامه وقائده! وأهل المدينة يتفرجون لا يدفعون هذا الحرج عن سبط النبى لا بيد ولا بلسان، فوعد الإمام أن ينظر فى الطلب، ولما أرخى الليل سدوله ودع الحسين جده، وخرج بأهله ومن اتبعه من ذرية أخية وأبناء عمومته خائفاً، وتوجه إلى مكة. وأحيط أهل مكة علماً بقدوم الحسين وأهله، وبإصرار ولاة يزيد على أخذ البيعة منه فلم يحركوا ساكناً، بل نظروا إليه كزائر من زوار بيت الله الحرام، وأمضى الحسين أياماً فى مكة ثم توجه إلى العراق. وفى كربلاء كان جيش يزيد بانتظاره هو وأهل بيته، كان جيش (الخلافة) قد تلقى أمراً حاسماً بالحيلولة بين الحسين وأهل بيته ومن معه وبين الماء حتى يموتوا جميعاً عطشاً تماماً وولاة العراق، وقادة جيش الخلافة الذى نهد ليذبح سبط النبى وأهل بيت النبوة أقل وأذل من أن يصدروا أمراً بهذه الخطورة وأن ينفذوه على مسؤوليتهم، بمعنى أن الخليفة الجديد ضالع من المؤامرة والمذبحة مثلها كان أبوه ضالعاً بها وشارك فيها الذين كتبوا للحسين! وما يدل ذلك أنه لم تكن هنا لك ضرورة عسكرية للقتال، فيمكن لجيش قوامه عشرون ألف مقاتل، أو أربعة آلاف مقاتل، أن يأسر، وبكل سهولة، رجلاً ومعه اثنان وسبعون شخصاً من أهل بيته وشيعته. لكن الوالى والجيش والخليفة الجديد والقديم ضالعون بالمذبحة، وقد اتخذوا قرارها، وهم ينفذونها فصلاً فصلاً. وبعد حصار طويل وبعد أن أشرف الحسين وأهل بيت النبوة وأطفال [صفحه ۶۰] النبى وبنانه على الموت عطشاً، شن عمر بن سعد بن أبى وقاص هجوماً شاملاً وانجلى الهجوم عن قتل الحسين وأهل بيت النبوة وأسر بنات النبى وأطفاله. ولم يكتف ابن سعد بذلك بل أمر كوكبة من خيالته بأن يطأوا بخيولهم جثة الحسين وجثث أهل بيت النبوة ومن معهم، وأن يقطعوا رؤوس القتلى ويحملوها على الرماح حتى يرى والى العراق والخليفة أفعال عمر بن سعد وبلاءه المجيد فى سبيل عرش معاوية وابنه! ورفعت الرؤوس، وسيقت بنات النبى، ولم تقع المذبحة إلا بعد أن أقام الحسين الحجة على القوم وبان لكل ذى عقل أن القوم أسفل من الكفرة، وأنها أحقاد على محمد وعلى وبنى هاشم وعملية ثأر لقتلى الأمويين فى معركة بدر، ولكن تحت خيمة الإسلام. وصدم العالم الإسلامى من هول ما جرى فى كربلاء، وانزعج أهل المدينة، وتمردوا على يزيد. وعملا بوصية معاوية، جهز الخليفة جيشاً من أهل الشام وسلم قيادته لمسلم بن عقبة، وصل مسلم إلى المدينة، وفى يوم واحد، هو (يوم الحرة) قتل عشرة آلاف مسلم وأباح المدينة ثلاثة أيام لجيشه وربط خيوله فى مسجد النبى، وختم أعناق الصحابة، وأخذ البيعة ممن تبقى من أهل المدينة على أنهم قول لأمير المؤمنين يزيد يتصرف بهم كما يتصرف السيد بعبيده، إن شاء باعهم، وإن شاء استخدمهم وإن شاء قتلهم، يفعل بهم ما يشاء! استسلمت الأمة لآل أبى سفيان بخاصة ولبنى أمية بعامة، وذاقت وبال أمرها بمعصيتها لنبيها وخذلانها أهل بيته الذين أمرها الله بتقديمهم فذبح الطغاة ساداتها، ثم ذبحوا عامتها. ودخل حفيد أبى سفيان المدينة رداً على دخول محمد لمكة، ولكن تحت مظلة الإسلام! نهج التشيع النهائى، والفرقة الناجية بعد المحن التى تعرض لها أهل بيت النبوة، والتى جاوزت المدى فى مذبحة كربلاء، انسحب الإمام على بن الحسين زين العابدين من الحياة السياسية وشكا بثه وحزنه لله تعالى بأدعية تهز مشاعر النفس البشرية، وركز فى الحياة العامة على العلم وتعليم الناس وإيصالهم إلى نبع علم النبوة الحقيقى. لقد تيقن الإمام أن وصول أهل بيت النبوة إلى منصب القيادة لا ـ يحل مشاكل المسلمين الناجمة عن [صفحه ۶۱] تغيير دولة البطون لكافة الترتيبات الإلهية المتعلقة بالقيادة، والحل الوحيد لمشاكل الأمة تتمثل فى تحصين الأمة ضد الإنحراف وإعادة بنائها من جديد فرداً فرداً، وعلى هذا اتفق أئمة أهل بيت النبوة واتسقوا، فانصب جهدهم على نشر علم النبوة النقى

فی جمیع أوساط المسلمین، واتخاذ التدابیر التی تؤدی إلی بقاء الفئة المؤمنة التی التزمت بموالاتهم (الشیعة) وتنظیم هذه الفئة تنظیماً یضمن استمرار وجودها، وتثقیفها تثقیفاً معمقاً بثقافة أهل بیت النبوة التی تمثل الثقافة الإسلامیة فی أنقی صورها وأروعها، بما فی ذلک إیجاد النظام التکافلی الاقتصادی الذی یغنی أفرادها عن الحاجة إلی دولة البطون. ومضمون التشیع فی نهجه الجدید لا یختلف عن مضمونه فی عهد النبوة، فالمطلوب من الشیعی أن یلتزم بمبدأین: أولهما القرآن الکریم وبیان النبی لهذا القرآن، وثانیهما الإیمان بأن قیادة الأمة ومرجعیتها حق خالص لأهل بیت النبوة، وبالتحدید لأئمة أهل بیت النبوة الإثنی عشر الذین سماهم رسول الله، أولهم علی وثانیهم الحسن وثالثهم الحسین، ثم تسعة من ولد الحسین آخرهم المهدی المنتظر محمد بن الحسن، فمن آمن بذلک فهو شیعی، ومن الفرقة الناجیة، ومن لم یؤمن بذلک فأمره متروک لله. فالمضمون ثابت لم یتغیر والذی تغیر هو (التکتیک) والتنظیم، وإعاة الترتیب لمواجهة الواقع السیاسی وثمرات النهج التربوی والتعلیمی التی أوجدتها دولة البطون، وهذه الفرقة من الشیعة هی الإمامیة الاثنی عشریة، وهی الفرقة الناجیة، إذ لا خلاف بین المسلمین علی أن الأئمة الشرعیین من بعد النبی هم اثنا عشر إماماً، وقد أخفقت دولة البطون علی الرغم من إمکانیاتها الضخمة طوال التاریخ فی بیان أولئک الأئمة الاثنی عشر ما یجعل إجماع أهل بیت النبوة علی أسمائهم وترتیب أزمانهم الحجة الوحیدة المؤهلة للبقاء. والمنتمون إلی هذه الفرقة یشکلون الأکثریة الساحقة من المؤمنین الموسومین بالتشیع، وقد التزمت هذه الفرقة بالخط العرفانی السلمی، فلم تلجأ للعنف، ولم تشترک عملیاً فی الثورات، لأن الأئمة کانوا یعرفون سلفاً نتائج هذه الثورات إنما کان جهدها منصباً بالدرجة الأولی علی معرفة الحقائق الشرعیة وتوسیع قاعدتها الشعبیة (إعادة بناء الأمة) وتحصین هذه القاعدة من الإنحراف، وصار لها مذهب معروف یسمی [صفحه ۶۲] بالمذهب الجعفری نسبة إلی الإمام جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر) بن علی (زین العابدین) بن الحسین بن علی بن أبی طالب. وسمی المذهب باسم جعفر لأنه عاصر إصرار دولة البطون علی حصر المذاهب الإسلامیة بأربعة: الحنفی والشافعی والمالکی والحنبلی نسبة إلی أسماء مؤسسی هذه المذاهب، فسمی مذهب أهل البیت بالمذهب الجعفری، وأصحاب المذاهب الأربعة کانوا تلامیذ الإمام جعفر الصادق، فهو أستاذهم باعترافهم. أما سبب عدم انتشار هذا المذهب فی أوساط العامة فیعود إلی حساسیة دولة البطون من أئمة أهل البیت النبوة ومن إصرار هذه الدولة علی طمس وجودهم وأولیائهم، ومن مناهجها التعلیمیة والتربویة التی غرست فی أذهان العامة مع التکرار والوراثة، وصورت أهل بیت النبوة فی الشواذ المبتدعة کما یقول ابن خلدون. وصورت أولیاءهم فی صورة الخارجین علی الجماعة الشاقین لعصا الطاعة. وجاءت الأجیال المسلمة اللاحقة فصدقت تلک المقولات واستبعدت أن یکذب السلف الصالح الذی فتح بدینه مشارق الأرض ومغاربها، فحتی الکثیر من علماء أهل السنة لا یعرفون جعفر الصادق ولا یدرکون فضله ویعتقدون أن أتباعه کفار! وما ذلک إلا من ثمرات المناهج التربویة والتعلیمیة التی أشاعها معاویة بخاصة وخلفاء البطون بعامة. فرق محسوبة علی الشیعة ۱ - الزیدیة: هم أصحاب زید بن الحسن بن علی بن أبی طالب، وأصحاب زید بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب، ومنهم تفرعت صنوف الزیدیة، ساقوا الإمامة بعد هذین فی أولاد فاطمة شوری بین أولادهما، فمن خرج منهم مستحقاً للإمامة فهو الإمام. ولذلک تبع بعضهم زیداً بن علی وبعضهم زیداً بن الحسن، وقالت الزیدیة بإمامة المفضول مع وجود الأفضل [۶۳] . ویلاحظ أن الزیدین قد خرجا علی خلیفة دولة البطون وکلاهما بطل، ولم یقل أحد منهما بأنه إمام شرعی معین من الله ورسوله، ولم یدع أحد منهما أن له فقه [صفحه ۶۳] خاص به ومستقل عن فقه أهل بیت النبوة، ولم یدع أحد منهما أنه أعلم من الإمام الشرعی الذی کان معروفاً فی زمانه کل ما فی الأمر أن الرجلین کرها ظلم خلیفة البطون وظلم دولته، وتعجلا الشهادة فنالاها، ولأنهما من أهل بیت النبوة، ولأنهما اعتبرا رمزاً للشجاعة والتضحیة فی زمانهما قال أتباعهما بإمامتهما بعد موتهما، وأن کلمة إمام صارت تطلق علی من هو أقل من الرجلین الشریفین شأناً فسمی أصحاب المذاهب الأربعة بالأئمة، وسمی أصحاب الصحاح الستة بالأئمة، وسمی کبار المفسرین بالأئمة، وقد شجعت دولة البطون هذا التوجه لتسحب تمییز إمام أهل البیت النبوة وتعممه علی أکبر عدد ممکن، وصولاً إلی إبطال مفاعیله تماماً کما عممت فکرة العدالة علی جمع الصحابة، وصولاً إلی إبطال مرجعیة أهل بیت النبوة وطهارتهم، فقیل عن کل من الزیدین إمام مع أنة لم یقل

هـذا عن نفسه. وليس من المستعبد أن تكون دولـة البطون قد شـجعت هذا التوجه لتظهر أهل بيت النبوة فى مظهر المختلفين اللاهثين وراء الإمامـة بمعناهـا الشـرعى واللغوى. ويبـدو أن أنصار الإمامين (الزيـديين) فى أكثريتهم من أهل السـنة الـذين كرهوا الظلم وأحبوا البطولـة، وليس أدل على ذلـك من قولهم بإمامـة المفضول مع وجود الأفضـل، ليجوزوا إمامـة أبى بكر وعمر وعثمان مع وجود على، وهو الأفضـل برأيهم. والـدليل الثـانى أن أحكـامهم السياسـية توفيقيـة، بمعنى أنها لا تريـد إثارة العامـة، وتضـحى بالنص طلباً للسـلامة والوفـاق الوطنى! ثم إنه ليس للزيـديين فقه خاص بهم ما جعلهم عالـة على الفقه الحنفى لأن أبا حنيفـة كان يتعاطف مع زيـد بن على ويقـول بشـرعية ثورته. ويلوح لى أن أكـثر أتبـاعه أصـناف قـد الـتزموا بـالفقه الحنفى وإن خلعوا عليه رداء أهـل بيت النبوة وعبـاءتهم للتبرك! ۲ – الإسماعيلية: وهـم أصحاب إسماعيل بن جعفر الصادق الذين أنكروا موته فى حياة أبيه، وزعموا أنه لا يموت حتى يملك الأرض، فيقوم بأمر الناس، وأنه هو القائم لأن أباه أشار إليه بالإمامة [۶۴] . [صفحه ۶۴] من المؤكد أن الإسماعيلية يقولون بإمامة على والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمـد الباقر وجعفر الصادق، ويبـدو أنهم فقـدوا الاتصال بحلقـة الأئمة فظنوا أن الإمام من بعد جعفر الصادق هو ابنه الكبير إسـماعيل، وعندما قيل لهم: إن إسماعيل قد مات حال حياة والده أنكروا ذلك. وقد صوروا إسماعيل فى صورة المهـدى المنتظر، فالإسـماعيلية كانت منقطعـة عن المصـدر اليقينى للمعلومات وهو الإمام، وربما كان الـدعاة بعيـدين عنه، ولم يجـالسوه، لأن مجالسـة الإمام وبحث هكـذا أمور فى غايـة العسـر والشـدة، فعيون دولـة البطون تجوب دوماً حول الإمام وتحصـى عليه حركـاته وسـكناته، وحركـات الـذين يتصـلون وسـكناتهم لتتأكـد من طبيعـة هـذه الإتصالات كل ذلك يـدفعنا إلى الاعتقاد أن إمامة إسـماعيل اجتهاديـة كان القصـد منها إقامة علم لأتباع أهل البيت والمتعاطفين معهم فى منطقة معينة، وإضـفاء الشـرعية على سادة هذه الحركة وقادتها. ومن المؤكد، أيضاً، أن (التكتيك) قد اختلط عندهم بالأصول وأن كثيراً من معارفهم وتوجهاتهم لا تمت لأهل البيت بصـلة، بمعنى أنهم لم يعلموهـا لأعضـاء الفرقـة الإسـماعيلية إنمـا هى من قبيـل الافتراض، أو من اجتهاد قادة هـذه الحركـة. وليس من المسـتبعد أن تكون عواطفهم صادقـة نحو أهل بيت النبوة، ولكنها كانت بحاجـة إلى التوجيه المباشـر من الأئمـة، وهـذا ما افتقرت إليه الحركـة الإسـماعيلية، بمعنى أن أمرهـا لم يكن بيـد الأئمـة، وأنها فقـدت الاتصال بهم وعوض القائمون عليها عن ذلك بالافتراض أو الاجتهاد. ۳ – الواقفية: تطلق هذه التسـمية على غير فرقة من فرق الشـيعة، وتتمثل فى من قال بإمامة أحد الأئمة ووقف بعد موته، وقال: إنه القـائم المنتظر. فالإسـماعيلية من الواقفيـة وبعض أتباع موسـى بن جعفر من الواقفيـة، وتعزى ظاهرة الواقفيـة إلى فقـدان الصـلة بين الأتبـاع وبين إمـام زمـانهم، وعـدم القـدرة على الاختلاط به والاسـتماع إليه ومعرفـة حقيقـة الحال، ووراء هـذه الظاهرة أحياناً اسـتبداد القائمين على هـذه الجماعـة أو تلك ورغبتهم الجامحـة فى الاستيلاء على ما فى أيـديهم من أموال جمعت باسم الإمام. [صـفحه ۶۵] إدعاء التشـيع كانت طريقـة اتصالات الأئمـة مع شـيعتهم تحير دولة البطون وتربكها، لذلك دست عيونها وجواسيسـها من حول الإمام، فـادعوا التشـيع، وهم ليسوا شـيعة، وغـايتهم منصـبة على معرفـة تحركات إمام الزمان وأعوانه، وعلى تحريف ما يسـمعونه منه وتشويهه ونشـره بين الناس ليكرهوا المسـلمين بأئمة أهل بيت النبوة وبأهل البيت، وليوحوا لهم بأن الأئمة وأولياءهم أعداء للإسلام، وأن الخليفة وبطانته هم حماة الإسـلام الحقيقى، ومن هذا الفرق اللعينة التى كانت تتلقى دعماً من دولة البطون لتظهر التشيع والموالاة ولتتقول على الأئمة وتشوه سمعتهم وأولياءهم الفرق التالية: ۱ – الفرقة الخطابية وتضم أصحاب أبى الخطاب، محمد بن أبى زينب الأجدع الأسدى. وقـد كشف الإمام جعفر أمر هـذا الرجل فلعنه وتبرأ منه، وحذر الشـيعة من شـروره. فأعلن أبو الخطاب كذبه علناً، وادعى أن جعفر بن محمـد جعله وصـياً وقيماً له، ثم ادعى النبوة والرسالة. وهذه الفرقة تقول بالرجعة والتناسخ [۶۵] . والـدليل على أن هذه الفرقة مجموعة من عيون دولـة البطون امتهنت الظهور بالتشـيع والتقول على الأئمـة أن أبـا الخطـاب وأعوانه كانوا يمارسون نشاطاتهم علناً. ۲ – الفرقة الغرابيـة: وتضم مجموعـة من عيون دولـة البطون وجواسيسـها ادعت التشـيع لتشويه معنـاه وتنفير النـاس منه ومن أهـل البيت وأئمتهم، فقالت هذه الفرقة: أن الله قد أرسل جبريل إلى على، فأخطأ وذهب إلى النبى لأنه كان يشـبهه، وقالوا أنه كان أشبه من الغراب بالغراب والذباب بالذباب [۶۶] وكانت هـذه الفرقـة تمارس نشاطها بعلم دولة البطون ومن دون أن تتعرض لأية معادلة. وهذا يؤكد أن أفرادها

موظفون فى دولة البطون غايتهم تنفير الناس من التشيع ومن موالاة أهل بيت النبوة. [صفحه ۶۶] ۳ - الفرقة العلباوية: وتضم أصحاب العلباء بن ذراع الدوسى الذى ادعى التشيع، وخرج بتقليعة جديدة مفادها أن علياً أفضل من النبى، وأن علياً بعث محمداً ليدعو إليه فدعا لنفسه، وجماعة من هذه الفرقة قالوا بألوهية أشخاص أصحاب الكساء وقالوا: خمسة فى شئ واحد! الجامع المشترك بين فرق الضلالة لا أحد فى الدنيا ينكر أن معاوية وأركان دولة البطون عدوا التشيع من جرائم الخيانة العظمى التى يعاقب صاحبها بالموت من دون سؤال أو محاكمة، وعدوا التشيع عملياً جريمة أشد خطورة من جريمة الكفر والزندقة. وقد ذكرنا أن معاوية أصدر لولاته سلسلة من (المراسيم) طلب فيها منهم أن يمحوا من ديوان العطاء والأرزاق كل من يشتبهون بموالاته لعلى وأهل بيت النبوة وأن لا يجيزوا لأحد منهم شهادة، وأن يهدموا بيت من يشتبهون بحبه لعلى وأهل بيته ثم يقتلوه. والسؤال هو: كيف استطاعت هذه الفرق أن تدعى التشيع علناً فى هذه الظروف؟ ولماذا لم تطبق عليها (المراسيم) معاوية، بل أعطيت كل الحرية لنشر أكاذيبها؟ واختلافاتها؟ والأهم أن أسماءها لم تمح من ديوان عطاء الخليفة بل زادت أرزاقها! كل هذا يؤكد أن قادة هذه الفرق وأعضاءها ما هم إلا عيون دولة البطون أو جواسيسها ومهمتهم التجسس على الأئمة وشيعتهم واختلاق الأكاذيب والأخبار الشاذة لتغيير الناس من أئمة أهل بيت النبوة وشيعتهم، ومن التشيع باعتبار أن حركة التشيع وقيادتها هما الخطر الحقيقى الذى يهدد مستقبل دولة البطون. ولغايات إجهاض الحركة العلمية الدينية التى قادها الأئمة لتقديم الإسلام للأمة بصورته النقية التى تلقوها من جدهم رسول الله، لقد كانت هذه الفرق مجرد دوائر حكومية تتقاضى راتبها من دولة البطون للغاية المحددة التى وجدت من أجلها. ثم إن معاوية قد أصدر (مرسوماً) لكافة ولاته فى جميع أقاليم مملكته أمرهم [صفحه ۶۷] فيه ألا يدعو فضيلة لأبى تراب إلا وجاءوا بمناقض لها فى الصحابة، فهذه الأخبار التى اختلقتها الفرق الضالة تصب فى مصب (مرسوم) معاوية. لقد فشلت جهود معاوية وأوليائه فى طمس البيان النبوى المتعلق بفضل على وأهل بيت النبوة، ففرعوا من مخططهم شعبة لهذه الاختلاقات. الشيعة الإمامية والفرق الضالة إن الشيعة الإمامية هى الفرقة الناجية لأنها والت الأئمة الاثنى عشر، وتتلمذت عليهم، وبالتالى تلقت الإسلام من أنقى مصادره، ترى أن مقولات الفرق الضالة وأشباهها تناقض الإسلام مناقضة تامة. لذلك لعن الأئمة الكرام هذه الفرق وتبرأوا منها وكشفوا حقيقتها وضلالتها للناس، وعزلوها عزلاً علمياً تاماً. وبفضل الله ومنته، فإن هذه الفرق قد اندثرت مع سقوط دولة البطون وانهيار دوائر تلك الدولة وانقطاع عطائها عن دعاتها ولم يبق من هذه الفرق نافخ نار وقيل: بعداً للقوم الظالمين. ۹۵ ٪ من الشيعة الآن إمامية. ادعاء التشيع والسعى إلى الجاه والسلطان هزت المحن التى تعرض لها أهل بيت النبوة وجدان الأمة هزاً عنيفاً، وأدركت الأمة أن لأهل بيت النبوة قضية عادلة، فتعاطفت قلبياً معهم، والفظائع التى ارتكبها خلفاء البطون أثارت استياء الأمة جلياً. ولكن الأمة كانت معقدة تماماً لا ترى لنفسها حولاً ولا قوة، فالثروة قد تكدست عند فئة قليلة، والأغلبية الساحقة تعانى الجوع والحرمان وتعتمد فى حياتها على الرزق أو العطاء الشهرى الذى يقدمه الخليفة وأعوانه، وليس من مصلحة أحد من هذه الأغلبية أن يغامر بعطائه ورزقه، وأن يدخل فى معركة فاشلة مع الخليفة وأعوانه! لذلك استمرأت الأمة القعود وسوغت ذلها وعجزها عن مواجهة الطغاة، فعند ما حدثت مذبحة كربلاء بكت عيون الأمة حسيناً بدموع من دم، وأدركت أن الساحة قد خلت نهائياً من فارسها المرتجى، وأدركت أكثرية الأمة أو هكذا أقنعت نفسها بأنها لا تملك إلا البكاء بصوت منخفض حتى لا يسمعها خليفة البطون وأعوانه فيغضبون ويقطعون [صفحه ۶۸] الرزق والعطاء فلا أحد يثق بأحد، ولا أحد ينجد أحداً، وكل واحد مرتبط بنفسه. لقد ماتت الأحاسيس تماماً. ولكن الأمة لم تخل من أبطال، لقد هال زيد بن الحسن الظلم فخرج، وقتل وصار بطلاً، تقر بذلك العيون والقلوب والعقول، ولكن الأصابع لم تكن تقوى على الإرشاد إليه، فكيف بالسيوف؟ وخرج الحسين بن على ثائراً على الظلم، واستشهد هو وأصحابه، وتعدد الخارجون على الظلم وتتابعت قوافل الشهادة وهذا الطراز لم يكن له مطمع إلا تحدى الظالمين والشهادة والدعوة لمن يرتضيه الناس من آل محمد. وهنا لك رجال مغامرون أدركوا أن الخليفة قد وصل إلى منصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر وجمع الأتباع، وها هو الخليفة ورجاله يتنعمون بما لذ لهم وطاب، ويرقصون فوق الجماجم والأشلاء، فى الوقت الذى تشقى فيه الغالية من الناس، فما الذى يمنع أولئك المغامرين من أن يجمعوا الأتباع كما جمع الخلفاء ويعدوا القوة كما

أعـد الخلفـاء، ويغصـبوا منصب الخلافـة كما غصـبه الخلفاء، ثم يتنعمون بخيرات الـدنيا كما تنعم الخلفاء!؟ من أجل هـذا رفعوا شـعار التشـيع لأهـل بيت النبوة لغايـات اسـتقطاب النـاس حولهم، ورفعوا شـعار مقاومـة الظالمين وشـرعية الخروج عليهم، مع أنهم لا يعرفون التشـيع، ولاـ يؤمنون به، ولاـ يـدرون تفاصـيل قضـية أهـل بيت النبوة، ولا مطمع لهم إلا الملك بغض النظر عن الوسـيلة التى يلجؤونها للوصول إليه، حتى إذا قبضوا على الخلافـة صـاروا أشـد على أهل بيت النبوة من أسـلافهم الـذين سـبقوهم إلى النار. أولئك مغامرون وجـائعو سـلطة، أرادوا المنـاجرة بكـل مـا يثير عطف الأمـة، ويسـتقطبها من حولهم، وهم على اسـتعداد لرفع أى شـعار يحقق لهم هـذا المطلب، سواء أكان التشيع لعلى أم التشيع لخليفة البطون. [صفحه ۷۰]

الإمامة بعد وفاة النبى

اشاره

طائفة جديدة من الأسئلة بعد ثلاثة أشهر هاتفنى صديقى السنى، وحددنا موعداً لجلستنا الثانية، أقبل الرجل بوجه طلق بشوش، فعانقنى بحرارة بالغـة، مبـدياً أصـدق العواطف، ثم جلسـنا فقال صديقى: لقد قرأت بتمعن ومرتين أجوبتكم عن كافة تساؤلاتى، وتفهمت الآن وبعمق مفهوم الشـيعة والتشيع وأشهد أن أجوبتكم التى جاءت تحت عنوان (مفهوم الشيعة والتشيع) تصلح أن تكون بحثاً مستقلاً وقائماً بذاته، لقد اسـتوعبت هذا المفهوم تماماً، وأصـبحت مهيأً لهجر الأفكار الخاطئة والخرافات التى كانت عالقة بذهنى عن الشـيعة والتشيع وقـد جئت طبقاً لاتفاقنا بطائفـة جديـدة من الأسـئلة آمل أن تتلطفوا بالإجابـة عنها. وناولنى ورقـة كتب عليها الطائفـة الثانية من أسـئلته وهى: يبـدو واضـحاً أن منصب الإمامـة أو الولايـة أو القيادة أو الرئاسـة العامـة للمسـلمين، من بعد النبى، كان السـبب فى حدوث أول خلاـف بين المسـلمين وأهمه. وربمـا كـان السـبب فى تفريق الأمـة إلى فرق شتى أهمهـا السـنة والشـيعة. فهـل تتفضل فتبين لى كيف عالجت الشـريعة الإسـلامية قضـية تولى هذا المنصب بعد وفاة النبى؟، وهل هنا لكـ نصوص تبين من يتولاه وكيفية انتقاله من شـخص إلى آخر، وهل اسـتبعدت هـذه النصوص، ولماذا؟ وكيف أمكن التغطية على اسـتبعاد نصوص شـرعية عممت على المسـلمين؟ وكيف أجمعت الأمـة على إنكار هـذه النصوص، ثم التنكر لها؟ وما هى أهم نقاط الخلاف والاختلاف بين شـيعة أهل بيت النبوة وغيرهم من الشـيع الإسلامية؟ راجياً أن توضح هذه النقاط - إن وجدت - توضيحاً كاملاً، مبيناً أدلة كل فريق من الفريقين، وهل هنالكـ تشابه بين نظام الخلفاء التاريخى، ونظام الأئمـة الشـرعى، وأرجو أن تكون الأجوبـة موثقة بما أمكن من الإيجاز، ويمكنكـ عند الاقتضاء الإشارة إلى مرجع يتضـمن هذه النصوص، وسأتولى بنفسى الرجوع إليه. وبتعبير جامع، ما هى عقيدة الشيعة فى الإمامة أو القيادة أو الولاية بعد وفاة النبى، مسـتذكراً ما ورد تحت عنوان مفهوم الشـيعة والتشيع؟ [صـفحه ۷۱] قلت لصـديقى السـنى: سـأجيب، إن شاء الله، عن كل تساؤلاتكـ، ولكن ليس وفق الترتيب الذى ذكرته، لأنه ترتيب نظرى يتجاهل مجريات الواقع التاريخى، وسـتكون إجاباتى تحت عنوان (الإمامـة أو الولايـة، أو القيـادة من بعـد النبى) من دون الإشـارة إلى تساؤلاـتكم، حتى إذا تسـلمت أجوبتنى تأكـدت ساعتهـا بأننى قد أجبت عنها جميعها، تاركاً الحكم لكـ على الأجوبـة. ويهمنى جـداً أن أسـمع رأيكـ، أو أقف على الأثر الـذى سـتتركه تلكـ الأجوبة عليكـ. [صفحه ۷۳]

التنكر لنصوص الإمامة

نجح تحالف شـيع بطون قريش الذى أسـفر عن ولادة الدولة التاريخية الإسلامية فى استبعاد كافة النصوص النبوية التى بينت الأئمة من بعـد النبى وطريقـة تنصـيبهم، مثلما نجحت فى زحزحـة أول أولئكـ الأئمـة على بن أبى طالب عن حقه فى الإمامة بعد وفاة النبى، وتم رسـمياً إلغـاء الـدور الشـرعى المميز لأهـل بيت النبوة باعتبـارهم أحـد الثقلين، لأن شـيع البطون قـد اجتهـدت فى دينها، ورأت أن من

مصلحة المسلمين ووحدتهم استبعاد الرجل الذى وتر بطون قريش فى أبنائها، واستبعاد ذريته ووضع حد للتميز الهاشمى. ورأت شيع البطون أنه ليس من العدالة والإنصاف أن يكون النبى من بنى هاشم وأن يكون الإمام أو الولى من بعد النبى منهم، وأن تحرم بطون قريش ال ۲۳ من هذين الشرفين معاً، والصواب والتوفيق يكمنان فى أن يكون النبى من بنى هاشم، وأن تكون الخلافة من بعده لبطون قريش تتداولها فى ما بينها [۶۷] . وهكذا قدم الاجتهاد على النص الشرعى لمصلحة رأتها شيع بطون قريش، وعطلت عملياً كافة النصوص الشرعية النبوية المتعلقة بتحديد الأئمة وبيان شخصياتهم ووسيلة تنصيبهم، وتم استبدال هذا النمط الشرعى الذى يغطى بالكامل وبالوضوح التام ظاهرة تعيين الإمام وتنصيبه فى إطار قواعد شرعية محكمة، بنمط اجتهادى مرن يحقق الغاية من إيجاده. ومع ولادة النمط الإجتهادى بذرت عملياً بذرة الخلاف والإختلاف بين المسلمين، واهتزت، ومن القواعد، [صفحه ۷۴] مؤسسة الإمامة أو الولاية أو القيادة فى الإسلام، ونمت تلك البذرة فى ما بعد فتمسك فريق من المسلمين بالنص وهم (الشيعة) وتمسك الأكثرية بالاجتهاد أو الشورى أو الاختيار أو التخلية، وهم أهل السنة، ولأنهم هم الذين حكموا الدولة التاريخية الإسلامية، فقد سخروا مواردها ونفوذها وإعلامها الهائل لدعم نظرية الاجتهاد (الشورى، أو الاختيار، أو التخلية) وإثبات شرعيتها وسدادها وصوابها، فعلا شأن هذه النظرية وألقت فى الأرض أجرانها وأصبحت العمود الفقرى لعقائد الأكثرية الساحقة من المسلمين، بل وقدموها للعالم بوصفها قاعدة النظام السياسى الإسلامى، وعودى دعاة النص، واعتبروا شذاذاً ومبتدعة وخارجين على الجماعة الإسلامية! أسباب استبعاد هذه النصوص يعود استبعاد هذه النصوص إلى أسباب كثيرة منها: النصوص الشرعية النبوية منصبة بالكامل على حصر منصب الإمام بعد وفاة النبى فى شخصيات مؤهلة من أهل بيت النبوة وهذه النصوص منصبة على إعطاء دور مميز لأهل بيت النبوة بقيادة الأمة من بعد النبى ما يعنى أن لا حظ لشيع البطون فى هذه (المكاسب جميعها) فاعتقدت أن هذه النصوص ما هى إلا ثمرة (اجتهادات) شخصية من الرسول الذى اختص ذريته بهذا الفضل كله، ولا علاقة للوحى بهذه (الاجتهادات النبوية)! ثم إن الرسول يتكلم بالغضب والرضى فهو بشر، ولا ينبغى أن يحمل كلامه كله على محمل الجد! ولا ينبغى أن ينفذ [۶۸] . وعلى هذا الأساس لم تر شيع بطون قريش حرجاً ولا غضاضة من ترك كلام النبى وحديثه والاجتهاد فى ما يهمها من أمور سبق للنبى الكريم وعالجها وبينها، ثم إنه لا علم لشيع بطون قريش، كما تزعم، بأن القرآن الكريم قد تطرق لمثل هذه الأمور، وإلا لما كان بالإمكان الاجتهاد فى مورد النص القرآنى! [صفحه ۷۵] بين النص والاجتهادات الشخصية ولتضفى شيع البطون الشرعية الدينية على اجتهاداتها وقناعاتها رفعت شعار (حسبنا كتاب الله) أى أن كتاب الله يغنى عن حديث النبى، ويغنى عن وصيته، ويغنى عن النبى نفسه عند الاقتضاء. فطالما أن كتاب الله موجود فهو يكفى، ولا حاجة لسواه. وقد رفعت شيع البطون هذا الشعار فى مواجهة النبى نفسه، فعندما أراد الرسول فى أثناء مرضه أن يكتب توجيهاته النهائية للأمة، قال قائل البطون: (إن النبى يهجر، حسبنا كتاب الله) [۶۹] وما أن أتم قائل شيع البطون قوله حتى قال من حضر من الشيع: (القول ما قال فلان، إن النبى يهجر حسبنا كتاب الله) [۷۰] . وهكذا صدمت شيع البطون خاطر النبى الشريف فصرف النظر عن كتابة توجيهاته النهائية، لأن الكتابة فى ذلك الجو صارت بمثابة باب من أبواب الفتنة. ولما تسلم أبو بكر الخلافة جمع الناس وخطبهم قائلاً: (إنكم تحدثون أحاديثاً تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن الرسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله) [۷۱] ، وليسد أبو بكر باب الاختلاف الذى ينتج عن أحاديث رسول الله نهائياً، وليضمن وحدة الأمة خلف قرآنها بات يتقلب ليلة كما تروى ابنته السيدة عائشة. وعندما أصبح الصباح، قام أبو بكر بحرق الأحاديث التى سمعها شخصياً من رسول الله، وقام بكتابتها بنفسه. وهكذا ينقطع دابر الخلاف والاختلاف ويصبح كتاب الله وحده هو الحاكم والحكم! وعند ما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب كان أول مشاريعه أن طلب من الناس وناشدهم ليأتوه بأحاديث الرسول التى كتبوها، وظن الناس أن عمر يريد أن [صفحه ۷۶] يجمع أحاديث رسول الله فأتوه بها، فلما وضعت بين يديه أمر بتحريقها جميعاً. وحرقت بالفعل [۷۲] . جاء فى كنز العمال [۷۳] ومنتخب الكنز: [۷۴] (أنه ما مات عمر حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق: عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبا ذر وعقبة بن عامر وقال لهم: ما هذه الأحاديث التى أفشيتم عن رسول الله؟. وروى الذهبى فى تذكرة الحفاظ [۷۵] فى

ترجمة أبى بكر أن عمر حبس ثلاثة بتهمة أنهم أكثروا الحديث عن الرسول الله، ولقد نهى عمر جيوشه عن التحديث عن رسول الله حتى لا يصد الناس عن القرآن [۷۶] ويجدر بالذكر أن عمر بن الخطاب كان أول من رفع شعار: (حسبنا كتاب الله). وقد رفع هذا الشعار أمام الرسول نفسه. وتولى عثمان الخلافة، من بعد عمر، وكان أول مشاريعه إصدار أمر بعدم جواز رواية أى حديث لم يسمع به فى عهدى أبى بكر وعمر [۷۷] ولما قبض معاوية على مقاليد الأمور أعلن بصراحة تامة: (أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبى تراب أو أهل البيت) [۷۸] وهكذا أحكم الطوق ولم يتسرب رسمياً أى نص من النصوص المتعلقة بالإمامة أو الولاية أو القيادة من بعد النبى. وقد جاء فى تعليل ذلك بأنه لا ينبغى أن يكون هنا لك مع كتاب الله، أو حتى لا يختلط الحديث مع القرآن، أو حتى لا يكون حديث الرسول سبباً فى اختلاف الأمة، وتفرق كلمتها بعد الاجتماع. [صفحه ۷۷] ۱۳۹۴ عاماً مقابل ۲۳ عاماً كانت حياة النبى، بعد البعثة، ۲۳ عاماً فى أرجح الأقوال، منها ۱۵ عاماً قبل الهجرة وثمانية أعوام بعد الهجرة بمعنى أن الرسول قد قاد الدعوة ۱۵ سنة، وقاد الدعوة والدولة ثمانى سنين فيكون مجموع مدة عهده المبارك ۲۳ عاماً، بينما استمر حكم الدولة التاريخية الإسلامية وأشياعها ۱۳۹۴ عاماً حتى الآن، وطوال عهود الدولة التاريخية الإسلامية، وهى تتنكر بكل نفوذها ووسائل إعلامها لأى نص نبوى يقول: إن الإمامة أو القيادة أو الولاية من بعد النبى هى حق خالص لشخصيات معينة من ذرية النبى أو لعلى وأولاد على بخاصة، وأن صوتها هو المدوى والمعلن والمعمم بكل وسائل التعميم والنشر، وصوت معارضيها غير مسموع إلا نطاق ضيق، ومحاصر ومحاط به تماماً. من التنكر للنصوص إلى إنكارها اجتهدت شيع البطون وتنكرت بالكامل لجميع النصوص النبوية التى نصت على إمامة على بن أبى طالب وأحد عشر إماماً من بعد النبى، وفرضت حصاراً رهيباً على أحاديث النبى جميعها وصولاً إلى منع تداول الأحاديث التى عالجت الإمامة والقيادة من بعد النبى وبينتها بياناً يرفع الخلاف والإختلاف. وقدرت شيع البطون أن مصلحة المسلمين ووحدتهم تقتضى بذلك للأسباب التى ذكرناها آنفاً. ثم وجدت نفسها فى الحكم بجميع مزاياه وامتيازاته، فمضت فى تنكرها قدماً، فالاعتراف يعنى سحب بساط الشرعية من تحت أقدامها، وخسارتها للتميز والامتيازات. ومع الأيام واقتناع العامة، صار التنكر إنكاراً، وجهر القائمون على الأمر بإنكارهم فأعلنوا، بكل صراحة، أن النبى الكريم قد أغفل هذه الناحية تماماً، وأنه قد ترك أمته ولا راعى لها، أو بتعبيرهم قد (خلى على الناس أمرهم) ولم يستخلف أحداً قط، ولم يبين من هو الإمام أو الولى أو القائد من بعده ولا بين أسلوب تنصيبه. والقرآن الكريم لم يتطرق لهاتين الناحيتين تفصيلاً. وفى هذه الحالة وجدت الأمة نفسها مضطرة لاختيار خليفة للنبى، ولإيجاد أسلوب أو أساليب تعيين وتنصيب هذا الخليفة وآلية انتقال منصب [صفحه ۷۸] الخلافة، مستعينة بالمبادئ العامة الواردة فى القرآن والسنة كمبدأ الشورى، ومبدأ حرية الاختيار، ومبدأ القوى الأمين.. إلخ، بالإضافة إلى مبادئ اخترعتها بنفسها لجلب المصالح، كتقديم المفضول على الأفضل! ولم يقل أحد بأن الأمة كلها قد قامت بذلك إنما قامت به جماعة، ورضيت أكثرية الأمة، بما فعلت تلك الجماعة. ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا أهل بيت النبوة وحفنة من الناس تشيعت لهم! حيث تمسكوا بوجود النصوص الشرعية التى بينت من هم الأئمة، وبينت أسلوب تنصيبهم، وطريقة انتقال منصب الإمامة من إمام إلى إمام، وقدرت الفئة المتغلبة أن معارضة أهل بيت النبوة ومن تشيع لهم لا تخدش إجماع الأمة، واعتبرت أهل بيت النبوة وشيعتهم خارجة من الجماعة الإسلامية وشذاذاً ومبتدعة على حد تعبير ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة ; حيث قال بالحرف (وشذ أهل بيت النبوة بمذاهب (ابتدعوها) وفقه تفردوا به... وهى كلها أصول واهية) وتابع ابن خلدون قوله: (وشذ بمثل ذلك الخوارج) [۷۹] . نقطتا الخلاف والاختلاف ۱ – النقطة الرئيسية الأولى: شيعة أهل بيت النبوة يؤمنون إيماناً مطلقاً بأن الله تعالى قد اختار علياً بن أبى طالب ليكون أول إمام وولى وقائد للأمة من بعد النبى، وأنه تعالى قد اختار من ذرية النبى وأولاد على أحد عشر إماماً ليقودوا الأمة بالتتابع والتعاقب يعين كل واحد منهم بنص ممن سبقه، وقد أمر الله رسوله أن يعلن هذا الاختيار ويبينه للناس، فصدع رسول الله بما أمر فأعلن ذلك مراراً وتكراراً، وسمى رسول الله الأئمة بأسمائهم، وكان تسعة منهم لم يولدوا بعد، وأعلن أن كل واحد من الأئمة الاثنى عشر فى زمانه هو الأولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأن ولاية هذا الإمام كولاية الرسول، وولاية الرسول كولاية الله، وطاعة هذا الإمام كطاعة الرسول وطاعة الرسول كطاعة الله، ومعصية هذا الإمام كمعصية الرسول

ومعصية الرسول هى معصية الله، وأن الأمة لن تهتدى إطلاقاً إلا إذا تمسكت بالثقلين، فالقرآن ثقل وأهل البيت وعلى رأسهم إمام الزمان الثقل الآخر، ويستحيل على [صفحه ۷۹] الأمة أن تتجنب الضلالة إلا إذا تمسكت بالثقلين معاً، وكان آخر الإعلانات العامة فى (غدير خم). وأحيط الجميع علماً بذلك وفهم الناس ذلك كله، حتى الطلقاء، وقدم الجميع التهانى لأمير المؤمنين، وكان من جملة المهنئين عمر بن الخطاب وأبو بكر، وما أن نزل الرسول من مكانه الذى أعلن منه النبأ، حتى نزل قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً [المائدة / ۳] وعلى هذا كله أجمع أهل بيت النبوة بلا- خلاف، وأجمعت شيعتهم تبعاً لإجماعهم بلا خلاف. وإجماع أهل بيت النبوة حجة، لأنهم أحد الثقلين، ويكفيهم شرفاً أن الصلاة عليهم ركن من أركان الصلوات المفروضة على العباد. ۲ - النقطة الرئيسة الثانية: تؤمن شيعة أهل بيت النبوة إيماناً مطلقاً بأن كل واحد من الأئمة الاثنى عشر معد ومؤهل تأهيلاً إلهياً بحيث يكون فى زمانه هو الأعلم والأفهم بالدين، والأتقى والأقرب لله ولرسوله، والأصلح وأفضل الموجودين على الإطلاق بمعنى أنه أوحد زمانه، وهو المؤتمن على تبليغ الدين وبيان القرآن بياناً قائماً على الجزم واليقين، ولا يخطئ فى ذلك لأن الله تعالى قد عصمه عن الوقوع فى الزلل تماماً، كما عصم الرسول عن الوقوع بالزلل عند تبليغ الدين وبيان القرآن، فالدعوة الإسلامية مستمرة إلى يوم الدين وبيان القرآن لا- ينبغى أن يتوقف، والإمام هو القائم مقام النبى فى هذا وغيره، وهو مرجع الأمة الموثوق الذى يقدم الجواب اليقينى عن كل سؤال. وهذا لا يتأتى إلا بفضل من الله وملكة خاصة تكون بمثابة الثمرة الطبيعية للإعداد والتأهيل الإلهى. وبالفعل فقد انتهى علم النبوة إلى كل واحد من الأئمة الاثنى عشر، فعلى تتلمذ على يد رسول الله قبل البعثة بسنين وبعد البعثة كان يسكن وإياه فى بيت واحد حتى انتقل رسول الله إلى جوار ربه، خلال هذه الآونة زقه رسول الله بالعلم زقاً، حتى ورث علم النبوة كله. والإمامان: الحسن والحسين عاشا فى كنف رسول الله وكنف أبيهما ونهلا علم النبوة حتى صار كل واحد منهم الأوحد فى زمانه علماً وتقوى وفضلاً وقرباً. وعلى بن الحسين عاش فى كنف أبيه الحسين وانتهى إليه علم النبوة، وكذلك كل واحد من الأئمة الثمانية آل إليه علم النبوة عن أبيه. [صفحه ۸۰] رأى الشيع الإسلامية فى نقطتى الخلاف الرئيستين أهل السنة شيع إسلامية مختلفة، تتنازع الهيمنة على معتقداتهم عدة مذاهب، ومجموعة كبيرة من التوجهات والاتجاهات ومع ذلك فلهم رأى موحد فى نقطتى الخلاف القائمتين بينهم وبين شيعة أهل بيت النبوة. النقطة الأولى: النبى لم يستخلف أحداً تنكرت الدولة التاريخية إسلامية، فى البداية، لجميع أحاديث الرسول المتعلقة بالإمامة والولاية والقيادة من بعد النبى. ثم وفى مرحلة لا حقة أنكرت إنكاراً مطلقاً استخلاف الرسول لأى كان من بعده، أى أنها نفت وجود النص نفياً قاطعاً، وأوجدت بممارساتها ثقافة تاريخية نما فيها هذا النفى حتى صار قناعة مطلقة لأغلبية عامة المسلمين، وهم أهل السنة. فقالوا: (إن الرسول قد خلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم)، وأنه لم يبين طريقة اختيار خليفته، ولا آلية انتقال منصب الخلافة من خليفة إلى آخر. وهذه أمور أغفلها رسول الله، ولم يحسمها القرآن الكريم، وترك للناس الحرية بأن يتصرفوا كما يريدون على ضوء المبادئ العامة فى القرآن والسنة، أى من دون سند شرعى أى من دون نص شرعى محدد فى القرآن أو السنة. عندئذ نهضت فئة من فئات الأمة بالواجب ونصبت خليفة اختارته، فبايعته الأمة، ورضيت به ولم يشذ عن ذلك غير أهل بيت النبوة وشيعتهم. وهذا لا يخدش إجماع أكثرية الأمة! ومن هنا صار الإجماع بهذا المعنى سابقة دستورية، وهو أول سند شرعى للخلافة التاريخية! وبعد أن تولى أبو بكر الخلافة، وعهد بها من بعده لعمر، وعهد بها عمر لعثمان عملياً وللستة نظرياً، وجدت أنماط جديدة لانتقال منصب الخلافة من خليفة إلى آخر، وصارت أفعال الخلفاء الثلاثة فى هذا المجال بمثابة سنن شرعية واجبة الاتباع! بل وقدمت هذه السنن على الإجماع نفسه، إذ لم يعد هذا الإجماع بمعناه الآنف شرطاً لعقد الخلافة [۸۰] وجاء، فى الأحكام السلطانية للماوردى، وفى الأحكام السلطانية لأبى [صفحه ۸۱] يعلى الفراء: (إن الخلافة تثبت بالقهر والقوة ولا- تفتقر إلى العقد، فمن غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً براً كان أو فاجراً فهو أميرً المؤمنين) والسند الشرعى لهذا هو قول عبد الله بن عمر يوم الحرة: نحن مع من غلب. وأنت تلاحظ أن هذه القواعد فى تعيين الإمام وانتقال الخلافة من شخص إلى آخر لم ترد فى القرآن، ولم ترد فى السنة، وإنما هى إنتاج إبداع الذين اخترعوها، ولم

تستند لنص شرعى قريب المنال بل أسندت لواضعيها صراحة، ودعمت بتأويل النصوص تأويلًا بعيداً. وجاء الفقهاء الذين لمعوا وتألقوا لتبنى الدولة التاريخية لهم، ولتبنيهم لمواقف الدولة التاريخية فقاموا بوصف ما حدث وتكييفه ومحاولة إلباسه اللباس الشرعى بتأويل النصوص الشرعية ومقاصدها، لقد قاموا بوظيفة الفكر السياسى. دليل أهل السنة: استكمالاً لبحث نقطة الخلاف الأولى، بين شيعة أهل بيت النبوة وشيع أهل السنة نطرح هذا السؤال: ما دليل أهل السنة على أن رسول الله لم يستخلف أحداً من بعده؟. لقد أجمع خلفاء الدولة التاريخية الإسلامية وأشياعهم ورعاياهم، طوال التاريخ، بأن الرسول لم يستخلف، وهم يشكلون الأكثرية الساحقة من الأمة، وإجماعهم حجة لأنهم الأكثر عدداً. ١ - وهم أصحاب الحول والقوة والطول، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا أهل بيت النبوة وحفنة من الناس تشيعوا لهم، وهذه القلة لا يعتد برأيها، لأنها قلة. ٢ - قال أبو بكر، عند ما حاول جذب العباس إلى صفة: (... حتى اختار الله لرسوله ما عنده فخلى على الناس أمرهم..) [٨١] فإذا صدقت هذه الرواية فإن أبا بكر يشهد بأن الرسول لم يستخلف. ٣ - جاء فى تاريخ الطبرى [٨٢] أن أبا بكر قال فى مرضه الذى توفى منه [صفحه ٨٢] (.... ووددت أنى سألت رسول الله لمن هذا الأمر من بعده فلا ينازعه أحد...) وهذا يؤكد الرواية الأولى بأن رسول الله لم يستخلف أحداً من بعده. ۴ - وجاء، فى حلية الأولياء لأبى نعيم [٨٣] أن عمر قال فى أثناء مرضه (إن لم أستخلف فإن رسول الله لم يستخلف). ۵ - وروى المسعودى فى مروج الذهب [٨۴] أن عمر قال فى مرضه: (إن أدع فقد ودع من هو خير منى (يعنى الرسول) وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى (يعنى أبا بكر). ۶ - ومن الثابت أن أبا بكر قال للأنصار فى سقيفة بنى ساعدة: (هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا) وقد أجابه الاثنان: (والله لا نتولى هذا الأمر عليك) [٨۵] . وهذا ينفى استخلاف الرسول لأى واحد من هؤلاء الثلاثة، فلو استخلف الرسول أحدهم لما كان جائزاً له أن يتنازل عن حقه لآخر. وهذه الأمور الستة إذا ما جمعت وإذا اعتبرناها صحيحة فإنها تؤكد أن الرسول لم يستخلف. وهذه هى عقيدة شيع أهل السنة فى النقطة الرئيسية الأولى. مناقشة هذه الحجج ١ - قالت عائشة، أم المؤمنين، لعبد الله بن عمر، عند ما جاءها بأمر من أبيه ليستأذنها بأن يدفن بجانب الرسول: (يا بنى أبلغ عمر سلامى وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملاً فإنى أخشى عليهم الفتنة) [٨۶] فالسيدة عائشة، وهى امرأة، أدركت أن ترك الأمة من دون راع لها من بعد راعيها عمل غير حكيم ويفضى إلى الفتنة! [صفحه ٨٣] ٢ - قال عبد الله بن عمر لأبيه، وهو يحضه على استخلاف خليفة له: (ماذا تقول لله عز وجل إذا لقيته ولم تستخلف على عباده، فلو كان لك راعى إبل أو راعى غنم وترك رعيته، رأيت أنه قد فرط) [٨٧] . ٣ - قال المسعودى أن عبد الله بن عمر قال لأبيه: (لو جاءك راعى إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه، ولا راعى لها للمته وقلت له: كيف تركت أمانتك ضائعة، فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد) [٨٨] . ومع أن عبد الله بن عمر شخص عادى وليس نبياً إلا أنه أدرك أن ترك الأمة دون راع عمل يوجب اللوم، وهو تفريط وتضييع للأمانة! فهل يعقل ألا يتمكن رسول الله من إدراك ما أدركته امرأة كعائشة، أو رجل عادى كعبد الله بن عمر! ۴ - عملياً، لم يصدف، وعلى الإطلاق، أن مات خليفة من دون أن يعهد بالخلافة لآخر، فأبو بكر عهد لعمر قبل وفاته [٨٩] وعند ما مات عمر عهد بالخلافة لعثمان عملياً. أخرج ابن زرعة فى كتاب العدل عن عبد الله بن عمر أنه لما طعن قلت: يا أمير المؤمنين لو أجهدت نفسك وأمرت عليهم رجلاً... فقال عمر: (والذى نفسى بيده لأردنها للذى دفعها إلى أول مرة) يعنى عثمان، فعثمان هو الذى دفعها لعمر عند ما كتب عهد أبى بكر، وكان يعرف بالرديف فبعد وفاة أبى عبيدة وقع اختيار أبى بكر وعمر على عثمان ليكون الخليفة الثالث. وعلى بن أبى طالب عهد بالخلافة من بعده لابنه الحسن، ومعاوية عهد بالخلافة ليزيد ومروان عهد بالخلافة لا بنه عبد الملك، ولم يمت ملك من ملوك بنى أمية، أو بنى العباس، أو بنى عثمان، إلا وكان قد استخلف من بعده خليفة له، لإدراك كل حاكم أن موته [صفحه ٨۴] من دون تحديد من يتولى المسؤولية من بعده هو بمثابة كارثة حقيقة تجعل الأمة كالغنم التى لا راعى لها، وقد يؤدى ذلك إلى الفتنة والاختلاف والقتال. وتمزيق وحدة الأمة. ۵ - ويرى علماء الدولة التاريخية الإسلامية أن تنصيب الخليفة لمن يأتى بعده حق من حقوقه. (إن الإمام - الخليفة - ينظر للناس حال حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته ويقيم لهم من يتولى أمورهم) [٩٠] وعلى هذا أطبق علماء الدولة التاريخية واتفقوا بعد أن يتيقنوا من خطورة موت الإمام من أن

يعين من يخلفه، لأنه يؤدى حتماً إلى الفتنة، وتفريق الملة، وسفك الدماء على حد تعبير معاوية ابن أبى سفيان [۹۱] . ۶ - لم يصدف، فى تاريخ البشرية على الإطلاق، أن مات رئيس دولة - أى دولة - أوقائد جماعة - أى جماعة - من دون أن يبين هذا الرئيس أو القائد من يتولى المسؤولية من بعده! للأسباب نفسها التى أدركها المسلمون، حتى أن هذا البيان صار أمراً طبيعياً ومن أبجديات السياسة حتى على مستوى شيخ القبيلة أو رب الأسرة! لست أدرى كيف يدرك العالم كله أهمية هذا الموضوع ولا يدركه رسول الله وهو سيد ولد آدم! إنها لكارثة حقيقية أن يلصق المسلمون هذه التهمة برسول الله. ۷ - ثم إن المسلمين قاطبة يسلمون بأن سنة الرسول تعنى (القول والفعل والتقرير) فإذا كان صحيحاً أن رسول الله قد انتقل إلى جوار ربه، وترك أمته ولا راعى لها من بعده فإن هذا يعنى أن فعل الرسول هذا سنة عملية أو فعلية ومن واجب المسلمين أن يتبعوها فهل تدلنى الشيع الإسلامية، مجتمعة ومنفردة، مشكورة، على خليفة أو ملك من ملوك المسلمين قد اتبع هذه السنة؟ ۸ - ثم إن القول بكمال الدين وتمام النعمة من مستلزمات الإيمان، والقول بأن القرآن الكريم قد جاء بياناً لكل شئ، وأن مهمة الرسول الأولى هى أن يبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم يشكل حجر الزاوية فى العقيدة الإسلامية، فإذا كان [صفحه ۸۵] الدين لم يبين من هو القائم مقام رسول الله بعد وفاته ولا بين طريقة تنصيبه واختياره، ولا أسلوب انتقال الإمامة من إمام إلى آخر، فإن هذا لا يتفق مع كمال الدين ولا مع تمام النعمة! ولو جارينا القوم فقلنا بوجود إجماع، ومبدأ الإجماع مبدأ إسلامى، وقد تولى الإجماع بيان الإمام وبيان طريقة تنصيبه واختياره، وأسلوب انتقال الإمامة من إمام إلى آخر ووضع القواعد اللازمة لذلك كله. وهذا يعنى أن الإسلام كان خالياً من هذه القواعد ومفتقراً إليها فجاء الإجماع ليضع قواعد دينية لم تكن موجودة أو لسيد نقصاً! مع أن الدين كامل قبل الإجماع، والنعمة تامة وجاهزة ليتمتع المسلمون بها. ۹ - ثم إن الإسلام قد بين الأمور الأقل أهمية، فبين للناس كيف يتبولون، وكيف يتغوطون، وكيف يساكنون أزواجهم وكيف يطرحون السلام، فهل يعقل أن يبين الإسلام ونبى الإسلام غير المهم أو المهم ويترك الأهم!؟ خاصة وأن جميع الفتن والحروب بين المسلمين ناتجة عن الاختلاف على من يتولى الرئاسة من بعد النبى. وهذا كله يعنى أن نظرية (أن رسول الله قد ترك أمته ولا راعى لها من بعده، وأنه لم يبين الإمام من بعده، ولا بين طريقة تعيينه، ولا أسلوب انتقال منصب الإمام من إمام لآخر) ساقطة فى جميع الموازين العلمية والعقلية والمنطقية، وليت شيع أهل السنة قالت بأن الرسول قد أوصى بالخلافة لأبى بكر، أو لمعاوية أو لأى رجل آخر، لكان أخف وطأة على النفس من قولهم إن رسول الله ترك أمته ولا راعى لها من بعده وأنه لم يبين الأئمة، أو لم يحدد طريقة اختيارهم، ولا أسلوب انتقال الإمامة من إمام لآخر. الخلاف الجوهرى قلنا إن الخلاف الجوهرى، بين خلفاء الدولة التاريخية الإسلامية، وشيعهم، أهل السنة من جهة، وبين أهل بيت النبوة وشيعتهم من جهة أخرى، ينحصر فى نقطتين: أولاهما أن خلفاء الدولة التاريخية وأشياعهم يصرون على القول أن رسول الله قد انتقل إلى جوار ربه، ولم يعين من يخلفه، ولا حدد الخلفاء من بعده، ولا بين طريقة تعيينهم وانتخابهم ولا بين الأسلوب الذى تنتقل فيه [صفحه ۸۶] الخلافة أو الإمامة من خليفة أو إمام إلى آخر. بينما يؤمن أهل بيت النبوة وشيعتهم بأن رسول الله قد أعلن بأمر من ربه أن الإمام من بعده هو على بن أبى طالب، ومن بعده ابنه الإمام الحسن، ومن بعده ابنه الآخر الإمام الحسين، ومن بعد الحسين على بن الحسين، ومن بعده ابنه محمد بن على، ومن بعده جعفر بن محمد، ومن بعده موسى بن جعفر، ومن بعده على بن موسى، ومن بعده محمد بن على، ومن بعده على بن محمد، ومن بعده الحسن بن على، ومن بعده محمد بن الحسن (المهدى) هؤلاء اثنا عشر إماماً سماهم رسول الله بأسمائهم قبل أن يولد تسعة منهم، وبين الرسول أن كل واحد منهم فى زمانه هو الأولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأن كل إمام منهم يعلن عنه ويعين بنص ممن سبقه، وعلى هذا أجمع أهل بيت النبوة وأجمعت شيعتهم المعتبرة على ذلك، وبعد أن يعلن الإمام الجديد، ويموت الإمام السابق تبادر الأمة إلى بيعة الإمام الجديد الذى اختاره الله ورسوله وأعلنه الإمام السابق. نقطة الخلاف الرئيسية الثانية: صفات الإمام من بعد النبى ومؤهلاته يؤمن أهل بيت النبوة وشيعتهم المعتبرة بأن الإمامة وظيفة من وظائف النبوة، فرسول الله كان إماماً أو ولياً أو قائداً للأمة، ولا خلاف بين أحد من المسلمين بأن رسول الله كان الأعلم والأفهم بالدين، والأتقى والأقرب لله تعالى وأنه كان أفضل المسلمين وأصلحهم عند ما كان حياً، بل وأفضل أبناء الجنس البشرى، وهو

المرجع الموثوق للأمـة وللنـاس أجمعين فهو لا ينطق عن الهوى على الأقل فى ما يتعلق بتبليغ أحكام الـدين وبيان القرآن الكريم، وبما أن التبليغ والبيان مستمران إلى يوم الـدين، فإن هـذه الأمـة تكون منوطـة بالإمام القائم مقام النبى بعد وفاته وبالتالى يتوجب أن يكون هـذا الإمـام بالضـرورة هو الأـعلم والأـفهم بالـدين، والأـقرب لله ولرسوله والأـتقى، والأفضـل والأصـلح فى زمـانه، والمرجع والموثوق والمؤتمن على تبليغ الـدين وبيـان القرآن، وبتعبير آخر يجب أن يكون أوحـد زمـانه فى جميع هـذه الأـمور. أو إن شـئت فقل أنه معد ومؤهـل إلهيـاً، أو مصـان عن الوقوع بالزلـل ومعصوم من هـذا الزلل تماماً كما كان الرسول معصوماً فى هـذه الناحيـة المتعلقـة بالتبليغ والبيان على الأقل! [صـفحه ۸۷] وهـذه مؤهلاـت لا بـد من توافرها فى الإمام القائم مقام النبى حتى يكون أهلاً لهـذا المقام، وجـديراً بالطاعـة، لأن طاعته كطاعـة الرسول، وولايته كولاية الرسول، وطاعة الرسول وولايته كولاية الله وطاعته، وكيف يكون أولى بالمؤمنين من أنفسـهم إذا لم يتصف بهـذه الصـفات أو تكون له هـذه المؤهلات. أما خلفاء الدولـة التاريخية وشـيعهم أهل السـنة فيرون أن هذه الصـفات والمؤهلات مثالية، وليتها تتوافر فى الخليفة أو الإمام من بعد النبى، ولكن إن توافرت فى شخص معين، واقتضت المصلحة أن يتقـدم عليه من هو أقـل منه علماً وفضـلاً، فيقـدم فى هـذه الحالـة المفضول على الأفضل! ابتغاء لتحقيق المصـلحة الشـرعية! ولكنهم لا يبينون لنا من هو هـذا الـذى يحدد المصـلحة الشـرعية! ومن الذى يقرر تقديم المفضول على الأفضل. نظرياً الأمة هى التى تفعل ذلك برأيهم، وعملياً لم يرو لنا راو قط أن الأمـة قد اجتمعت عن بكرة أبيها على صـعيد واحد فى أى يوم من الأيام، وقالت: إن هذا مفضول وذلك أفضل، وأن المصـلحة الفلانية تقتضى أن يقدم هذا المفضول على ذلك الأفضل. وعملياً، فإن الخليفة المتغلب هو وحده الذى يقرر من يتولى الخلافـة من بعـده، بغض النظر عن الصـفات أو المؤهلات، وله أن يقـدم أو يؤخر من دون تعليل أو بتعليل. لقـد حاول فقهاء الدولـة التاريخية أن يضـعوا مؤهلات الخليفة القائم مقام الرسول وصـفاته، وانتهت محاولاتهم إلى وضع شـروط فضـفاضة تنطبق على كل من تلفظ بالشـهادتين، فقالوا أنه يتوجب أن يكون الخليفة مسـلماً وذكراً وبالغاً وعاقلاً... الخ مع العلم بأنه لا توجد مؤسـسة أو هيئـة أو شـخص مخول بالتأكـد من توافر هـذه الصـفات فى هـذا الشـخص أو ذاك، والخليفـة المتغلب القابض على مقاليد الأمور هو وحـده الـذى يقوم بهـذا الدور! وقد توالت على منصب الخلافة تاريخياً تشـكيلة عجيبة من الأشـخاص من أهل التقوى والصـلاح ومن أهل الفجور والفساد، فمن الفئـة الأخيرة من لعن أهل بيت النبوة واسـتباح دماء الناس وأموالهم وهدم الكعبة، وختم أعناق الصـحابة، [صفحه ۸۸] وعطـل الحـدود وضـيع الحقوق وقتل أولاد النبى، وسبى بناته ولكن هـذه الجرائم وغيرها مما هو أكبر، لم تمنعه من القول بأنه خليفة النبى والقائم مقامه، ولم تمنع الشيع الإسلامية من الاعتراف له بذلك ومن أداء جميع الحقوق التى رتبها الشرع لخليفة النبى الشـرعى القائم مقامه. فلا ترى الأكثرية الساحقة من شـيع أهل السـنة عجباً ولا تستغرب أن يكون الخليفة، القائم مقام الرسول فى أمور الدنيا والآخرة، ظالماً، أو فاسقاً، أو معطلاً للحدود، أو مضيعاً للحقوق، أو غاصباً للأموال، أو ضارباً للأبشار، أو متناولاً للنفوس المحرمة أو ممارساً لأى رذيلة! فهذه أمور طبيعية ومن مقتضيات الملك لا توجب خلع الخليفة لأنه قائم مقام الرسول، ولا توجب عدم طاعته أو الخروج عليه، ويجب وعظه وتخويفه. وهكذا تنقلب الآية وتتحول الرعية إلى واعظة لإمامها بعد أن كانت (موعوضة). قال النووى، فى شرحه بيان لزوم طاعة الأمراء: (قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحدود ولا يخلع ولاـ يجوز الخروج عليه بـذلك بـل يجب وعظه وتخويفه، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسـلمين وإن كانوا فسـقة ظـالمين...) وأجمع أهـل السـنة أنه لاـ ينعزل السـلطان بالفسق [۹۲] . قـال القاضـى أبو بكر الباقلاـنى: قـال الجمهور، من أهـل الإثبـات وأصـحاب الحديث: (لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرمة وتضييع الحقوق، وتعطيل الحـدود ولاـ يجب الخروج عليه بـل يجب وعظه وتخويفه فالأخبـار متضافرة عن النبى وعن الصـحابة فى وجوب طاعـة الأئمـة) [۹۳] . فالعبرة أن يغلب الرجل ويصـبح خليفـة، فإذا غلبت بالقوة والقهر أو بأى طريقـة من الطرق وصار خليفـة، فهو مؤهل للخلافة، وصـفاتها متوفرة فيه ضـمناً، [صفحه ۸۹] بغض النظر عما سـيكون عليه سـلوكه وعمله المسـتقبلى، فقد يحسن وقد يسيئ، فإحسانه وإساءته ليستا موضـعاً للمسألـة عملياً! وله على الأمة من الطاعة ما لرسول الله وخلفائه الأئمة الشـرعيين. فإذا دنت منية هذا الرجل يختار رجلاً ليخلفه،

وعلى الأمـة أن تبايع هـذا الرجل الـذى اختاره الخليفـة القوى المتغلب. وهـذا المنهج يختلف اختلافاً جذرياً عن المنهج الذى يقول به أهـل بيت النبوة وشـيعتهم تمامـاً، فالإمـام عنـدهم اختـاره الله ورسوله وأهله، وأعـده للإمامـة وجعله الأـتقى والأعلم والأفهم والأفضـل والأرحم. وبعد أن أودع فيه هذه الصـفات أعطاه الله سبحانه وتعالى صلاحيات واسعة لقيادة الدعوة والدولة وجعل الناس فى مأمن من أية شـرور أو بوائق تأتى منه. أما الإمام عند شـيع أهل السـنة فمؤهله الوحيد أنه الغالب القاهر أو المعين من خليفة متغلب وقاهر، ويجد نفسه ومعه الصـلاحيات الهائلة التى كان يتمتع بها النبى نفسه من دون أدنى احتياط لإساءته باسـتعمال هذه السـلطات الهائلة! [صـفحه ۹۱]

النصوص الشرعية الدالة على خلافة على و إمامته

ومر حين من الدهر كانت فيه على بن أبى طالب واجباً رسـمياً على كل واحد من رعايا الدولة الإسلامية، وقد أبيح رسمياً دم أى مسلم يروى أى خبر عن فضـله وفضل أهل بيت النبوة، ولم تقبل شـهادة أى مسـلم يواليه هو وأهل بيته، ومن ثبت ولاؤه له ولأهل بيت النبوة كان يمحى اسمه من ديوان الغطاء، وتهدم داره ويقتل فوراً [۹۴] وبتناقل علماء أهل السنة المنصفين بعض النصوص الشرعية التى تثبت حق على بن أبى طالب وبنيه الأئمـة بالإمامـة والقيادة والولايـة من بعد النبى، وسترد نماذج منها بما أمكن من الإيجاز، مركزين تركيزاً خاصـاً على التوثيق ومتجنبين بالكامـل نقـل أيـة نصوص من أى مرجع أو كتـاب من مراجع المسـلمين الشـعية وكتبهـا، بمعنى أننـا قد حصـرنا الموضوع فى النصوص الواردة من كتب أهل السنة. نصوص الخلافة يوم أعلن رسول الله نبأ النبوة والرسالة أمام رهطه الأقربين قال عن على بن أبى طالب فى الاجتماع نفسه: (إن هذا أخى ووصـيى وخليفتى فيكم فاسـمعوا له وأطيعوا). وهذا الحديث صحيح وقد صححه أبو جعفر الإسـكافى وابن جرير الطبرى، كمـا ذكر ذلـك السـيوطى [۹۵] ، ورجاله جميعهم ثقات. وفى الجلسة نفسـها ضـرب النبى بيده على يد على كناية عن المبايعة [۹۶] . [صفحه ۹۲] نصوص الولاية ۱ – ومن هذه النصوص آية الولاية [المائدة / ۵۴ – ۵۵] نزلت فى على ابن أبى طالب كما يجمع على ذلك أهل بيت النبوة وشـيعتهم، وتفصـيل ذلك أن رسول الله دعا ربه بالـدعاء الذى دعا به موسـى ربه على أثر تصـدق الإمـام على بخاتمه، وهو راكع، وما إن أتم الرسول دعاءه حتى نزل جبريل ومعه آيـة الولايـة. أى ولاية على من بعـد النبى، وقد أشار إلى ذلك الطبرى فى تفسـيره [۹۷] والزمخشرى فى كشافة [۹۸] ، وابن الجوزى فى زاد المسـير فى علم التفسير، والقرطبى [۹۹] . ۲ – قـال الرسول لعلى بن أبى طالب، يوماً، أمام الصـحابة: (أنت ولىى فى الـدنيا والآخرة) [۱۰۰] وهذا النص من العموم والشمول بحيث يتسع بولاية على لأمر المسلمين، ويلقى ضوءاً على بيان النبى لآية الولاية، ولو ورد هذا النص فى أى خليفة من الخلفاء لطارت شـيع أهل السـنة به كل مطار ولقطعت به ظهر كل مخالف! ۳ – وقال الرسول، يوماً لعلى أمام الصـحابة: (أنت ولى كل مؤمن بعدى) [۱۰۱] . ۴ – فى إحدى المرات بعث رسول الله سـرية واسـتعمل على هذه السرية علياً بن أبى طالب، فاصطفى لنفسه من الخمس جارية فأنكر عليه ذلك أفراد تلك السـرية وشـكوه لرسول الله، وكانت مناسبة لاستقطاب الصحابة ليسمعوا حكم [صفحه ۹۳] الرسول على فعـل على هـذا، فقـال الرسول للشـاكين أمام الصـحابة: (إن لعلى أكثر من الجاريـة التى أخـذ، إنه وليكم من بعـدى) [۱۰۲] . ۵ – قال الرسول، يوماً، لأصـحابه: (على منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن بعدى [۱۰۳] . ۶ – وقال الرسول لرجل وقع فى على أمامه، وأمام الصحابة: (لا تقع فى على فإنه منى وأنا منه، وهو وليكم بعدى) [۱۰۴] . نصوص الإمامة وقيادة المسلمين ۱ – قال الرسول، يومـاً، لأصـحابه: (لمـا عرج بى إلى السـماء انتهى بى إلى قصـر من لؤلؤ فيه فراش من ذهب يتلألأ، فأوحى إلى أو أمر بى – كـذا – فى على بثلاث خصال: إنه سـيد المسـلمين، وإمام المتقين، وقائـد الغر المحجلين) [۱۰۵] . ووردت نصوص أخرى مشابهـة لهـذا النص مع اختلاف يسير [۱۰۶] . ۲ – (عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أسكب إلى ماء – أو وضوءاً – فتوضأ ثم قـام فصـلى ركعتين، ثم قـال: يا أنس أول من يـدخل من هـذا الباب أمير المؤمنين، وقائـد الغر المحجلين وسـيد المؤمنين على) [۱۰۷] تلك والله آية [صـفحه ۹۴] ودليـل قـاطع على أن الرسول لاـ يلقى الكلام على عواهنه كما يزعمون بل يتبع ما يوحى إليه. التأديـة عن

الرسول إقامة للحجة وقياماً بواجب البيان وتوضيحاً للحكم الشرعى أعلن الرسول، أمام أصحابه، قائلا: (على منى وأنا من على ولا يؤدى عنى إلا أنا أو على) [۱۰۸] . الطاعة والفراق قال الرسول لأصحابه: (من أطاعنى أطاع الله، ومن عصانى عصى الله، ومن أطاع علياً أطاعنى، ومن عصا علياً عصانى) [۱۰۹] . وقال الرسول، يوماً، لعلى أمام الصحابة: (يا على، من فارقنى فقد فارق الله ومن فارقك فقد فارقنى) [۱۱۰] . إعلان الولاية وآية الإكمال فى حجة الوداع، وفى غدير خم، جمع رسول الله المسلمين، وأعلن أمامهم أنه سيمرض بعد عودته إلى المدينة، وسيموت من مرضه، وأنه أحب أن يلقى إليهم القول معذرة إليهم. فسأل الرسول الناس: من وليكم؟ فقالوا بصوت واحد: الله ورسوله. ثم قال لهم: إنى وليكم، فقال المسلمون: صدقت. ثم سألهم: ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قال المسلمون: نعم. ثم [صفحه ۹۵] سألهم: ألستم تعلمون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه؟ فقالوا: نعم. عندئذ قال: (من كنت مولاه فهذا على مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)، وأخذ بيد على بن أبى طالب، وقال (هذا وليى وأنا موال لمن والاه ومعاد لمن عاداه). ثم قال: (من كان الله ورسوله وليه فهذا على وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) [۱۱۱] وبعد أن أتم الرسول إعلانه الخطير، هذا نزلت آية الإكمال: (اليوم أكملت لكم دينكم...) [المائدة / ۳] [۱۱۲] . الفهم وتقديم التهانى فهم المسلمون ما قصده الرسول تماماً، وعرفوا الولى والإمام والقائد والخليفة من بعده هو على بن أبى طالب، فتقدمه وقدموا التهانى للإمام على، وكان من جملة المهنئين أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم، وعبر بعضهم عن تهانيه بجمل مختصرة ذهبت مثلاً، مثل تهنئة عمر بن الخطاب الذى قال لعلى: (بخ بخ لك، يا ابن أبى طالب، أصبحت مولاى ومولى كل مسلم) [۱۱۳] . وكقول عمر بن الخطاب الذى ذهب مثلاً: (هنيئاً لك، يا ابن أبى طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة) [۱۱۴] . [صفحه ۹۶] وهذا غيض من فيض من الأحاديث والنصوص الشرعية التى رواها أكابر علماء أهل السنة، وهى وحدها تكفى أن توفر الحياد، والتجرد والموضوعية للقول بإمامة على بن أبى طالب وولايته وخلافته للرسول. الأئمة من بعد على ۱ - روى عبد الله بن عباس وأسامة بن زيد وعبد الله بن جعفر أن رسول الله قال: (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأخى على هذا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنى الحسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابنى الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه على أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا على، ثم ابنى محمد بن على أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وستدركه يا حسين [۱۱۵] ولا خلاف عند أهل بيت النبوة وشيعتهم على ذلك. ولا خلاف عندهم فى وصية الإمام على للحسن. ۲ - حين حضرت الوفاة أمير المؤمنين علياً بن أبى طالب كانت وصيته للحسن كما يلى: (يا بنى، إنه أمرنى رسول الله أن أوصى إليك وادفع إليك كتبى وسلاحى، كما أوصى إلى كتبه وسلاحه. وأمرنى رسول الله أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على على بن الحسين فقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن على، فاقرئه من رسول الله ومنى السلام). ۳ - ولا خلاف، عند أهل بيت النبوة، وشيعتهم فى قول رسول الله للحسين: (قال الحسين بن على دخلت على جدى رسول الله فأجلسنى على فخذه وقال لى: (إن الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم وكلهم فى الفضل سواء) [۱۱۶] . [صفحه ۹۷] ۴ - وعن ابن عباس قال (سمعت رسول الله يقول: (أنا وعلى والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون) [۱۱۷] . ۵ - قال جابر بن عبد الله الأنصارى: لما أنزل الله تعالى على نبيه الآية: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) [النساء / ۵۹] قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله فمن هم أولو الأمر اللذين قرن الله طاعتهم بطاعته؟ فقال الرسول: هم خلفائى يا جابر وأئمة المسلمين من بعدى أولهم على بن أبى طالب، ثم الحسن بن على، ثم الحسين بن على، ثم على بن الحسين، ثم محمد بن على، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم على بن موسى، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم على بن موسى، ثم محمد بن على، ثم على بن محمد، ثم الحسن بن على، ثم محمد بن الحسن المهدى) [۱۱۸] . بروز الأئمة واشتهارهم عند ما تلفظ الرسول الكريم بهذه الأحاديث لم يكن موجوداً إلا على والحسن والحسين، ثم ولد بقية الأئمة. طوال عهود الدولة التاريخية الإسلامية، وهى تفرض حالة من التعتيم الإعلامى على أئمة أهل بيت النبوة بخاصة، وعلى أهل البيت بعامة، ومع هذا فقد اشتهر هؤلاء الأئمة وعرفتهم الخاصة والعامة، وكان كل واحد منهم فى زمانه بمثابة البدر الطالع فى

الليلـة الظلماء لا يخفى نوره وبهاؤه على أحد، ولم يكن بوسع كل من المسـلمين بعامة أو من الخلفاء بخاصة أن يدعى بأن هنالك من هو أعلم وأفهم بالـدين منه أو أقرب لله ولرسوله منه، ولا يـدعى ذلك إلا من سـفه نفسه. طريقة الإعلان والتعيين تشـبه طريقة الإعلان عن الإمام الشـرعى الجديـد وتعيينه، من حيث الظاهر والشـكل، طريقـة الإعلان عن الخليفـة الجديـد فى الدولـة التاريخية الإسـلامية. [صفحه ۹۸] أ – الأئمـة الشـرعيون: فكل إمام من الأئمـة الشـرعين الاثنى عشـر أعلن عنه وعين إماماً بنص ممن سـبقه. فرسول الله، وهو نقطـة البدايـة والارتكاز، قـد اختاره الله رسولاً ونبياً، وإماماً ووليـاً وقائداً للدعوة والدولة، وقبل أن ينتقل إلى جوار ربه أعلن بأمر من الله تعالى أن الإمام والولى والقائـد من بعـده هو على بن أبى طالب يليه بالتوالى والتتابع أحـد عشـر إماماً من ذرية النبى ومن صـلب على. وسـماهم الرسول بأسـمائهم. وعلى الرغم من أنه قـد حيـل بين الأئمـة الشـرعين وبين حقهم فى ولايـة الأمـة وقيادتهـا وإمامتهـا إلاـ أن إمامتهم لم تنقطع طوال التاريـخ، فكان كل إمام يعلن عنه ويعين بنص ممن سـبقه. ب – خلفاء الدولـة التاريخيـة: كذلك خلفاء الدولة التاريخيـة، فكان الخليفـة القائم بالخلافـة هو الذى يعلن عن الخليفة الذى يليه ويعينه عملياً حتى تصور بعض علماء الدولة التاريخية أن هـذا الإجراء حق مطلق للخليفـة: (ينظر للناس حال حياته، وتبع ذلك أن ينظر لهم بعـد وفاته ويقيم لهم من يتولى أمورهم) [۱۱۹] وقد شهد تاريخ دولة الخلافة التاريخية الإسـلامية عدة دورات، وفى كل الدورات سادت هذه القاعدة: (كل خليفة يعين بنص ممن سـبقه). ۱ – ففى الـدورة التاريخيـة الأولى، كان الخليفـة أبو بكر هو نقطة البداية والارتكاز للخلفاء، ولما دنت منيته أعلن بأن الخليفة من بعده هو عمر بن الخطاب، ولما طعن عمر أعلن، عملياً، أن الخليفة من بعده هو عثمان بن عفان، والشورى لم تكن سوى إخراج شكلى لأمر مقرر سلفاً. ۲ – ومن الـدورة الثانيـة، التى بـدأت عنـد ما اسـتولى معاوية على منصب الخلافة بالقوة والغلبة والقهر سادت هذه القاعدة أيضاً، فلما شـعر معاويـة بأن نهايته تقترب ; أعلن أن الخليفة من بعده هو يزيد ابنه، ولما أوشك يزيد أن يهلك عين ابنه معاوية الثانى خليفة من بعده. ثم غلب مروان بن الحكم الأموى، وقبل أن يموت مروان اسـتخلف ابنه عبد الملك، وطوال العهد الأموى وكل خليفة يعين بنص ممن سـبقه. [صفحه ۹۹] ۳ – ولما غلب العباسـيون، وسـقطت الدولة الأموية وقامت على أنقاضـها المملكة العباسية وطوال العهد العباسـى، كان كل خليفة يعلن عنه ويعين بنص ممن سبقه. ۴ – وغلب العثمانيون، وتداعت الدولة العباسـية وقامت على أنقاضها المملكـة العثمانيـة، وطوال العهـد العثمانى كان الخليفـة يعلن عن ويعين خليفـة بنص ممن سـبقه. وبسـقوط آخر سـلاطين بنى عثمان، سقطت دولة الخلافة التاريخية الإسـلامية، وبسـقوط هذه الدولة سقطت صيغة الخلافة التاريخية بشكلها المطبق تاريخياً. بمعنى أن كل إمام شـرعى عين وأعلن عنه إماماً بنص ممن سـبقه، كـذلك كل خليفة عين، أيضاً، وأعلن عنه بنص ممن سـبقه، وهذا هو وجه التشابه فى الظاهر والشـكل بين الأئمة الشـرعيين والخلفاء التاريخيين. حكم الأسـرة الواحدة لا خلاف بين أحد من المسلمين فى أن رسول الله هو حفيـد إسـماعيل، وفى أن إسـماعيل هو ابن إبراهيم الخليل وأن الله تعالى قد آتى إبراهيم وذريته الصالحة النبوة والإمامة والكتاب، وأن هذا الصـلاح قد تسـلسل حتى اسـتقر فى رسول الله، وشاءت حكمة الله ألا تكون لرسوله ذرية وأن يجعل ذريته من صلب على بن أبى طالب، وأن يجعل الرسول (عقبه وآله أولاد على من فاطمة) [۱۲۰] ، واقتضت حكمة الله أن يختار علياً للإمامة من بعد النبى، وأن يختـار من ذريـة النبى ومن صـلب على أحـد عشـر إمامـاً ليقودوا الأمـة عبر تاريخها الطويل. ما يعنى أن النبى والأئمـة كانوا جميعاً من الأسـرة الهاشـمية، أو بتعبير أدق، من أسـرة النبى ومن أهـل بيته بالتحديـد، [صـفحه ۱۰۰] وأن النبى هو أحـد الفروع الصالحـة لأسـرة إبراهيم. فعلى بن أبى طالب هو أبو الأئمـة وفاطمـة بنت رسول الله هى أم الأئمـة، والأئمـة ذريـة محمد ولا ذرية له من سواهم. تحالف الأسر لم يرق هـذا الترتيب الإلـهى لأسـر بطون قريش، لقـد عز عليهـا أن يكون النبى من بنى هاشم، وأن يكون الأئمـة من بنى هاشـم أيضاً، وأن تجمع الأسـرة الهاشـمية الشـرفين معاً، وأن تحرم بقية الأسر القريشية. واعتقدت أن هذه القسمة ظالمة، ومن المحال أن يأمر بها الله تعالى، وأن الأفضل والأوفق والأصوب أن تكون النبوة للأسـرة الهاشمية وحدها لا يشاركهم فيها أحد، وأن تكون الخلافة لأسر قريش تتـداولها فى مـا بينها ولا يشاركها هاشـمى قط! [۱۲۱] وهكـذا كـان، إذ اتحـدت أسـر بطون قريش، والنبى على فراش الموت، وقررت أن تصرف الإمامة والولاية عن أسرة النبى وأن تحل الأسر القريشية مجتمعة محلها، فاتحدت هذه الأسر وولت أبا بكر الخلافة،

فأخذت أسرة بنى تيم نصيبها، ثم ولت عمر الخلافة من بعده فأخذت أسرة بنى عدى نصيبها، ثم ولت هذه الأسر عثمان فأخذت الأسرة الأموية نصيبها، وكان من المفترض أن تنتقل الخلافة إلى أسرة قريشية رابعة ولكن الأمويين قرروا إنهاء تحالف الأسر القريشية وإقامة نظام الأسرة الواحدة. عودة نظام الأسرة الواحدة قام التحالف بين الأسر القريشية للقضاء على نظام الأسرة الواحدة لأن نظام تحالف الأسر أوفق وأصوب كما رأى سادة التحالف! ولكن لما اشتد ساعد بنى أمية قرروا أن يجعلوا الخلافة فى الأسرة الأموية وحدها. وهكذا كان، فقد استولت الأسرة الأموية على منصب الخلافة بالقوة والغلبة والقهر، وحصرت هذا المنصب فى الأمويين وحدهم وبالترتيب المعروف تاريخياً، وساد نظامهم حتى [صفحه ۱۰۱] غلبوا. فنهض العباسيون، أبناء عم الرسول، واستغلوا تعاطف المسلمين مع أسرة أهل بيت النبوة، وتمكنوا من هزيمة الأمويين ومن إقامة نظام يحصر الخلافة فى الأسرة العباسية، ساد نظامهم حتى غلبوا. وفى مرحلة من مراحل ضعف الدولة العباسية ظهرت أسرة بنى عثمان، وهى أسرة غير عربية، وهيأت أسباب الغلبة والقهر وانقضت على الدولة العباسية، فأنهت وجودها وأقامت على أنقاضها مملكة جديدة ونظاماً جديداً حصر منصب الخلافة فى أسرة بنى عثمان فحكموا حتى سقط آخر سلاطينهم فى عام (۱۳۴۳ ه / ۱۹۲۴ م). وأبعد من ذلك، فعند ما كان يستقوى أحد الولاة على إحدى الولايات الإسلامية كان يحصر منصب الولاية فى أفراد أسرته. وليس فى ذلك غرابة، ولا ما يثير الدهشة، ولكن المدهش فى، نظر البعض حقاً، أن تنحصر الولاية والإمامة والقيادة فى أسرة النبى الأعظم! هذا وجه آخر من وجوه التشابه بين الأئمة الشرعين وخلفاء الدولة التاريخية، فالأئمة الشرعيون من أسرة واحدة وكل مجموعة من الخلفاء من أسرة واحدة. دور الأمة الأمة بايعت رسول الله، وقبلت به إماماً ووليا وقائداً لها بالرضى ومن دون إكراه. الأمة تبحث عن الأعلم والأفهم بالدين والأتقى والأقرب لله، والأفضل والأصلح، فدلها الله تعالى على هذا الرجل الذى تتوافر فيه هذه الصفات فقبلت به وبايعته على هذا الأساس، ولا خلاف بأن هذه المؤهلات متوافرة فى الرسول الأعظم، وقد أجمع أهل بيت النبوة وشيعتهم والمنصفون من شيع أهل السنة على أن هذه المؤهلات قد توافرت، أيضاً، فى كل إمام من الأئمة الشرعيين الاثنى عشر من بعد النبى. فدور الأمة منحصر بقبول الاختيار الإلهى، وهذا القبول ليس فرضاً إنما هو ثمرة قبول الرسول ومضامين الرسالة. فتبايع الأمة من شهد له الله ورسوله بتوافر تلك المؤهلات فيه، ومهمتها الأساسية هى المبايعة، أى القبول بولاية هذا [صفحه ۱۰۲] الذى اختاره الله ورسوله وقيادته وإمامته وهو من توافرت فيه المؤهلات التى لا يعلمها علم الجزم واليقين إلا الله ورسوله. الغلبة والقهر بالقوة والغلبة والقهر يتمكن رجل من الاستيلاء على منصب الإمامة ويحول بين الإمام الشرعى وبين حقه فيه، واعتباطاً يطلب هذا المتغلب من الأمة أن تبايعه وأن تقبل بولايته وقيادته وإمامته تماماً كما قبلت بإمامة الرسول أو الإمام الشرعى وولايتهما وقيادتهما، لا لأنه قد توفرت فيه الشروط الشرعية، ولكن لأنه غالب وقاهر ومستول بالقوة والقهر على خلافة الرسول. وهكذا تبايع الأمة من يغلبها وفق الشكل نفسه الذى بايعت فيه الرسول، أو كان من المفترض أن تبايع به الأئمة الشرعيين الاثنى عشر من بعد الرسول. هذا وجه آخر من وجه التشابه بين الإمامة الشرعية والخلافة التاريخية! [صفحه ۱۰۴]

عقيدة كل من الشيعة والسنة فى جمع القرآن الكريم، و ذات رسول الله والأئمة من بعده، و مصادر التشريع

اشاره

السؤال الثالث قابلت صديقى السنى، فأخبرنى أنه قد درس بإمعان كافة أجوبتى عن أسئلته المتعلقة بالإمامة والولاية، وأبدى قناعته التامة بها. وكان واضحاً أن بذرة المحبة لأهل بيت النبوة قد استقرت نهائياً فى قلب الرجل، وأن دورى مقتصر على رعاية هذه البذرة لتنمو نمواً طبيعياً. وأخبرنى الرجل أنه قرأ، خلال تلك المدة، كتابنا (المواجهة بين رسول الله وآله) وأعجب به. ثم أخرج من جيبه ورقة كتب عليها السؤال الثالث، وقرأه: يتقول المتقولون حول عقيدة الشيعة فى جمع القرآن الكريم، فهل تتفضل باطلاعى، وبمنتهى الإيجاز، على عقيدة كل من أهل السنة وأهل الشيعة فى جمع القرآن الكريم، وبيان رأى كبار علماء الشيعة ببعض الروايات التى ساقها

غير عالم من علماء أهل السنة فى موضوع الزيادة أو النقص فى القرآن الكريم؟ واتفقت معه على أن أسلمه الأجوبة خلال أسابيع، وقد فعلت. [صفحه ۱۰۵]

عقيدة أهل بيت النبوة و شيعتهم فى جمع القرآن الكريم

العقيدة الثنائية أجمع الخلفاء وشيع أهل السنة على أمرين رئيسيين: أولهما سياسى، وهو موت الرسول من دون أن يستخلف أحداً من بعده. وثانيهما حقوقى أو قانونى، وهو موت الرسول من دون أن يجمع القرآن الكريم. وأجمع أهل بيت النبوة وشيعتهم على نقيض هذين الأمرين تماماً. فأعلنوا إيمانهم المطلق بأن الرسول قد استخلف علياً بن أبى طالب وأحد عشر إماماً من ذرية النبى ومن صلب على ليقودوا الأمة عبر تاريخها. وبعد أن بدأت عقيدة ترك الرسول للقرآن فى دون جمع تشيع فى أوساط المجتمع الإسلامى أعلن أهل بيت النبوة وشيعتهم إيمانهم المطلق بأن رسول الله جمع القرآن الكريم حال حياته، ولم ينتقل إلى جوار ربه إلا بعد ما كان القرآن مجموعاً ومتداولاً بين الناس بصورته المتداولة بين أيدى المسلمين الآن. والفارق الوحيد يكمن فى كمية النسخ ونوع المادة المكتوب عليها القرآن الكريم و أسلوب نسخه أو شكله. نظرية الخلفاء وشيع أهل السنة فى جمع القرآن لا يمكن للباحث أن يلم بنظرية أهل بيت النبوة وشيعتهم فى جمع القرآن الكريم إلا إذا وقف على تفاصيل نظرية الخلفاء وشيع أهل السنة فى هذا الموضوع، لأن الإعلان عن نظرية أهل بيت النبوة وشيعتهم كان بمثابة رد فعل، أو تصحيح للنظرية الرسمية التى تبناها الخلفاء وشيعهم وأشاعوها لأسباب سياسية. وإليك موجز هذه النظرية: عند ما اكتشف أبو بكر وعمر أن رسول الله قد ترك القرآن الكريم من دون جمع أدركا بثاقب بصيرتهما أن القرآن، إن ترك من دون جمع، فسيضيع حتماً، وإذا ضاع القرآن يضيع الإسلام! لذلك شمر الصديق والفاروق وذو النورين عن [صفحه ۱۰۶] سواعدهم وبدأت المشاورات لإنجاز مشروع جمع القرآن، ولولا جهودهم المباركة المتكاملة لضاع القرآن ولما وصلنا، ولفقد قانون الدولة الإسلامية كما فقد رئيسها العظيم من قبل، وقاموا بهذا العمل الجليل، واقتسموا هذا الشرف العظيم فى ما بينهم. التغلب على المشكلات وجمع القرآن ۱ - نقل المتقى الهندى [۱۲۲] أن عمر راجع زيداً بن ثابت ليجمع القرآن، وأن أبا بكر راجعه أيضاً، فقال زيد لكل واحد منهما: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله!؟ فأجابه كل واحد منهما: (والله إنه خير) ولم يزل كل واحد منهما يراجع زيداً حتى شرح الله صدر زيد لما شرح له صدر أبى بكر وعمر، وهكذا سقطت العقبة القائمة أمام إنجاز أمر لم يفعله الرسول! ۲ - عندئذ بدأ زيد بتتبع القرآن يجمعه، من الرقاع واللحاف والأكتاف وصدور الرجال، حتى وجد آخر سورة براءة مع خزيمة ولم يجدها مع غيره من المسلمين. وصار هذا القرآن المجموع عند أبى بكر حال حياته، ثم عند عمر حال حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر. ولما تولى عثمان الخلافة أرسل إليها لتدفعه إليه فأبت حتى عاهدها عثمان ليردنه إليها!! ۳ - عندئذ بعثت حفصة بصحائف هذا القرآن، فنسخ عثمان هذه الصحف ثم ردها، فلم تزل عندها حتى توفيت. ولما رجعوا من دفنها أرسل مروان إلى عبد الله بن عمر ليرسل إليه صحف القرآن التى كانت بحوزة حفصة، ولما وضعت بين يدى مروان تم تمزيقها حتى لا يشك الناس فى مصحف عثمان [۱۲۳] . ۴ - تعطى الروايات بطولة جمع القرآن للخلفاء الثلاثة ولزيد بن ثابت الذى [صفحه ۱۰۷] لعب دوراً مميزاً بالجمع، ولسعيد بن العاص لأنه أعرب الناس ولمالك بن أنس، وأبى بن كعب ولأبى هريرة الذى بارك جمع القرآن، وروى لعثمان حديثاً عن رسول الله يبارك طريقة عثمان بالجمع، فأعجب عثمان بالحديث وأمر لأبى هريرة بعشرة آلاف درهم [۱۲۴] . وسيلة إبطال جمع القرآن بإثبات القرآن ۱ - عند ما كلف زيد بن ثابت بجمع القرآن، قال: (فتتبعت القرآن أجمعه، من الرقاع واللحاف والأكتاف والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة بن ثابت الأنصارى ولم أجدها مع غيره) [۱۲۵] . ۲ - خاف الصديق أن يضيع القرآن فقال للفاروق ولزيد بن ثابت: اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شئ من كتاب الله فاكتباه! [۱۲۶] . ۳ - قام عمر بن الخطاب، فى الناس، خطيباً فقال: (من تلقى من رسول الله شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان [۱۲۷] . ۴ - خطب عثمان، فقال: (من كان عنده من كتاب الله شئ فليأتنا به. وكان لا

يقبل من ذلك حتى يشهد عليه شاهدان، فجاء خزيمة ومعه آيتان فشهد معه عثمان) [۱۲۸] . [صفحه ۱۰۸] ۵ - قال خزيمة: جئت بآية (لقد جاءكم رسول من أنفسكم...) فقال زيد بن ثابت: من يشهد معك؟ قلت: والله لا أدرى، فقال عمر. أنا أشهد معه على ذلك [۱۲۹] . ۶ - كان عمر لا يقبل آية من كتاب الله حتى يشهد عليها شاهدان فجاء رجل من الأنصار بآيتين، فقال عمر: لا أسألك عليهما شاهداً غيرك [۱۳۰] . ۷ - تسمية القرآن: ولما تم لهذا الفريق ما أرد، وجمع القرآن بهذه الكيفية ولم يبق عليهم إلا التسمية احتار، فقد روى الزركشى، السيوطى [۱۳۱] وغيرهما: (لما جمع أبو بكر القرآن قال بعضهم سموه إنجيلاً، فكرهوه، وقال بعضهم سموه (السفر) فكرهوه من يهود. عندئذ قال ابن مسعود (رأيت للحبشة كتاباً يدعونه المصحف فسموه مصحفا). وهكذا جمع القرآن الكريم واختصت مجموعة بفضل جمعه من البداية إلى النهاية، ولولا هؤلاء الأبطال لذهب القرآن ولضاع تماماً بعد قتل حفظته، ولما قامت للدين قائمة، ولما أنجزوا هذا المشروع، لم يبق عليهم إلا تسمية هذا القرآن المجموع وأعملوا مبدأ الشورى واستقر رأيهم بعد الشورى على تسميته بالمصحف لأن للحبشة كتاباً يدعونه بالمصحف، ووضع إنجازهم بين أيدى المسلمين! ۸ - العجب العجاب: وما يدعو للعجب العجاب حقاً ألا يكون على بن أبى طالب لا مع الأبطال ولا مع الفرسان، وهو القائل على روؤس الأشهاد: (سلونى عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار وفى سهل أم جبل..) [۱۳۲] والعجب أيضاً ألا يكون بين أفراد هذه الجموع شخص من أهل بيت النبوة، مع أن القرآن قد نزل فى البيت الذى كانوا يسكنون فيه مع رسول الله [۱۳۳] . [صفحه ۱۰۹] نظرية أهل بيت النبوة وشيعتهم فى جمع القرآن أجمع أهل بيت النبوة وشيعتهم على أن رسول الله كان أول من كتب القرآن الكريم وجمعه، فمن المتفق عليه أن هذا القرآن قد نزل على رسول الله منجماً ومتفرقاً خلال حقبة زمينة امتدت ۲۳ عاماً. ومن المتفق عليه أن تقسيم القرآن إلى سور وتقسيم السور إلى آيات هو ترتيب إلهى وجزء من الوحى، فكلما نزل الوحى بكوكبة من القرآن كان الوحى يقوم بتلاوتها على رسول الله، ومن ثم يبين له فى أى سورة يضع هذه الآيات، أو فى أى سورة يضع كل آية منها، وقد ينزل الوحى بسورة كاملة ومعها اسمها. وكان الرسول يأمر علياً بن أبى طالب، فى العهد المكى، بكتابة القرآن حسب توجيهات الوحى وبالكيفية التى أمر الله بها رسوله. وبعد أن تتم عملية الكتابة والتوثيق كان رسول الله يطلع الناس على ما أوحى إليه، وكان المسلمون والمشركون على السواء يتابعون ما أنزل على الرسول، ويعرفون أسماء السور، ومن أى سورة هذه الآية أو تلك كل لأسبابه الخاصة به. وقد حفظ بعضهم كل ما أنزل على النبى، فى مكة، وساعدهم على ذلك أن هذا الجزء من القرآن المنزل فى مكة قد نزل فى أوقات متفرقة خلال مدة ۱۳ سنة أو ۱۵ سنة، وهى مدة كافية ليحفظ الأذكياء وغير الأذكياء ما أنزل من القرآن. لذلك تجد القرآن الكريم يرسل التحدى للمشركين إرسال المسلمات فيقول (فأتوا بسورة من مثله) [البقرة / ۲۳] (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) [هود / ۱۳] فهم على علم بالسورة، وبالعشر سور، وبكل ما أنزل. ومن غير المستبعد أن يكون بعض المشركين قد جمع ما أنزل من القرآن فى مكة وكتبه حتى لا ينسى، وليفتشوا عن مثالب ومعايب فيه! ومن المؤكد أن ما أنزل من القرآن فى مكة كان مجموعاً ومؤلفاً ومكتوباً عند رسول الله، وكانت لعلى بن أبى طالب نسخة خاصة به مكتوبة بخطة، فهو يقيم مع الرسول فى بيت واحد، وهو أبرز من تكلم اللغة العربية. ومن الطبيعى جداً أن يكتب الكثير ممن آمنوا فى مكة كل ما أنزل على رسول الله ليحفظوه، وليتدارسوا أحكامه. والكتابة عنصر أساسى من عناصر الحفظ والفهم والتدارس. [صفحه ۱۱۰] ولما هاجر الرسول من مكة إلى المدينة، حمل معه كل ما كتاب، وهكذا فعل على بن أبى طالب، وجميع المسلمين الذين كتبوا القرآن. وما كتب فى هذه المرحلة سمى بالمكى. وما كتب بعد الهجرة سمى بالمدنى، وقد تحتوى السورة الواحدة على آيات مكية وأكثرية مدينة أو العكس، فكيف أمكن معرفة ذلك إن لم يك مكتوباً؟. وبعد آونة وجيزة من استقرار النبى فى المدينة، أصبح رسول الله رئيس الدولة أو إمامها ووليها وقائدها، صار له كتاب وحى، وعنده قادة، وصار القرآن الكريم قانون الدولة الجديدة، واستمر الوحى بالنزول على رسول الله وتابع رسول الله كتابة القرآن وجمعه، وتابع سكان المدينة المنورة ما أنزل من القرآن، وقام منافقو المدينة بعمل مشركى مكة، فكانوا يتابعون ما ينزل من القرآن، وقد يكتبونه بحثاً عن مثالب ومطاعن ليسربوها سراً من خلال شائعاتهم. وتابع المسلمون الصادقون ما أنزل من القرآن فكتبه من يحسن القراءة والكتاب منهم

لغايات الحفظ والفهم والدراسة والأجر معاً. وعندما أعلن اكتمال نزول القرآن، كان القرآن كله مكتوباً عند رسول الله ومجموعاً ومؤلفاً، ومكتوباً ومجموعاً ومؤلفاً عند على بن أبى طالب، وعند الكثير من الصحابة، وقد كتب على بن أبى طالب على نسخته الكثير من الحواشى التى أملاها رسول الله عليه وهى بمثابة تفسير. ولا خلاف عند أحد من المسلمين على أن القرآن هو كلام المعجز، وأن العرب هم أهل الفصاحة، وكانوا يعشقونها، لقد كتب العرب ما هو أقل أهمية من القرآن، فقد كتبوا المعلقات السبع وعلقوها داخل الكعبة بعد أن حفظوه خلال مدة ۲۳ عاماً!؟ وهم الذين كتبوا وحفظوا مئات القصائد الشعرية وفق ترتيب الشعراء لهذه القصائد! فكيف لا يحفظون ولا يكتبون القرآن، وهو قانون الدولة النافذ وطريق الصعود والهبوط!؟ وفى حجة الوداع أعلن: (أنى تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتى...)، [صفحه ۱۱۱] فلو كان كتاب الله غير مجموع ولا مكتوب لما ذكره رسول الله بهذه الصيغة! ثم إن القرآن الكريم هو معجزة الرسول الكبرى الدالة على نبوة ورسالته، فهل يعقل أن يتركها دون كتابة؟ وبخاصة أنها ركن الدين الأعظم وقانون ومرجع المسلمين فى كل زمان!؟ ثم إن السبب المعلن الذى دعا الخلفاء الثلاثة لجمع القرآن الكريم هو خشيتهم من أن يقتل حفظة القرآن، وبالتالى يضيع القرآن، وبضياعه يضيع الدين! كيف يحتاط الخلفاء الثلاثة لحفظ القرآن ويخشون ضياعه إن لم يكتب ولا يحتاط النبى ولا يخشى ضياعه وهو الأعلم والأبعد نظراً منهم!؟ فهل هم أحرص على القرآن وعلى الدين من النبى!؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب فتلك والله كارثة، وإن كان غير ذلك فالرسول أولى بهذا الفضل من الخلفاء الثلاثة ومن غيرهم. والخلاصة أن أهل بيت النبوة وشيعتهم يؤمنون إيماناً مطلقاً بأن رسول الله قد كتب القرآن كله وجمعه وألفه فى كتاب بالكيفية التى أمر الله بها رسوله، وأنه كانت عند على بن أبى طالب نسخة مكتوبة من هذا القرآن، وأن المئات من الصحابة كانت لديهم نسخ مكتوبة ومجموعة من القرآن الكريم. وكل ما فى الأمر أنه لما بدأت الفتوحات صارت شعوب البلدان المفتوحة تسأل عن هذا القرآن فكتب قادة الجيوش لأبى بكر بوصفه الخليفة، فتبنى أبو بكر بمساعدة أركان دولته عملية استنساخ عدد من نسخ القرآن المكتوبة والمجموعة وأرسلها إلى قادة جيشه، وتكررت العملية مع عمر عندما تولى الخلافة، وتكررت مع عثمان عندما آلت إليه الخلافة. ولا خلاف فى أن عثمان بن عفان قد منع قراءات القرآن المعتمدة وحصرها فى قراءة واحدة ارتضاها شخصياً وصارت هى القراءة الرسمية المعتمدة من دولة الخلافة، بمعنى أن كل واحد من الخلفاء الثلاثة ينسخ، عدداً من نسخ القرآن الكريم المكتوبة سابقاً من قبل رسول الله وذلك تلبية لحاجات الدولة والفرق أن نسخة رسول الله كانت تتضمن القراءات السبع بينما قصرها عثمان على قراءة واحدة! هذه هى القصة الحقيقة لجمع القرآن الكريم، وما عداها تزلف من شيع [صفحه ۱۱۲] أهل السنة وتقول قد لا يقبله الخلفاء الثلاثة أنفسهم فهم أعلنوا بالعشى والإبكار أن الرسول خير منهم وأبعد نظراً ومعرفة بعواقب الأمور، وأحرص على القرآن والدين. وبالرغم من أن نظرية شيع أهل السنة فى جمع القرآن الكريم صارت هى النظرية الرسمية لدولة الخلافة التاريخية إلا أن هنالك روايات متعددة رواها أصحاب الصحاح وجميعها تفيد بأن القرآن كان مكتوباً ومجموعاً فى كتاب مؤلف فى عهد رسول الله. فقد روى الطبرانى وابن عساكر عن الشعبى أنه قال: (جمع القرآن على عهد رسول الله ستة من الأنصار...) [۱۳۴] وأخرج النسائى عن عبد الله بن عمر قوله: (جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة) فبلغ النبى فقال: (اقرأه فى شهر) وروى الحاكم فى مستدركه عن زيد بن ثابت أنه قال: (كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع) قال الحاكم: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) [۱۳۵] فكيف نترك هذه الروايات التى تتفق مع نظرية أهل بيت النبوة وشيعتهم فى جمع القرآن، ونرجح، وبغير مرجح، روايات شيع أهل السنة الأخرى التى تقول أن الرسول ترك القرآن من دون كتابه ولا جمع، فجاء الخلفاء الثلاثة وسدوا هذ الثغرة. ولولا هم لضاع القرآن، فأى الطائفتين أولى بالترجيح وأليق بمقام النبوة!؟ ومع أن نظرية شيع أهل السنة فى جمع القرآن ساقطة علمياً وعقلياً كشجرة اجتثت من فوق الأرض إلا أنها فتحت أبواب الشائعات بنقص سور [۱۳۶] . أقوال العلماء من شيعة أهل بيت النبوة ۱ – قال الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين العاملى: (كان القرآن مجموعاً أيام النبى على ما هو عليه الآن، من الترتيب والتنسيق، فى آياته وسوره [صفحه ۱۱۳] وسائر كلماته وحروفه بلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا تغيير، وكان القرآن زمن النبى يطلق عليه الكتاب. قال تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه

هدى للمتقين) [البقرة / ٢]. وهذا يشعر بأنه كان مجموعاً ومكتوباً، لأن ألفاظ القرآن إذا كان محفوظة ولم تكن مكتوبة لا تسمى كتاباً وإنما تسمى بذلك بعد الكتابة كما لا يخفى) [١٣٧] . ٢ - قال الشيخ الصدوق فى كتابه الاعتقاد: (إن القرآن الذى أنزله الله على سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو ما بين الدفتين وهو ما فى أيدى الناس، ومبلغ سورة ١١۴ سورة) [١٣٨] . ٣ - قال الشريف المرتضى: (إن القرآن على عهد رسول الله كان مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن، وكان يحفظ ويدرس جميعه فى ذلك الزمان، وأنه كان يعرض على النبى) [١٣٩] . ۴ - قال الشيخ الطوسى: (والعلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة، وأشعار العرب المسطورة. أما الكلام فى زيادته ونقصانه فمما لا يليق به). ۵ - قال الفيض الكاشانى: قال تعالى (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) [فصلت / ۴١ - ۴٢] وقال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [الحجر / ٩] فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير؟. ۶ - قال العلامة جعفر النجفى: (لا زيادة فيه من سورة ولا- آية من بسملة وغيرها ولا كلمة ولا حرف وجميع ما فى الدفتين مما يتلى كلام الله بالضرورة). ٧ - قال الشريف شرف الدين: (والقرآن الكريم الذى لا- يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إنما هو ما بين الدفتين وهو ما فى أيدى الناس، لا يزيد حرفاً ولا [صفحه ١١۴] ينقص حرفاً ولا- تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا حرف بحرف وكل حرف من حروفه متواتر فى كل جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحى والنبوة. وقد كان مجموعاً على ذلك العهد الأقدس مؤلفاً على ما هو عليه الآن، وكان جبريل يعرض على رسول بالقرآن فى كل عام وقد عارضه عام وفاته مرتين، وكان الصحابة يعرضونه ويتلونه على النبى حتى ختموه عليه مراراً عديدة. وهذا كله من الأمور المعلومة الضرورية لدى المحققين) [١۴٠] . السؤال الرابع فى الجلسة الرابعة قال صاحبنا: أنه سعيد لاطلاعه على نظرية شيعة أهل بيت النبوة فى جمع القرآن، وهى نظرية متماسكة تليق بتلك المعجزة العظمى. وأضاف إنه مندهش إلى أبعد الحدود من ركون أهل السنة إلى نظريتهم فى جمع القرآن! وتمنى عليهم لو أعادوا النظر فيها واتبعوا الحق فهو أحق يتبع، وأخرج من جيبه ورقة مكتوب عليها السؤال الرابع، ومفاده: ما هى عقيدة أهل الشيعة فى ذات الرسول وفى الأئمة الشرعيين من بعده؟ وما هى عقيدة أهل السنة فى ذات الرسول، وهل يمكنكم سوق شواهد على ذلك؟ فوعدت صاحبى بتسليمه الأجوبة فى أقرب وقت ممكن، وهكذا فعلت. [صفحه ١١۵]

عقيدة أهل بيت النبوة و شيعتهم فى رسول الله محمد والأئمة من بعده

يؤمن أهل بيت النبوة وشيعتهم بأن رسول الله سيد ولد آدم وأفضلهم على الإطلاق، اختاره الله تعالى ليكون رسوله وخاتم النبيين، وأعده لهذه المهمة وأهلها لها، فجعله الأفهم والأعلم فى دين الإسلام بمفهومه الشامل، وهداه ليكون الأقرب لله، وأعلى منزلته ليكون أفضل وأصلح أبناء الجنس البشرى، ثم عصمه عصمة كاملة فلم يعص الله عز وجل منذ خلقه الله إلى أن قبضه، ولا تعمد له خلافاً، ولا أذنب ذنباً على التعمد ولا النسيان، وبذلك نطق القرآن (والنجم إذا هوى - ما ضل صاحبكم وما غوى - وما ينطق عن الهوى) [النجم / ١ - ٣] إذ نفى بذلك عنه كل معصية ونسيان وعلى ذلك تواتر الخبر عن آل محمد، وهذا مذهب الإمامية [١۴١] (الأنبياء والأئمة من بعدهم معصومون فى حال نبوتهم وإمامتهم من الكبائر كلها والصغائر) [١۴٢] (ونقطع بكمالهم عليهم السلام فى العلم والعصمة فى أحوال النبوة والإمامة، ونقطع على أن العصمة لازمة منذ أن أكمل الله عقولهم إلى أن قبضهم عليهم السلام) [١۴٣] بمعنى أن الرسول الأعظم هو النموذج الأمثل للإنسان الكامل الذى يبلغ أمر الله بالدقة المتناهية من دون زيادة ولا نقصان، وهو المرجع الموثوق المعد والمؤهل للإجابة عن كل سؤال يتعلق بأى أمر من أمور الدنيا جواباً شرعياً دقيقاً قائماً على الجزم واليقين، فهو لا ينطق عن الهوى، بل يتبع ما يوحى إليه تماماً، إنه (مطعم) ضد الخطأ والنسيان، فلا ينطق ولا يعمل إلا صواباً، لأنه المبلغ عن الله أمره، وأمر الله يعالج أمور الدين والدنيا، وهو القائد الشرعى للبشرية ومرجعها الأوثق، همزة الوصل بين المكلفين المأمورين وبين الله تعالى الآمر [صفحه ١١۶] المكلف. فإن لم يكن النبى معصوماً لما حدث اليقين بعصمة الأوامر والتكاليف. وباضطراب اليقين تضطرب العقيدة، ويختل أسس

الحیاة، ویضیع الأفراد والجماعات فی متاهات الظن والتخمین، ولأن أمر الله دائم بعد انتقال الرسول إلی جوار ربه، ولأن دین الإسلام الذی جاء به محمد آخر الأدیان السماویة فلا دین بعده، ولأن الدعوة إلی الله مستمرة إلی یوم القیامة، فقد زود الله الأئمة الشرعیین من بعد النبی بهذا التفضل واللطف الإلهی فعصمهم (وطعمهم) ضد الخطأ والنسیان، وجعل کل واحد منهم هو الأعلم والأفهم بالدین والأقرب إلی الله ورسوله وأفضل أهل زمانه وأصلحهم. لیکون بحق المرجع الموثوق للجنس البشری القادر علی الإجابة عن کل سؤال جواباً شرعیاً قائماً علی الجزم والیقین، والفرق أنه لیس نبی ولا- رسول إنما هو قائم مقام الرسول وخاتم النبیین، ولم یترک الله تعالی خلقه سدی، إنما بین لهم أن محمداً بشر، وأنه میت لا- محالة، وأن الأئمة الشرعیین من بعده اثنا عشر إماماً أولهم علی وآخرهم المهدی، وسمی کل واحد من الاثنی عشر باسمه وبین أن کل واحد منهم یعین بنص ممن سبقه، وأن کل واحد منهم فی زمانه هو الأولی بکل مؤمن من نفسه، وأن الله تعالی قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً، وهم الأبناء والأنفس کما هو ثابت فی آیة المباهلة، وأنهم أحد الثقلین، فلا یدرک الهدی إلا بالتمسک بالقرآن والأئمة، ولا یمکن تجنب الضلالة إلا بالتمسک بالاثنین معاً، کما هو ثابت من حدیث الثقلین، وهم فی العالم عامة وفی الأمة خاصة کسفینة نوح فی قومه، من رکبها نجا ومن تخلف عنها غرق کائناً من کان، کما هو ثابت من حدیث السفینة. وهم نجوم الهدی، فکل واحد منهم فی زمانه هو النجم الذی به الناس یهتدون، وهم مقیاس الولاء والطاعة لله ولرسوله، ومعیار الإلتزام بالشرعیة الإلهیة، فمن والاهم وأطاعهم وانقاد لهم فقد والی الله ورسوله وأطاعهما وانقاد لهما، ومن لم یفعل ذلک فقد خلع ولایة الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله والانقیاد لله ولرسوله، ولم لا فهم القائمون مقام النبی، والإسلام ارتکز دائماً علی ثقلین: کتاب الله وهو بمثابة القانون الإلهی النافذ ورسول الله وهو بمثابة القیادة السیاسیة الشرعیة، ولا غنی للفرد ولا- للمجتمع عن القانون والقیادة، فکل واحد منهما مکمل للآخر، وبانتقال [صفحه ۱۱۷] الرسول إلی جوار ربه آلت القیادة الشرعیة من بعده إلی الأئمة الذین اختارهم الله وأعلن عنهم رسوله. وبین أن ولایتهم ولایته. تلک هی عقیدة أهل بیت النبوة فی الرسول والأئمة من بعده، وما عداها تحمیل أو تحامل. شواهد من عقیدة شیع أهل السنة فی ذات الرسول الأعظم الخاصة والعامة من شیع أهل السنة یوقنون أن صحیحی البخاری ومسلم من أصح الآثار، وأنهما یأتیان من حیث الصحة بعد القرآن الکریم مباشرة. من أجل هذا اخترنا نماذج من الأحادیث الواردة فی هذین الصحیحین والمتعلقة بذات الرسول، لنسهل علی الباحث الحکم علی معتقدات الشیع الإسلامیة وقربها أو بعدها عن روح الإسلام ومعدنه النقی: ۱ - روی البخاری، فی کتاب: (الذبائح باب ما ذبح علی النصب والأصنام) [۱۴۴] أن الرسول الله قبل أن ینزل علیه الوحی قدم سفرة من الطعام إلی زید بن عمرو بن نفیل فیها لحم، فأبی زید أن یأکل منها قائلاً للرسول: (أنی لا آکل إلا مما ذکر اسم الله علیه!) فهذه الروایة تبین أن زیداً کان فی الجاهلیة أفضل من رسول الله وأحوط، فقد کان یتجنب من أمرها المخالف للشرع الإلهی ما لا یتجنبه الرسول نفسه! ۲ - روی البخاری، فی کتاب (الدعوات، باب قول النبی من آذیته)، وروی مسلم فی کتاب (البر والصلة باب من لعنة النبی ولیس له أهلاً) أن رسول الله کان یغضب فیلعن ویسبه ویؤذیه من لا یستحق! ودعا الله أن یجعله لمن بدرت منه إلیه زکاة وطهوراً! فهذه الروایة تصور فی صورة الرجل الذی یفقد السیطرة علی أعصابه عند الغضب، فیلعن ویسب ویؤذی من لا یستحق اللعن والسب والإیذاء! ورحمة بضحایا غضب النبی، وکحل دائم للآثار المترتبة علی عادته بلعن الناس وسبهم [صفحه ۱۱۸] وإیذائهم من دون وجه حق ; دعا الله أن یجعل اللعن والسب والإیذاء زکاة لضحایاه وطهراً! ومن المؤکد أن الإنسان العادی یترفع عن سب الناس ولعنهم وإیذائهم دون سبب، فمن باب أولی أن یترفع عنه سید ولد آدم ورسول البشریة کلها وخاتم النبیین، ومن شهد الله تعالی بعظمة خلقه فی آیة محکمة (وإنک لعلی خلق عظیم) [القلم / ۴] ولا یخفی علی کل مطلع أن هذا الجانب من شخصیة الرسول من مبتدعات السیاسیة وتفصیل ذلک أن الذین أسسوا الدولة الأمویة کانوا من أعداء الله ورسوله ومن الذین حاربوا رسول الله طوال ۲۳ عاماً فلعنهم الله ورسوله، ثم أسلموا فی ما بعد وقبضوا علی مقالید الأمور الإسلامیة بالتغلب والقهر. ولإبطال مفاعیل اللعن الإلهی والنبوی لهم فی نظر العامة اخترعوا هذا الجانب من شخصیة الرسول، فبینوا أنهم کانوا ضحایا الغضب النبوی، وجزاهم الله بما صبروا الزکاة والطهور. وهکذا امتازوا عن أصحاب الحق الشرعی - أهل بیت النبوة - فأهل

البيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والـذين لعنهم رسول الله زكـاهم ربهم بـدعاء النبى، وطهرهم تطهيراً أيضاً. وجاء فقهاء السـلطة وأذكياؤها فأكدوا أن النبى جدير بهذا الخلق، فهو بشـر (قل إنما أنا بشـر مثلكم يوحى إلى..) [الكهف / ۱۱۰] وفعلت العادات ووسائل إعلام الدولـة التاريخية الإسـلامية فعلها، ونجحوا فى تثبيت هذا الجانب المخترع من شخصـية الرسول وإظهاره بمظهر الحقائق مع أنه ظلم واختلاف! ۳ - روى البخارى، فى كتاب بدء الخلق، باب صـفة إبليس وجنوده، وكتاب الطب، باب هل يسـتخرج السـحر؟ وكتاب الأدب، باب إن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات باب تكرير الدعاء، وروى مسـلم فى صـحيحة باب السـحر ما يلى: (إن بعض اليهود سـحر رسول الله حتى يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما فعله)! لم تقع هذه الحادثة قبل البعثة! إنما وقعت والرسول يبلغ رسالات ربه! وأثنـاء الـدعم الإلـهى المطلق له، وبعـد نزول قوله تعالى: (ما ضل صاحبكم وما غوى - وما ينطق عن الهوى - إن هو إلا وحى يوحى) [النجم / ۲ - ۴] ومع هذا تسـتطيع حفنة من اليهود أن تسحر النبى، وأن تعوقه عن تبليغ رسالات ربه! وأن [صفحه ۱۱۹] تشككك بعقله ووعيه وتتحكم بإرادته وسـلوكه! ويجدر بالذكر أن المشركين قد أشاعوا، فى مكة، أن رسول الله رجل مسحور لذلك قال قائلهم: (إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسـحوراً) [الإسراء / ۴۷] (وقـال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسـحوراً) [الفرقان / ۸] ولم يرو راو قط أن المشـركين قد تشـبثوا بهذه الشائعة بعد الهجرة. ومع هذا يؤكد البخارى ومسلم فى صحيحيهما صحة واقعة سحر اليهود للرسول بعد الهجرة، وتأثير هذا السحر به لدرجة أنه كان يخيل إليه أنه قد فعل الشئ، مع أنه لم يفعله فى الحق والحقيقة ولا تستغرب شيع أهل السنة ذلك، تحت شعار أن محمداً بشر! ۴ - وروى البخارى، فى صـحيحه، باب قول الله (وصل عليهم)، وكتاب الشهادات باب شهادة الأعمى ونكاحه، وروى مسلم فى صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتعهد القرآن عن عائشة ما يلى: (أن النبى سمع رجلاً يقرأ فى المسجد، فقال: رحمة الله أذكرنى كذا وكذا، آية أسقطتها من سورة كذا...)! وأنت ترى أن الرسول، حسب هذه الرواية، قد أسقط آيـة من سورة ولولا هذا الصـحابى الذى ذكره بها لبقى الإسـقاط المزعوم قائماً! وهذا يتفق مع نزعة تقديس الصـحابة، وتحجيم مكانة رسول الله خير البشر وسيدهم. وصولاً إلى إبطال الإلهية المتعلقة بنظام الحكم الذى بلغه رسول الله! ۵ - روى مسلم فى صحيحه، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معايش الناس... وسنن ابن ماجه باب تلقيح النخل ما يلى: (أن رسول الله مر بقوم يلقحون النخـل فقال: لو لم تلقحوها لصـلح، فتركوا تلقيحها فخرج شـيصاً فقال الرسول: (أنتم أعلم بشؤون دنياكم). فأنت تلاحظ أن هذه الرواية تخرج رسول الله بالكامل عن التأثير عن مسيرة الأحداث الدنيوية، وتؤكد أن الناس أعرف بشؤون الدنيا من رسول الله! بل وتلقى ظلالاً على طبيعة شخصية الرسول كما أرادوها، فقد أفتى بشؤون الدنيا التى لا يعرفها، ونتيجة فتواه خرج النخل شيصاً وتدمر أكبر مورد من موارد الرزق فى [صـفحه ۱۲۰] البلاـد التى كـان يحكمها الرسول، ومن الطبيعى أن شـخصاً عادياً لا يمكن أن يقع فى هـذا (المطب)! فكيف بنبى ورسول مرتبـط بـالله وبـالوحى! ولكن هـذه النزعـة تتفق تماماً مع توجه الخلفاء وأعوانهم الرامى إلى إبطال مفاعيـل الأحكام التى أعلنها الرسول والمتعلقـة بشؤون الحكم وإدارة حياة المحكومين. ۶ - جـاء فى بعض كتب الأحاديث [۱۴۵] أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب كل ما كان يسمعه من رسول الله، فذكر ذلك لبعض الصحابة فقالوا له: تكتب كل شئ تسمعه من رسول الله مع أن الرسول بشـر يتكلم فى الغضب والرضـى!؟... الـخ فـأنت ترى أن هـذا الفريق من الصـحابة يؤمن بـأنه ليس كل ما يقوله رسول الله صـحيحاً! وكيف يكون صـحيحاً والرسول بشر يتكلم فى الغضب والرضى! وبالرغم من أن الرسول قد أقسم لهم بأنه لا يخرج من فمه إلاـ الحق إلاـ أن عقيـدتهم فى هـذه الناحيـة لم تهتز [۱۴۶] لـذلك طلب أول الخلفاء رسـمياً من الناس ألا يحـدثوا عن رسول الله. وحتى الأحـاديث التى كتبها بنفسه عن رسول الله قام بإحراقها احتياطاً لـدينه واعتماداً على القرآن لأن القرآن وحـده يكفى [۱۴۷] ، وهكذا فعل الخليفة الثانى، والثالث [۱۴۸] والأهم من ذلك أنهم قالوا للرسول وجهاً لوجه: أن القرآن وحـده يكفينا ولا حاجة لنـا بوصاياك وكتبك [۱۴۹] وهكـذا تم إبطـال كافـة أقوال الرسول الـتى يرى الخليفـة أنهـا غير مناسبة، أو الـتى تتعـارض مع الواقع المفروض!! وفى أحسن الأحوال صار الرسول مجتهـداً وصار الخليفـة مجتهداً [۱۵۰] كل ذلك تحت شـعار أن الرسول بشر، فلا ينبغى أن يعطى أكبر من حجمه الذى رسـموه له! [صفحه ۱۲۱] تلك شواهد من عقيدة شيع أهل السنة فى ذات الرسول، وهى كما تلاحظ

تناقض تماماً عقيدة أهل بيت النبوة وشيعتهم فى هذا المجال! السؤال الخامس قال صاحبنا: لقد قرأت أجوبتكم عن تساؤلاتى حول ذات النبى والأئمة الشرعيين من بعده، ووقفت على عقيدة الفريقين فأرجو من الأخ الكريم أن يبين، وباختصار شديد، مصادر التشريع عند كل من أهل السنة وأهل الشيعة، وسأعود بعد أسبوعين لآخذ الجواب وأوجه لك أخطر الأسئلة. وعلى ذلك اتفقنا. مصادر التشريع عند أهل بيت النبوة وشيعتهم المصدران الوحيدان: يؤمن أئمة أهل بيت النبوة وشيعتهم إيماناً كاملاً بأن القرآن الكريم. والسنة النبوية بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير هما المصدران الوحيدان للتشريع. قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى أنزل فى القرآن تبيان كل شئ، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل فى القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه) [۱۵۱] وروى عن الإمام محمد الباقر قوله: (إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله فى كتابه، وبينه لرسوله، وجعل لكل شئ حداً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً). وروى عن الإمام موسى بن جعفر قوله عند ما سأله أحد أصحابه: (أكل شئ فى كتاب الله وسنة نبيه؟ أو تقولون فيه؟ قال: بل كل شئ فى كتاب الله وسنة نبيه) [۱۵۲] لقد أجمع الأئمة الكرام على ذلك. وجاء القرآن الكريم فصدق الأئمة بما أجمعوا فقال تعالى مخاطباً نبيه: (... ونزلنا عليك الكتاب [صفحه ۱۲۲] تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) [النحل / ۸۹]. ومن أبرز مهمات النبى الكريم أن يبين للناس ما أنزل إليه من الله، وقد فعل إذ نزل القرآن منجماً خلال مدة ۲۳ عاماً، وخلال هذه المدة بينه النبى بالقول والفعل والتقرير، حتى لم يعد هنالك شئ على الإطلاق إلا ـ وأنزله الله تعالى فى كتابه وبينه رسوله الكريم. ومن هنا يمكنك القول بكل ثقة إن للدين الإسلامى مصدرين: أولهما كتاب الله المنزل، وثانيهما نبى الله المرسل بذاته وقوله وفعله وتقريره. فالقرآن الكريم حسب تأكيده، وتأكيدات الرسول والأئمة الأطهار يشمل حكماً لكل شئ، ولكن لا أحد يعلم هذه الخاصية علم اليقين، أو يعلم موضع حكم كل شئ إلا الرسول، والأئمة الذين اختارهم الله تعالى لخلافة الرسول وأهلهم وأعدهم لهذا المنصب الجليل. فهم وحدهم الذين يفهمون هذه الخاصية فى القرآن الكريم والقادرون على التأثير على حكم القرآن فى كل شئ تأثيراً قائماً على الجزم واليقين. وهذا الترتيب الإلهى القائم على التكامل بين العبد والكتاب هو فى مضمون يرسم دائرة الشرعية الإلهية فى كل زمان ومكان، فالقرآن هو القرآن منبع كل الأحكام لا يتغير ولا يتبدل والعبد هو العبد رسول الله والأئمة الأطهار كل فى زمانه. والخلاصة أن مصادر التشريع أو منابع الأحكام فى كل زمان ومكان تأتى من مصدرين لا ثالث لهما، وهما كتاب الله وسنة رسوله، ولا توجد مشكلة عملية فى زمن الرسول، فهو المرجع المؤهل إلهياً باستخراج الحكم الشرعى من موضعه فى القرآن الكريم كذلك فإن كل إمام من الأئمة يمكنه بالتأهيل الإلهى أن يدل المكلفين على موضوع الحكم الشرعى فى القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، فلو حكم الأئمة الاثنا عشر الذين اختارهم الله وبينهم رسوله لما أحتاج العالم لأكثر من القرآن والسنة لاستخراج حكم الله فى كل شئ ولكن، والرسول على فراش المرض، وبعد انتقاله إلى جوار ربه حدث انقلاب سياسى مدبر، تم فيه استبعاد الأئمة الشرعيين الذين اختارهم الله لقيادة الدعوة والدولة الإلهيتين، وحل محل الأئمة الشرعيين بالقوة والتغلب والقهر حكام ليسوا مؤهلين إلهياً للإمامة والمرجعية، ومؤهلهم الوحيد هو القوة والتغلب والقهر. والضرورات تفرض على هؤلاء المتغلبين أن يجدوا حكماً لما يعترضهم من أمور، وما يجد من مشكلات فإذا اعتقدوا أن هذا [صفحه ۱۲۳] الحكم أو ذاك موجود فى القرآن أو السنة، وأن تطبيقهم له لا يتعارض مع سلطتهم أخذوا به، وإن لم يجدوه فى القرآن أو السنة وغالباً ما يجدوه يبحثون عن طرق عقلية ويلبسونها ثوب الشرعية ثم يستخرجون منها حاجتهم من الأحكام. نعرف مصطلح الاجتهاد، ومصطلح القياس، ومصطلح العرف، ومصطلح الإجماع، ومصطلح المصالح المرسلة، ومصطلح سنة الصحابى.. الخ وكل هذه المصطلحات ساعدت على التغطية على عدم أهلية المتغلبين، وصارت غطاء لشرعية البحث عن الأحكام خارج إطار القرآن والسنة. وعند ما انقطعت صلة المسلمين الشيعة بالأئمة الكرام، فى الأعصر الأخيرة، وأمام ضرورات استخراج الأحكام الشرعية لمواجهة المشكلات الحادثة اعتمد المسلمون الشيعة على الكتاب والسنة النبوية المنقولة عن الثقات المتورعين مهما كان مذهبهم. فالكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان عند أهل بيت النبوة وشيعتهم [۱۵۳] ولا ـ يعتمد أهل بيت النبوة القياس أو

الاستحسان أو غيره من المصادر التى تعتمدها شيع أهل السنة. أما الإجماع فليس مصدراً إلى جانب الكتاب والسنة، ولا يعتمد عليه إلا من أجل كونه وسيلة إثبات، فهو يكشف عن الدليل أحياناً [۱۵۴] . أما ما يتعلق بالأئمة الكرام، فأهل بيت النبوة وشيعتهم يؤمنون إيماناً مطلقاً بأن الأئمة الكرام مؤهلون إلهياً للإمامة والمرجعية، فكل واحد منهم يعرف فى زمانه معرفة قائمة على الجزم واليقين حكم كل شئ فى القرآن الكريم، وكل واحد منهم محيط فى زمانه بالسنة النبوية، وكل واحد منهم هو الأعلم والأفهم بالدين فى زمانه، هو الأفضل والأوثق وهذا ما عبر عنه الإمام جعفر بن محمد الصادق بقوله: (حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدى، وحديث جدى حديث على بن أبى طالب، وحديث على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحديث رسول الله قول الله [صفحه ۱۲۴] عز وجل) [۱۵۵] وقد ورث الأئمة ديناً كاملاً، ونعمة تامة، وعلم النبوة كله فما ثبت عن أى واحد من الأئمة هو جزء من الدين. لأن الإمام منهم لا ينطق إلا بالحق، لأنه مؤهل ومعد إلهياً لذلك. السؤال السادس قال صاحبى: إن أخطر التهم التى توجه لشيعة أهل بيت النبوة هى استخفافهم بالصحابة الكرام والطعن فيهم، وقد اطلعت على كتابكم القيم: (نظرية عدالة الصحابة والمرجعية السياسية فى الإسلام) ورأيت أنه كاف لتوضيح وجهة نظر أهل بيت النبوة وشيعتهم فى هذا المجال. لكنى أريد أن تربط هذه النظرية، سياسياً وتاريخياً، بالواقع الذى ساد، وأن تبين لى، وبما أمكن من الإيجاز، مصطلح صحابة وصحابى، وهل يشمل المنافقين والمرتزقة من الأعراب، والذين فى قلوبهم مرض؟ آمل أن توضح لى هذا المصطلح، وأن تربطه بحركة الأحداث، و بانقلاب البطون على الشرعية الإلهية، وبخطتها فى تسويغ هذا الانقلاب، ثم كيف أخذت نظرية عدالة جميع الصحابة شكلها ومضمونها النهائيين؟ وما هى الأسباب الموجبة لاختراعها؟ وما هو دور الأمويين، وبالأخص معاوية، فى إيجادها تجذيرها؟ وكيف أصبحت عقيدة لدولة البطون؟ ومن هم الصحابة حسب مقاييسها النهائية؟ وما هى امتيازاتهم حسب المفهوم الرسمى؟ وما هى العقوبة التى رتبها الخلفاء للمشككين بها؟ وهل جرت محاولات لتعديلها؟ وأخيراً، أرجو أن تبين مفهوم الصحابة والصحبة عند أهل بيت النبوة وشيعتهم، وما هى نقاط الخلاف والائتلاف بينهم وبين الخلفاء وشيعهم فى هذا المجال؟ وأن تربط ذلك بالواقع التاريخى، وهل هنالك فئات ما زالت الشيعة تجرؤ على الإعلان عن عدم عدالتهم؟ إننى لواثق أننى أثقلت عليك، ولكن هذا ضرورى لتوطيد ولائى ومحبتى لأهل بيت النبوة. [صفحه ۱۲۵] قلت لصاحبى فى مدة لا تتجاوز الثلاثة أشهر سأجيبك عن كل ما سألته، وتسهيلاً لاستيعابك لهذا الأمر أرجو أن تعيد قراءة كتابنا (نظرية عدالة الصحابة) ومضت الأيام وسلمت صاحبنا إجاباتى عن أسئلته آنفة الذكر. [صفحه ۱۲۹]

نظرية عدالة الصحابة

نظرية عدالة الصحابة عند الخلفاء و شيعتهم

عوامل نشأة النظرية ووظيفتها نظرية عدالة الصحابة، فى المعنى الذى استقر نهائياً فى أذهان العامة والخاصة، من أهل السنة، نظرية غريبة عن الإسلام تماماً. وهى من اختراعات الخلفاء وأوليائهم عبر التاريخ، فقد سخر هؤلاء موارد دولة الخلافة التاريخية وإعلامها الضخم حتى حشوها فى الأذهان، ثم ورثتها العامة كما ورثت بقية المعتقدات، وكذلك فعل الذين من بعدهم واعتبروها مسلمات، فوق مستوى العقل، وخارج نطاق عمله، لأنهم ورثوها أولئك العمالقة الذين فتحوا مشارق الدنيا ومغاربها، وإعمال العقل فى تلك الموروثات يشكل – برأيهم – سوء ظن بأولئك العظماء، ومحاولة لاتباع سبل غير سبيلهم! ونظراً لتعمق هذه القناعة فى نفوس العامة واختلاطها إلى درجة الالتحام مع الدين الحنيف بفعل التراكمات التاريخية، فإننا نحتاج إلى جهد هائل لتصحيحها. ومن هنا كان لزاماً علينا أن نربط نشأة هذه النظرية ربطاً محكماً بالوقائع التاريخية والسنة النبوية العملية، وبالروح العامة للدين الحنيف وبالصراعات السياسية التى عصفت بالمجتمعات العربية عند ظهور النبى، وخلال مرحلتى الدعوة والدولة النبويتين، والتى كشرت عن نابها واشتدت والنبى على فراش الموت، ثم هاجت وماجت، وألقت أجرانها بعد موت النبى، ثم فرض المنتصرون رؤاهم وبناهم الفكرية والعقيدية

على المحكومين بنفوذ الدولة وقوتها وإعلامها، وسنعالج هذا الارتباط الوثيق من خلال البحوث التالية: مصطلح صحابة وصحابى الصحابة جمع صحابى، واللفظان من مشتقات الكلمة الأصلية (أصحب) وتعنى، لغة، عاشر، أو رافق، أو جالس أو شايع [۱۵۶] والقرآن الكريم، فى [صفحه ۱۳۰] وجه من وجوهه هو المرجع اليقينى الأوثق للغة. وباستقراء الآيات القرآنية التى وردت فيها مشتقات الكلمة الأصلية (صحب أو صاحب) تجد أنها قد غطت بالكامل المعانى اللغوية التى أشرنا إليها، وقد تكررت هذه المشتقات فى القرآن الكريم ۹۷ مرة، وهى حصراً (تصاحبنى، وصاحبهما، وصاحبته وأصحاب، وأصحابهم، وصاحبه...) ومن المثير للدهشة أن القرآن الكريم قد خلا من لفظى (صحابى وصحابة) [۱۵۷] . وقد استعمل لفظ (أصحاب محمد) للدلالة على الذين سبقوا باعتناق الإسلام، أو تظاهروا بهذا الاعتناق، وكانوا يشكلون قلة وسط محيط عربى مجاهر بالشرك ومعارض لمحمد ولدينه. وهذه القلة هى التى سبقت الناس إلى الدخول فى الإسلام والتى قامت دولة النبى بسواعدها، والتى تحملت أعباء المواجهة الأولى مع بطون قريش ومن والاها. لقد عرفت هذه القلة بأصحاب محمد أو بأصحاب الرسول أو بالأصحاب إطلاقاً، وبقيت تحمل هذا الوصف حتى بعد انتصار النبى وبعد أن دانت له العرب رغبة أو رهبة، ودخلوا جميعاً فى دين الله أو تظاهروا بذلك. ومن هذه القلة فئة منافقة تظاهرت بالإسلام والإيمان عند قدوم النبى إلى المدينة المنورة، وفى الحقبة الزمنية التى بدأت فيها المواجهة المسلحة بين الرسول وأصحابه القلة وبين بطون قريش ومن والاها من العرب. ومع أن قلوب أولئك المنافقين كانت كافرة بالرسول، وبكل ما جاء به، إلا أنها كانت حريصة على إظهار الإسلام والإيمان، والقيام بجميع الواجبات المطلوبة ظاهرياً، وعندما كانت تتخلف عن ذلك أو تظهر بعض بوائقها، كانت تعتذر للرسول وتلح فى الاعتذار حتى يعذرها. وكانت حريصة على التظاهر بموالاة الرسول فى الوقت الذى كانت فيه قلوب أفرادها تقطر بالحقد عليه وعلى آله، وتتربص الفرص لنقض كلمة الإسلام من أصولها أو للانحراف بمساره عند الاقتضاء. وقد قويت شوكة النفاق حتى صار ظاهرة من أخطر الظواهر التى هددت مجتمع الرسول. واحتل الهجوم عليها، وكشف وسائل المنافقين الخبيثة، [صفحه ۱۳۱] وخطورة ظاهرة النفاق، وطبيعة نفسية المنافقين المريضة حيزاً كبيراً من القرآن الكريم، ومع هذا لم يكن هنالك تنزيل للمنافقين، فالجميع يقومون بالأعمال نفسها، ويرددون الألفاظ عينها، يضمهم مجتمع واحد هو مجتمع المدينة، ويدينون بالطاعة أو يتظاهرون بها لقائد واحد هو الرسول. وقد بلغ تغلغل المنافقين فى مجتمع المدينة حداً يثير الذهول، فقد يكون الأب منافقاً والابن مؤمناً كحالة عبد الله بن أبى وابنة. لقد كانت المدينة المنورة عاصمة دولة النبى وفى الوقت نفسه المقر الرئيسى لمردة النفاق، وخارج نطاق دولة النبى ينظر للجميع على أساس أنهم أصحاب محمد، ويعرفون بهذا الوصف لأنهم سبقوا فى دخول الإسلام، أو تظاهروا بهذا الدخول، ولأنهم كانوا جند النبى أثناء مرحلة المواجهة المسلحة الأولى أو تظاهروا بذلك. وعند ما جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس جميعاً فى دين الله أفواجاً، وصار المجتمع العربى مجتمعاً إسلامياً، وصار النبى سيد الجميع وحاكمهم، بقيت الفئة القليلة التى سبقت إلى الإسلام أو تظاهرت به، والتى خاضت غمار المواجهة أو تظاهرت بخوضها بقيت فئة متميزة من غيرها من المسلمين تعرف بالوصف السابق نفسه: (أصحاب محمد) من دون البحث الدقيق عن حقيقة نفاق المنافقين أو عمق إيمان المؤمنين من هذه القلة! والثابت أن الرسول قال عن زعيم المنافقين عبد الله بن أبى: (فلعمرى لنحسن حجته ما دام بين أظهرنا) [۱۵۸] ولما اقترح بعض المسلمين على رسول الله أجاب بما معناه: (كيف يقال إن محمداً يقتل أصحابه؟!). وعند ما اقترح أسيد بن حضير على الرسول أن يقتل المنافقين الذين تآمروا على قتله، فى أثناء عودته من غزوة تبوك، أجابه الرسول قائلا: (إنى أكراه أن يقول الناس أن محمداً لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده فى قتل أصحابه! فقال أسيد: يا رسول الله، فهؤلاء ليسوا أصحابا! قال الرسول: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى ولا شهادة لهم! قال: أليس يظهرون أنى رسول الله؟ قال: بلى ولا شهادة لهم! [صفحه ۱۳۲] قال النبى: فقد نهيت أن أقتل أولئك) [۱۵۹] وبعيد انتقال النبى إلى جوار ربه بقيت هذه الفئة – مؤمنها ومنافقها – متميزة من غيرها من فئات المجتمع الإسلامى معروفة بالوصف نفسه: (أصحاب محمد) أو (أصحاب رسول الله). المنافقون والمرتزقة من الأعراب قوة كبرى بعد استسلام زعامة بطون قريش، وبعد فتح مكة وسقوط عاصمة الشرك بيد رسول الله، وبعد أن أغلقت جميع الأبواب فى وجه

المشركين وقيادتهم، ولم يبق إلا باب الإسلام، ولم يعد بإمكان أحد أن يجهر بشركه، ظهر النفاق فى مكة وعلى نطاق واسع. ولما رأت القبائل العربية انهيار زعامة بطون قريش واستسلامها أدركت أن من الجنون استمرارها فى عداوة محمد، وأدرك قسم من أفرادها أن محمداً صادق وأنه نبى، وتظاهر القسم الآخر بهذه القناعة. وهكذا فشت ظاهرة النفاق فى مكة وفى الكثير من الجماعات السياسية التى كانت متحالفة مع زعامة بطون قريش على حرب النبى وعداوته، ولم يفتش النبى سرائر الناس وقبل منهم ظاهرهم. وبما أن المدينة المنورة قد أصبحت عاصمة الدولة، ومركز الجاه والنفوذ والثروة، فقد صارت نقطة تجمع لرعايا الدولة. واختلط منافقو مكة ومنافقو القبائل الجدد بمردة النفاق فى المدينة، واكتشفوا أنهم قوة كبرى، وصمموا على التعاون والترابط لنقض كلمة الإسلام من أصولها إن استطاعوا أو تغيير مسارها الصحيح على أقل تقدير من خلال زعامة بطون قريش المعقدة من النبوة الهاشمية وفكرة الملك والخلافة الهاشمية. لقد فهم المنافقون أن علياً بن أبى طالب هو الولى الشرعى للأمة حسب ما أعلنه النبى وأن أحد عشر إماماً من ذرية النبى، ومن أولاد على وأحفاده، سيتعاقبون على منصب الإمامة أو القيادة من بعد النبى وعلى. وقد فهم المنافقون أن بطون قريش ال ۲۳ مستاءة من التميز الهاشمى، وأنها ترفض رفضاً قاطعاً الترتيبات الإلهية التى أعلنها النبى والمتعلقة بقيادة [صفحه ۱۳۳] الأمة من بعده، وأن هذه البطون تنتظر موته وتعد العدة للقيام بانقلاب، وفى وقت، يطول أو يقصر، ستمد زعامة بطون قريش يدها للمنافقين، وتنشر ودهم ودعمهم. وعند ما لا يعمل بالنظام الإسلامى المتعلق بالقيادة ستبدأ المنظومة الحقوقية الإسلامية بالانهيار وسيتحول الإسلام إلى قشور، وهذا ما يتمناه المنافقون، لذلك أخذوا ينتظرون بفارغ الصبر موت النبى وإعلان البطون القريشية عن انقلابها الأسود! ليحققوا أهدافهم من خلالها. وإلى جانب المنافقين وقفت المرتزقة من الأعراب. الحلف العملى وبقاء أصحاب محمد قلة وهكذا تكون، عملياً وواقعياً، حلف مؤلف من: ۱ - بطون قريش المصرة على إلغاء الترتيبات الإلهية. ۲ - منافقى المدينة وما حولها ومكة وحلفائها السابقين. ۳ - المرتزقة من الأعراب. وغاية الجميع واحدة، وهى إحداث التغيير الجوهرى، فى البنى السياسية التى أرساها النبى، على أن يكون التغيير تحت مظلة ثوب الإسلام وقشوره الخارجية. ومن الناحيتين، العملية والواقعية، بقيت الفئة التى كانت تعرف ب (أصحاب محمد (فئة قليلة تماماً كما كانت عندما بدأت المواجهة. والفرق أن أصحاب محمد كانوا يواجهون ويعيشون أقلية وسط محيط من المشركين يواجههم ويعاديهم ويحاربهم. بينما كان (أصحاب محمد)، قبيل وفاة النبى، فئة قلية وسط المحيط الذى دخل الإسلام حديثاً أو تظاهر بالدخول. لقد صار (أصحاب محمد) كالشعرة البيضاء فى جلد ثور أسود على حد تعبير معاوية بن أبى سفيان. ارتباط مصطلح (أصحاب محمد) بالمواجهة قلنا إن (أصحاب محمد) كانوا قلة وسط عالم عربى مشرك يناصبهم العداء، وبعد أن انتصر النبى صاروا قلة وسط عالم عربى حديث العهد بالإسلام. وقد ارتبط هذا المصطلح بحالة المواجهة التى جرت بين محمد وآله والقلة التى والته [صفحه ۱۳۴] من جهة وبين بطون قريش ومن والاها من جهة أخرى بمعنى أن العالم العربى المشرك قد انقسم عملياً إلى معسكرين. أحدهما محمد وبنو هاشم (وأصحاب محمد القلة) وثانيهما الأمويون بخاصة وبطون قريش بعامة ومن والاهم من العرب. وبطون قريش لم تواجه محمداً وبنى هاشم لتعبر عن ولائها وحبها لدين الشرك، أو خوفاً من دين الإسلام وكراهية له إنما واجهتهم لأنها اعتبرت النبوة زعامة وقيادة، وهى ترفض رفضاً مطلقاً نبوة بنى هاشم وزعامتهم وقيادتهم، وقد قدرت أن النبوة والدين الجديد ما هما إلا غطاء استعمله محمد والهاشميون لنسف الصيغة السياسية الجاهلية القائمة على اقتسام مناصب الشرف بين بطون قريش، وكيد كاده الهاشميون ليتفردوا بكل الشرف والفخر، وليحرموا بطون قريش منها! لذلك هانت على بطون قريش معاداة محمد وبنى هاشم ومعاداة أوليائهم (أصحاب محمد) فلم تواجه (أصحاب محمد) لأنهم تركوا دين الشرك، أو لأنهم دخلوا فى الإسلام الذى جاء به محمد، إنما واجهتهم لأنهم تبرعوا من دون الناس بتأييد (المطامع الهاشمية والبغى الهاشمى المتمثل بمحاولة محمد والهاشميين التفرد بالقيادة والفخر والشرف وحرمان بطون قريش من هذا كله) هذا هو سر اندفاع بطون قريش فى عداوة محمد والهاشميين، و (عداوة أصحاب محمد) الذين شكلوا مع النبى ومع الهاشميين طرف المواجهة الآخر، وتحملوا المشاق والمتاعب وكافة آثار تلك المواجهة الأليمة. هزيمة البطون القريشية واجهت بطون قريش محمداً وآله (وأصحاب محمد) بضراوة

بالغة وجرعتهم أمر كؤوس العذاب، خلال مدة ال ۲۳ عاماً أو ال ۱۵ عاماً التى قضاها النبى فى مكة قبل الهجرة، وتوجت البطون تلك المرحلة بمؤامرة جماعية استهدفت حياة النبى. لكن المؤامرة فشلت، ونجح النبى فى هجرته. وبسرعة مذهلة، كون النبى جبهة إسلامية فى يثرب تتألف: ۱ - من مهاجرى مكة، ۲ - ومن مسلمى قبيلتى الأوس والخزرج ومن والاهم، ۳ - ومن المتظاهرين منهم بالإسلام (المنافقون). [صفحه ۱۳۵] عرف هؤلاء جميعاً (بأصحاب محمد)، وبهم خاض النبى غمار المواجهة المسلحة مع بطون قريش وطواغيت الكفر والشرك فى الجزيرة العربية، تلك المواجهة المسلحة التى استمرت ثمانى سنين، نشبت خلالها بين الطرفين معارك دامية أبرزها بدر وأحد والخندق قتل فيها أشجع أبناء البطون، وطائفة من آل محمد ومن خيرة أصحابه. لقد استماتت بطون قريش للقضاء على التميز الهاشمى، وإطفاء نور الله، فلم تترك طريقاً من طرق الصد والمقاومة، ولا فناً من فنون الحرب إلا جربته. فاستعدت العرب والموالى واليهود. وتحالف معهم، ووضعت جميع مواردها وطاقاتها، وضحت بخيرة أبنائها لهدف محدد، وهو القضاء على محمد ودينه، لكنها فشلت وأفلست، وفوجئت صبيحة أحد الأيام بجيش محمد يحيط بمكة من كل جانب، واكتشفت أن جميع الأبواب قد أغلقت فى وجهها، فاستسلمت عسكرياً، ثم أسلمت أو تظاهرت بالإسلام، وسقطت عاصمة الشرك نهائياً. وبانتصار النبى فى حنين، وباستسلام الطائف ; أصبحت الجزيرة العربية كلها إقليماً لدولة النبى المترامية الأطراف، وأصبح سكان الجزيرة العربية رعايا الدولة. وأصبحت (أصحاب محمد) (القلة) الذين خاضوا معه غمار مواجهة أركان الدولة التى كان نبى الله على رأسها، وانتهت المواجهة رسمياً. الجرح الراعف والحقد الدفين صحيح أن بطون قريش قد استسلمت عسكرياً بعد صراع مع النبى دام ۲۳ عاماً، وصحيح أيضاً أنها أسلمت أو تظاهرت بالإسلام، وتلفظت بالشهادتين بعيد استسلامها وهزيمتها. لكن ليس فى الدنيا كلها عاقل واحد يمكن أن يصدق أن إسلام البطون، فى هذه الظروف، أو تظاهرها بالإسلام قادر على إزالة شعورها بالاحباط والهزيمة، أو إعادة الحياة لأبنائها الذين قتلهم محمد وآله وأصحابه أثناء المعارك الدامية التى جرت بين الطرفين. فالبطون جميعها، وبخاصة البطنين: الأموى والمخزومى، قد وترت بأبنائها، وفاضت قلوبها بالحقد على محمد وآله ومن والاهم موالاة صادقة. ساذج فقط هو الذى يصدق أن التلفظ بالشهادتين له القدرة على محو الآثار النفسية العميقة لصراع دموى ومرير إستمر ۲۳ عاماً! والأهم [صفحه ۱۳۶] أن التلفظ بالشهادتين غير كاف لجعل بطون قريش تتخلى عن أهدافها وغاياتها من مواجهتها للنبى المتمثلة (برفضها المطلق للنبوة والزعامة الهاشمية) وكيف يقر لها قرار، محمد الهاشمى يتربع على قمة الهرم، ويعلن ليل نهار أن الإمام من بعده هو على بن أبى طالب، الفارس العجيب الذى فجع البطون بأبنائها يليه فى الإمامة أحد عشر إماماً من ذرية النبى ومن نسل على جميعهم من بنى هاشم! جميع هذه الحقائق والذكريات شكلت فى قلب كل واحد من أبناء البطون جرحاً راعضاً، وربت حقداً دفيناً إلا من امتحن الله قلبه للإيمان منهم، وهم قليل، جد قليل. إعادة تقويم الموقف والاعتراف بالمعطيات الجديدة وضعت الحرب أوزارها باستسلام البطون، والتقى المهاجرون والطلقاء من أبنائها بعد أن اجتمع شمل الجميع تحت خيمة الإسلام الواسعة، وتذكروا الآباء والأبناء والأخوة والأعمام والأخوال الذين قتلهم محمد وآله وأصحابه! ولم تكن للبطون قدرة على الاعتراض، لأنها مهزومة، وقد تعلمت، خلال حقبة المواجهة، أن محمداً سينتصر دائماً، وأن أى مواجهة معه مصيرها الفشل الذريع. ومن هنا صارت العافية مرهونة بالصمت وإخفاء حقيقة ما فى النفوس. واستذكر أبناء البطون أن النبوة الهاشمية صارت قدراً لا مفر منه وأن لا محيص من اعترافهم بهذه النبوة، وأن الصيغة الجاهلية السياسية القائمة على اقتسام مناصب الشرف قد تمزقت نهائياً، وأن الهاشميين قد تفردوا بكل الفخر والشرف فالنبى منهم، ومحمد لا يتوقف عن الإعلان بأن الولى من بعدة هو على بن أبى طالب ومن بعده أحد عشر إماماً جميعهم من ذرية النبى الهاشمى ومن نسل على الهاشمى أيضاً. وكلما تذكروا ذلك وتذاكروا به اجتاحت قلوبهم موجات هائلة من المشاعر التى يختلط بها كل شئ: الحقد والحسد والوتر والإحباط والشعور بالهزيمة الماضى والحاضر، الإسلام والشرك والدنيا والآخرة. وأسفرت هذه المشاعر المتناقضة عن شعور بالمرارة، ورغبة هائلة بالتغيير، ولكن تحت مظلة الإسلام فمحمد وآله وأصحابه ما زالوا قلة، كانوا قلة وسط بحر من الشرك وصاروا بعد الانتصار قلة وسط بحر من حديثى الإسلام! فتحت مظلة الإسلام ستعود الأمور إلى مجاريها [صفحه ۱۳۷] الجاهلية،

فتتأخر القلة، وتتقدم الأكثرية، ويعود التوازن الذى اختل لصالح البطن الهاشمى. هذا هو الهدف الكبير الذى التفت حوله بطون قريش: مهاجرها وطليقها بعد الاستسلام والهزيمة، بمعنى أن همها قد انحصر فى إلغاء جميع الترتيبات الإلهية المتعلقة بمنصب الإمامة أو القيادة التى أعلنها النبى، وتجريد الهاشميين على المدى البعيد من جميع حقوقهم السياسية، والقضاء التام على مكانتهم المتميزة، وتحجيم (أصحاب محمد)، وبخاصة المعروفين بحبهم وبولائهم لآله، وإبعادهم كلياً عن مراكز التأثير وتسليط الأضواء على قلتهم، وعدم فاعليتهم، والحط العملى من قيمتهم تحت شعارات مختلفة لغاية فى نفس يعقوب. أساليب أبناء بطون قريش لتحقيق غاياتهم تحت مظلة الإسلام ١ - بعد انتصار النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، صارت النبوة فى نظر بطون قريش، وسيلة للملك وطريقاً لسيادتها على العرب. لذلك لم يعد فى مصلحتها أن تنكر هذه النبوة. فاعترف أبناؤها بها وأعلنوا أنها لم تعد موضوعاً للنقاش، فهى حقيقة من حقائق الحياة السياسية العربية، فمحمد نبى ورسول وصاحب ملك. ٢ - وحيث أن الهاشميين قد اختصوا بالنبوة وأخذوها، وهى شرف عظيم، واعترفت لهم جميع البطون بهذا الشرف خالصاً، فليس من العدل أن يأخذوا الملك (أن يكونوا خلفاء من بعد النبى) لأن معنى هذا أن يجمعوا النبوة والملك ويحرموا البطون من هذين الشرفين معاً. والأصوب والأبعد عن الإجحاف أن تكون النبوة لنبى هاشم خاصة لا يشاركهم فيها أحد من البطون، وأن تكون خلافة النبى (الملك) للبطون خاصة لا يشاركهم فيها أى هاشمى قط. وعلى هذا أجمعوا. وأبرز منظرى هذا المبدأ اثنان هما: أبو بكر الخليفة الأول، وعمر بن الخطاب الخليفة الثانى [۱۶۰] . أما النصوص النبوية المتواترة التى نصت على أن الإمام علياً بن أبى طالب وأحد عشر إماماً من ذرية النبى، ومن نسل على، هم الأئمة الشرعيون للأمة من [صفحه ۱۳۸] بعد النبى، فقد عدها أبناء البطون غير ملزمة، وغير معقولة لعدة أسباب منها: ١ - أن الرسول بشر يتكلم فى الغضب والرضى ولا ينبغى أن يحمل كلامه كله على محمل الجد [۱۶۱] وعلى هذا الأساس أهملت بطون قريش جميع النصوص النبوية التى نظمت أمر الولاية من بعد النبى. ومن جهة ثانية فإنه لا علم للبطون بأن القرآن قد تطرق لهذه الناحية. والأمر الملزم للبطون هو القرآن وحده ولا حاجة لقول النبى ولا لوصاياه فى أمور لم يعالجها القرآن. ولقد جهر عمر بن الخطاب بهذه القناعة أمام الرسول نفسه، وأيده أبناء البطون فحالوا بين الرسول وبين كتابة توجيهاته النهائية، بحجة أن القرآن وحده يكفى ولا حاجة لتوجيهات الرسول ولا لوصاياه لأنهم أدركوا أن هذه التوجيهات ستبطل كيدهم [۱۶۲] وفى هذا السياق، وطمعاً بطمس جميع النصوص النبوية المتعلقة بخلافة النبى منع خلفاء البطون الرعية من أن تحدث عن رسول الله، وجمعوا الأحاديث التى كتبها الناس عنه وأمروا بتمزيقها [۱۶۳] . ٣ - إضفاء هالة من التقديس تفوق التصور والوصف على أبناء البطون البارزين، ومعاملتهم باحترام يفوق احترامهم للرسل والأنبياء، والتماس الأعذار لأخطائهم وهفواتهم وتقديمهم للأمة جنباً إلى جنب مع النبى لهم سنن واجبة الاتباع تماماً كسنة الرسول. وإذا تعارضت سننهم مع سنن الرسول ترجح سنن أبناء البطون، ويمكن للواحد من هؤلاء البارزين أن يقول للرسول وجهاً لوجه: (أنت تهجر ولا حاجة لنا بوصيتك) فتصفق جميع البطون لهذا القائل وتؤيده، وتقول أمام الرسول: (إن الرسول يهجر والقول ما قاله عمر)، كما حدث يوم الرزية والنبى على فراش الموت [۱۶۴] . [صفحه ۱۳۹] وعلى سبيل المثال، لا الحصر، كانت سنة الرسول جارية على تقسيم المال بين الناس بالسوية، ولما آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب رأى أن سنة الرسول فى هذا المجال ليست مناسبة وأن الأنسب إعطاء الناس من الأموال حسب منازلهم بمقاييس عمر. وهكذا فعل فصفقت له أبناء البطون وصفق الناس من خلفهم، وأشاد الجميع بعبقرية عمر وعدله وتركه لسنة رسول الله، وجاء القوشجى فى (شرح التجريد) وابن أبى الحديد فى (شرح نهج البلاغة) فوضعوا النقاط على الحروف وقالوا بكل صراحة: (إن الرسول مجتهد وعمر مجتهد!! ومن حق المجتهد أن يخالف مجتهداً آخر)! وكانوا يشترطون على الخليفة الجديد أن يعمل بسنة الرسول وسنة الشيخين أبى بكر وعمر، فسنة الرسول وحدها غير كافية! ولو كانت كافية لما كان هنا لك داع لسنة الشيخين! وفى هذا السياق، أنت ترى أن العشرة المبشرين بالجنة جميعهم من أبناء البطون، ولم تعترف البطون، رسمياً، بأى مبشر بالجنة غيرهم، وقد شاع هذا الخير وانتشر وأصبح من المسلمات مع أنه من أحاديث الآحاد! وقد ترجح الشخصية البارزة، من أبناء البطون، على الرسول نفسه صراحة، فهذا زيد بن عمرو بن نفيل ابن عم الخليفة عمر يزور

رسول الله قبل البعثة، فيقدم له الرسول مائدة فيها لحم، فيرفض زيد أن يأكل من مائدة الرسول، فيسأله الرسول عن سبب ذلك، فيقول زيد له: (إنى لا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه) [۱۶۵] فهم يصورون زيداً كأنه أحوط وأفضل من رسول الله! ولقد نجحت بطون قريش فى تصدير هذه العقيدة وتعميمها حتى صارت من المسلمات. فإذا أراد العامة أن يرمزوا لفكرة العدل يقولون: (عدل عمر). ولا يقولون عدل محمد أو عدل الرسول! والأهم من ذلك أن حب أشخاص معينين من أبناء البطون صار جزءاً من العقيدة، فلو التزم مؤمن بالإيمان تماماً، ولكنه كان يرى أن علياً بن أبى طالب أو [صفحه ۱۴۰] غيره أولى بالخلافة من أبى بكر أو عمر أو عثمان لكانت هذه كافية للتشكيك بكل إيمانه وحتى بدينه، ونعته بكل النعوت التى تطرده من الجماعة، وتسلط غضب العامة عليه، فيقال (أنه رافضى خبيث)، أو (شيعى مقيت)، أو (طاعن ملعون بالصحابة الكرام). ۴ - الحشد وانتظار موت النبى بعد أن استسلمت بطون قريش وبعد التقاء المهاجرين والطلقاء على هدفهم الجديد، بدأ الحشد والإعداد لتحقيق الهدف. وفى هذا السياق، صارت كلمة أبناء البطون واحدة فاتحدت مثل اتحادها عندما أعلن الرسول دعوته فى مكة، ولكن هذه المرة تحت خيمة الإسلام، فإذا تكلمت شخصية بارزة من أبنائها تقف جميعها خلفه وتردد ما قالته، وموقف البطون وتأييدها لعمر بن الخطاب والنبى على فراش الموت وترديدها خلفه: (إن النبى يهجر، ولا حاجة لنا بوصيته، والقرآن وحده يكفينا) دليل قاطع على صحة ما ذكرناه. وفى مجال الحشد، مدت البطون يدها للمنافقين، فلم يرو لنا التاريخ كله أن أحداً من المنافقين قد عارض أى خليفة من خلفاء البطون، لقد شكلوا مع البطون جبهة واحدة ولكن تحت خيمة الإسلام هذه المرة. كذلك استغلت البطون الخلاف العشائرى بين الأوس والخزرج ووطدت علاقاتها بأسيد بن حضير وطائفة من قومه وشيعتهم بعقيدتها مما سهل وهون على أسيد أن يشترك فى اليوم الثانى لوفاة الرسول بسرية غايتها إحراق بيت فاطمة بنت محمد على من فيه، وفيه على بن أبى طالب وفاطمة والحسن والحسين سبطا رسول الله!! وفى هذا السياق، مدت البطون يدها للمرتزقة من الأعراب فوعدتهم ومنتهم وتحالفت معهم وانتظرت وإياهم موت الرسول بفارغ الصبر. أنظر إلى قول عمر: (ما أن رأيت أسلم حتى أيقنت بالنصر) فهو يعلم أن قبيلة أسلم معه تؤيده وتؤيد حزبه. وهكذا شكلت بطون قريش جبهة تضم أبناءها والمنافقين والمغرر بهم من الأنصار والمرتزقة من الأعراب، ولهذه الجبهة غاية واحدة هى إقصاء آل محمد وأهل بيت النبوة عن خلافة الرسول والاستيلاء على منصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر، واعتبار التغلب هو الطريق الأوحد لتولى هذا المنصب. [صفحه ۱۴۱] النبى وأهل بيته وأصحابه قلة من جديد وفى الجانب الآخر، وجد النبى وأهل بيته وأصحابه المخلصين أنفسهم (قلة) من جديد، وعليهم أن يواجهوا واقعاً جديداً، فجميع بطون قريش والمنافقون والمغرر بهم من الأنصار والمرتزقة من الأعراب فى صف واحد متحد ومتراص ولكن تحت خيمة الإسلام، ولهم هدف محدد واضح يتلخص بإلغاء الترتيبات الإلهية المتعلقة بمنصب القيادة أو الولاية أو الإمامة من بعد الرسول، وكان هذا التجمع من القوة بحيث أنه حال بين الرسول وبين كتابة ما أراد أثناء مرضه، وأن هذا التجمع قد واجه الرسول فى بيته، وفرض رأيه فرضاً، وبهذا أخرجوا الرسول من دائرة التأثير على الأحداث، وعطلوا عملياً دوره كقائد للأمة. لقد أمر الرسول بتجهيز حملة أسند قيادتها إلى أسامة بن زيد وطلب من الحملة أن تتحرك فوراً وأن تغادر المدينة، ولكن أقطاب التجمع فطنوا لخطة النبى، فتثاقلوا وثبطوا الناس، ونجحوا فى تأخير مسيرة الحملة، وتفويت الحكمة من وقت تسييرها، كل هذا يجرى وتجمع البطون ومن والاها يكرر الشهادتين والاعتراف التام بالنبوة والرسالة، ولكن تحت شعار (حسبنا كتاب الله). هذا هو المناخ الذى أو جده تجمع البطون قبل استيلائه على منصب الإمامة بالقوة والتغلب والقهر. النجاح الساحق انتقل الرسول إلى جوار ربه، وانشغل الآل الكرام وأهل بيت النبوة الطاهرين بتجهيز جثمانه الطاهر لمواراته فى ضريحه الأقدس. وخلال هذه المدة تجمع قادة التحالف، ونصبوا خليفة منهم متجاهلين بالكامل جميع النصوص النبوية التى عالجت منصب خلافة النبى، وصار التحالف جيشاً للخليفة، وصار قادته قادة لدولة الخليفة، وقبضوا سريعاً على المال والجاه والنفوذ ثم زحفوا إلى مسجد النبى، زافين الخليفة، زفاً ليواجهوا الولى الشرعى وأهل بيت النبوة ومن تبقى معهم من الصحابة الكرام بالأمر الواقع، وليحصلوا بالقوة على بيعة من لم يبايع، ومن لم يبايعهم مصيره الموت، حتى لو كان علياً بن أبى طالب، ومن يتكتل ضدهم سيحرقونه حياً حتى لو كانت فاطمة بنت محمد، أو الحسن والحسين سبطا [

صفحه ۱۴۲] محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليثبتوا جديتهم بالفعل جمعوا الحطب وهموا بإشعال النار ببيت فاطمة بنت محمد، وكادوا يحرقونه على من فيه لو لا لطف الله تعالى، وفوجئ الناس بهذه القسوة البالغة التى لم يعهدوها فى عهد الرسول ولا حتى فى الجاهلية، فأقبلوا على البيعة حفظاً لحياتهم ومصالحهم. وهكذا نجح قادة تحالف البطون نجاحاً ساحقاً بالاستيلاء على منصب الخلافة من بعد الرسول بالحشد والقوة والتغلب والقهر، ومواجهة كل من يقف فى دربهم حتى ولو كان الرسول نفسه، واتحدت أغلبية الأمة وراءهم رغبة أو رهبة، ولم يتخلف عن بيعتهم إلا- على بن أبى طالب وأهل بيت النبوة وبنو هاشم كما يروى البخارى، أو بعض الشخصيات البارزة كسعد بن عبادة، وقد هم قادة التحالف بقتله عند امتناعه عن البيعة مباشرة، ولكنه خشوا عواقب ذلك، وفى ما بعد أصدر عمر بن الخطاب أمراً بقتله وقتل فعلاً- وقد صورت وسائل إعلام البطون المتخلفين عن البيعة بصورة الشاقين لعصا الطاعة، والمفارقين للجماعة! ولو لا- لطف الله لقتلوا علياً بن أبى طالب، ولأحرق أهل بيت النبوة وهم أحياء! ولكن عقلاء البطون رأوا أن من الأنسب عزل أهل بيت النبوة اجتماعياً، وتجريدهم من كافة حقوقهم السياسية، وتركيعهم اقتصادياً! فهذا أجدى وأنفع من القتل فى تلك المرحلة! وفى هذا السياق تم تجريد أهل بيت النبوة من جميع ممتلكاتهم، وتم حرمانهم من ميراث النبى، ومن كافة المنح التى أعطاها لهم الرسول حال حياته، وتم حرمانهم من الخمس المخصص له فى آية محكمة، ولأسباب إنسانية وعد الخليفة الأول بتقديم المأكل والمشرب لهم [۱۶۶] . مؤامرة بطون قريش وانقلابها إن تجاهل بطون قريش للترتيبات الإلهية والنصوص الشرعية المتعلقة بمنصب الإمامة، أو القيادة أو الخلافة من بعد النبى، واستيلائها على هذا المنصب من طريق الحشد والقوة والتغلب والقهر، هو فى حقيقة انقلاب حقيقى تمخض [صفحه ۱۴۳] عن إلغاء جميع الترتيبات والنصوص الشرعية المتعلقة بظاهرة السلطة، ولم يبق من هذه الترتيبات والنصوص إلا- القشور أو تلك التى يمكن تأويلها لصالح خليفة البطون! وترتب على إلغاء الترتيبات الإلهية والنصوص الشرعية وضع ترتيبات وضعية جديدة، واعتبار ما فعله الانقلابيون بمثابة سوابق شرعية، أو نصوص قانونية. ولم يكتف الانقلابيون بذلك إنما ألغوا المرجعية التى اختارها الله ورسوله، وعدوا أنفسهم - بالقوة والقهر - مرجعية بديلة! لقد أكد الرسول أن الهدى لا يدرك إلا بالثقلين: كتاب الله وعترة النبى أهل بيته كما هو ثابت من حديث الثقلين وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهذين الثقلين، لأن كل واحد منهما متكامل مع الآخر ومتمم له، ولا- يستقيم الإسلام إلا- بهما، وهما الثقل القانونى أو الحقوقى المتمثل بالقرآن وبيان النبى لهذا القرآن، والثقل الشخصى المتمثل بعترة النبى أهل بيته، فهم القيادة والمرجعية فى كل زمان، وهم المعدون والمؤهلون إلهياً لفهم القرآن فهماً قائماً على الجزم واليقين، فما يقولون هو المقصود الإلهى من هذا النص، فضلاً عن ذلك فإن أئمة أهل بيت النبوة هم وحدهم الذين أحاطوا بالبيان النبوى لأنهم تلقوه مباشرة عن رسول الله. وجاء الانقلابيون، أو قادة بطون قريش، وألغوا هذه المرجعية، وأعلنوا بكل صلف وصراحة، أن القرآن وحده يكفى ولا حاجة لأهل بيت النبوة، وتجاهلوا حديث الثقلين وأحاديث الإمامة والولاية والخلافة، تماماً كما فعلوا مع الرسول يوم أراد أن يكتب توجيهاته النهائية. إذ حضروا من دون دعوة، وما أن قال الرسول: قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً حتى تجاهلوا قوله، وقال عمر بن الخطاب للحاضرين، من بطون قريش: إن الرسول قد هجر، ولا حاجة لنا بكتابه حسبنا كتاب الله، وتصرف كأن الرسول غير موجود. عندئذ ردد رجالات البطون من خلفه: القول ما قاله عمر، إن الرسول يهجر حسبنا كتاب الله، وتصرفوا، أيضاً، كأن الرسول غير موجود، وكانوا هم الأكثرية فأثاروا لغطاً شديداً وخلافاً مما اضطر الرسول لأن يصرف الجميع. وبعد موت الرسول، رتبت البطون أمرها وألغت مرجعية ربها وتجاهلت [صفحه ۱۴۴] وجودها تماماً، كما تجاهلت وجود النبى. ولم تكتف بذلك إنما حاصرت أهل بيت النبوة وجردتهم من ممتلكاتهم ومن كافة حقوقهم المدنية والسياسية وحاصرتهم اقتصادياً وعزلتهم اجتماعياً. وترتب على نجاح الانقلابيين إبعاد الرسول عن التأثير على الأحداث، فقد منعوا الرعية من التحديث عنه، ومنعوا كتابة أحاديثه وأحرقوا المكتوب منها، وصارت كلمة خليفة البطون وأركان دولته هى الكلمة العليا، وهى القول الفصل، واقتصر دور الدين كله على تجميل هذا الواقع وتسويغه. وكل ذلك يجرى تحت خيمة الإسلام، وباسمه. البحث عن عقائد جديدة صحيح أن بطون قريش ال ۲۳، مهاجرهم وطليقهم، صف واحد وجبهة متراصة واحدة. وصحيح،

أيضاً، أنهم تحالفوا مع المنافقين ووقفوا جميعاً قلباً وقالباً إرغاماً لأنف النبى وأنوف آله، وصحيح أيضاً أن المرتزقة من الأعراب أيدوا بطون قريش لأنها المالكة للمال والنفوذ والجاه. وصحيح أيضاً أن البطون نجحت فى استغلال الخلاف بين الأوس والخزرج وضمت إلى صفوفها قطاعاً واسعاً من الأنصار. وصحيح أيضاً أن البطون عزلت علياً وأهل بيت النبوة وبنى هاشم ومواليهم اجتماعياً، فعادوا قلة مستضعفة. وصحيح أن خليفة البطون غدا فى أوج قدرته، وأن دولته مستقرة وتبسط سلطانها على الجميع بالقوة. لكن أركان هذا التحالف أدركوا أن القوة وحدها ليست كافية لتضمن بقاء: دولة البطون ولتحقيق قناعة الرعية بشرعية هذه الدولة، وأن افتقار خليفة البطون إلى عقيدة تشكل نقطة ضعف. وفى وقت يطول أو يقصر سيستغل الهاشميون هذه النقطة لصالحهم، لذلك بدأ قادة البطون بالبحث عن عقائد يمكن لها أن تشكل نظرية تعمل جنباً إلى جنب مع بطون قريش ومع خليفتها وجيشها لتقوية دولتها ودوامها. وقد اخترع خلفاء البطون مجموعة كبيرة من النظريات السياسية، تصب فى خانة إضفاء الشرعية على دولتهم من خلال وضع نظرية تنتظم مع القوة والتغلب والقهر لإيجاد حالة عامة من القناعة بشرعية دولة البطون أو إسلاميتها. ومن أسس هذه النظرية: [صفحه ۱۴۵] ۱ – قرابة النبى: زعم قادة البطون وأولياؤهم فى سقيفة بنى ساعدة، أنهم أولى بالنبى لأنهم أهله وعشيرته، فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم رجل من قريش، وبطون قريش أولى بملكه وسلطانه! وفى المفاجأة، وتخطيط البطون المسبق، وتحالفها مع المنافقين والمرتزقة من الأعراب، واستغلالها للخلاف بين الأوس والخزرج، وفى غياب أهل بيت النبوة، انطلت هذه المقولة إلى حين، ولم يكن لأحد من الحاضرين مصلحة فى أن يقول للبطون: إذا كنتم أولى بالنبى حقاً، وأقاربه بالفعل فلم قاومتموه خمسة عشر عاماً فى مكة قبل الهجرة؟ ولم حاصرتموه وبنى هاشم وبنى المطلب ثلاث سنين فى شعاب أبى طالب وقاطعتموه؟ ولم تآمرتم على قتله، ثم جيشتم الجيوش واستعديتم عليه العرب واليهود وحاربتموه ثمانى سنوات!؟ ۲ – مقولة الشورى: وبعد أن قبضت البطون عملياً على مقاليد الأمور، وواجهت ولى الأمر وبنى هاشم بأمر واقع لا قبل لهم بتغييره، ادعى قادة البطون أن الأمر أو الخلافة أو القيادة أو الإمامة من بعد النبى شورى واختيار، ومن حق المسلمين اختيار من شاءوا لهذا المنصب، وقد اختار المسلمون ابن البطون البار، وصاحب الرسول وصهره، أبا بكر الصديق، وقد اختاره الجميع ولم يعترض عليه إلا الولى وأهل بيت النبوة، وبنو هاشم وحفنة قليلة من أوليائهم! وقد قامت هذه النظرية عند ما انهارت نظرية قرابة النبى، بحجة أن أهل البيت هم الأولى بالنبى حياً وميتاً، وليس من مصلحة أحد أن يحرق نفسه ومستقبله فيقول للخليفة أو لقادة البطون: ما هى طبيعة هذه الشورى التى تجرى فى غياب على بن أبى طالب وأهل بيت النبوة وبنى هاشم وأكثرية الأنصار؟ وأكثرية المسلمين؟ وهل هذه شورى عندما تواجه هؤلاء جميعاً بأمر واقع وتقول لهم: إما أن تبايعوا أو تقتلوا أو تحرقوا، أو تحرموا من كافة حقوقكم! أهذه هى الشورى والاختيار بمفهومكم!؟ ۳ – التخلية، أو ترك الأمة بدون راع: تجاهل قادة بطون قريش جميع الترتيبات الإلهية والنصوص الشرعية التى [صفحه ۱۴۶] بينت الولى أو القائد أو الإمام من بعد النبى، وكيفية انتقال منصب الإمامة من إمام إلى إمام، وزعموا أن رسول الله قد ترك الأمة دون أن يعين راعياً لها من بعده، أو خلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم من يرونه مناسباً! ومن هذا المنطق اختار المسلمون خليفة البطون الأول! وليس لأحد من المسلمين مصلحة فى أن يقول لقادة البطون: طالما أن الرسول قد خلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم، فلماذا لا تعتدون به وتخلوا على الناس أمرهم كما خلى؟ لقد عهد أبو بكر بالخلافة لعمر، وعهد عمر بالخلافة عملياً لعثمان! وطوال تاريخ دولة البطون لم يمت خليفة قبل أن يعهد بالخلافة لمن يليه، وكل هذا يشكل نقيضاً ونقضاً لنظرية التخلية التى بذلت البطون جهوداً هائلة لتعميمها على العامة. ۴ – مقولة (حسبنا كتاب الله): تعد هذه المقولة من أخطر المقولات اخترعها خلفاء البطون وأولياؤهم لإخراج النبى بذاته وفعله وقوله من دائرة التأثير على الحدث السياسى، ولإبطال جميع النصوص الشرعية التى أعلنها والمتعلقة بالقيادة أو الإمامة من بعده. وأول من نادى بهذه المقولة هو الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، فعند ما شعر هو وأركان بطون قريش أن الرسول يريد أن يكتب توجيهاته النهائية، قدروا أن مواجهة توثيق الرسول الخطى عملية صعبة، وبالتالى فإن هذا التوثيق قد يقلب كافة مخططاتهم، لذلك استماتوا ليحولوا بين الرسول وبين كتابة توجيهاته النهائية. لكن هذا حشد عمر أركان البطون ودخلوا إلى بيت الرسول فى الوقت المحدد لكتابة توجيهاته النهائية، وما أن قال

الرسول لأوليائه (قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبدا) حتى قال عمر لأوليائه: إن الرسول يهجر ولا حاجة لنا بكتابه، حسبنا كتاب الله. وعلى الفور ردد أركان البطون من خلف عمر: القول ما قاله عمر إن الرسول يهجر حسبنا كتاب الله!! وخلق عمر وأركان البطون مناخاً من الفوضى والاختلاف صارت الكتابة فيه أمراً مستحيلًا [۱۶۷] وعند ما قبض أركان البطون على [صفحه ۱۴۷] السلطة منعوا رسمياً رواية أحاديث الرسول وكتابتها وأحرقوا المكتوب منها علناً. وكان هدفهم واضحاً ومنصباً على طمس جميع النصوص التى تشير إلى الإمام من بعد النبى. وكان معاوية أكثر وضوحاً عند ما حصر المنع بالنصوص التى تذكر فضل (أبى تراب وأهل بيته)، على حد تعبيره. الخلفاء المقدسون نجحت البطون فى تجاهل الترتيبات الإلهية المتعلقة بالقيادة، ونجحت بالاستيلاء على منصب الخلافة بالتغلب والقهر، وقبض خليفة البطون وأولياؤه على السلطة بيد من حديد، وحجموا كل من يعارضهم وعزلوه وحرموه ونكلوا بخصومهم، فقد هددوا علياً بن أبى طالب بالقتل، وهو ابن عم النبى وزوج ابنته البتول ووالد سبطيه، وشرعوا بإحراق بيت بنت الرسول فاطمة وهى سيدة نساء العالمين وفيه الحسن والحسين سبطا النبى، وهددوا بقتل سعد بن عبادة، ثم قتل بأمر الخليفة فى ما بعد، مع أنه سيد الخزرج وحامل لواء النبى وموضع ثقته! وقتلوا مالك بن نويرة، الصحابى الجليل الذى ولاه النبى أمور قومه، للاشتباه بعدم إخلاصه لخليفة البطون، وجردوا أهل بيت النبوة من جميع ممتلكاتهم ومن المنح التى أعطاها لهم الرسول حال حياته، وحرموهم من تركة النبى، ومن حقهم بالخمس، مع أنهم أحد الثقلين! إذا كانت هذه معاملة البطون لعلية القوم وأشرافهم وأهل الدين والسابقة ممن يشتبهون بولائهم للخليفة فكيف تكون معاملتهم للمستضعفين وعامة الناس!؟ بهذه الأساليب الموغلة بالقسوة؟ وبالترغيب بالمال والجاه وبنصيب من السلطة، استقامت الأمور لدولة البطون وانقاد لهم الناس رغبة أو رهبة. لم تنتظر البطون طويلًا إنما جيشوا الجيوش لإشغال المسلمين بالحرب، وتوسيع رقعة الملك، ونشر الإسلام على طريقتهم. فى هذا الوقت نفسه كانت شخصية النبى الفذة، وسمعته العطرة، وعدله العجيب، ومعاملته الفريدة لخصومه ومعارضيه، وتساويه بمستوى المعيشة نمط الحياة مع المملوكين، وسرعته المذهلة بتوحيد العرب ونقلهم من دين إلى دين، كانت قد شقت طريقها بين شعوب الدولتين الأعظم، [صفحه ۱۴۸] وسبقت جيوش خليفة البطون، وخلقت حالة من التعاطف العميق مع هذه الجيوش، على اعتبار أنها جيوش خليفة النبى والأمل بإنقاذ الشعوب المظلومة من جلاديها! لذلك لم تجد جيوش الخليفة مقاومة تذكر، فهزمت الدولتين الأعظم وبسطت سلطانها على الأقاليم، وتوالت الانتصارات، وأثرت جيوش الخليفة، فتعجب المسلمون من قدرة الخليفة وقدرة جيوشه المظفرة، وأعجبهم ما حدث، وحتى الذين كانوا يرونه غاصباً للسلطة غضوا النظر عن ذلك أمام هذه الانتصارات، وألقى فى روع الناس أن الله مع الخليفة وأن الله قد أتاه الملك لأنه يستحقه، وزاد من افتتان المسلمين بالخليفة البطل، إنه لم يغير كثيراً من مستوى معيشته، بل ألزم نفسه بنمط معتدل منها، ما أذهل عامة المسلمين، وملأ قلوبهم حباً وإعجاباً للخليفتين الأول والثانى ولجيوشهما المظفرة التى دكت عروش الأكاسرة والقياصرة، وألحقت بهم أشنع الهزائم، وصار الخليفة شخصاً مقدساً، وفوق كل الشبهات، ووضعت الجموع المعجبة الرجلين عملياً على قدم المساواة مع النبى نفسه، بل ورجحت الرجلين على النبى فقد يخطئ النبى لأنه بشر، ولا تجد الجموع المعجبة غضاضة من وصف النبى بالخطأ، لكن لا أحد فى الدنيا يجرؤ على القول: أن أحد الخليفتين أو كلاهما قد أخطأ، لأن العناية الإلهية تدعمها، وإذا اختلف أحد الخليفتين مع النبى شخصياً، كأن أصدر النبى أمراً، فأبدى أحدهما رأياً معارضاً لأمره وحكمه، فإن البطون آلياً تقف مع أحدهما ضده وترجح رأيه على حكم النبى! وأبرز مثال على ذلك ما حدث فى بيت النبى أثناء مرضه. وبعد أن انتقل النبى إلى جوار ربه لم تتغير الأمور، فإذا رأى أحد الخليفتين أن سنة من سنن الرسول ليست مناسبة برأيه، فإنه يلغيها ويحل رأيه محلها فتصفق له البطون وتؤيده وتبعاً لتأييد البطون تؤيده القوى المنافقة، والمرتزقة من الأعراب، فتتعرى القلة المؤمنة وتنكشف، فتؤيده تبعاً لتأييد الجميع حفظاً لحياتها. كان الرسول يوزع بين الناس بالسوية وكذلك فعل أبو بكر، فجاء عمر فألغى سنة المساواة وأعطى الناس حسب منازلهم عنده. هذا مثال على ما أسلفنا، ومثال آخر، صعد عمر بن الخطاب يوماً على المنبر وخطب الناس قائلًا: (متعتان [صفحه ۱۴۹] كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما: متعة الحج ومتعة النساء). ويأتى الأولياء والأنصار فيحشرون كل مواهبهم لتسويغ قرار الخليفة وإثبات عبقريته وحكمته. الناس

اليوم إذا أرادوا أن يرمزوا للعدل قالوا: (عدل عمر)، ولا يقال عدل الرسول! مع أن رسول الله أعدل من مل ء الأرض من أمثال عمر. وما يعنينا أن هذه النظرية أسهمت فى إرساء حكم البطون وإضفاء الشرعية على ما فعلت وكانت جزءاً من عقيدة متكاملة حاولت البطون وضعها لتسويغ ما فعلت. نظرية عدالة جميع الصحابة أ - الأسباب الموجبة لاختلافها: اكتشفت البطون وهن نظرياتها، وعجزها عن تكوين عقيدة مقنعة، لها القدرة على دعم حكمها وتثبيته. لقد انهارت مقولة القرابة، فلم يعد بوسع عاقل فى الدنيا أن يصدق أن بنى تيم وبنى عدى وبنى أمية أقرب للنبى من بنى هاشم! مثلما انهارت نظرية الشورى، فالخليفة الغالب يعهد لمن يخلفه، ودور الأمة منحصر بمبايعته، وانهارت مقولة التخلية، لأن الخلفاء أنفسهم لم يعملوا بها، وعدوا موت الواحد منهم من دون تعيين من يخلفه كارثة! وانهارت مقولة حسبنا كتاب الله فكتاب الله لا يغنى عن رسول الله فكلاهما متمم للآخر ومضى الخلفاء الراشدون ولم تبق إلا ذكرياتهم وحل محلهم خلفاء غير راشدين! لقد انهارت المفاصل الأساسية للنظرية التى بناها رواد البطون واقتصرت علاقة البطون - كطبقة حاكمة - بالمحكومين على العطاء والسيف والمشاركة بالسلطة إنه حكم بلا عقيدة تذكر. وليس له أساس إلا ظواهر الشرعية لقد أدركت البطون أن نذر زوال حكمها قد أقبلت، وأن حكمها قائم على البطش والقوة، فإذا ولت القوة ولى حكمها، وآل إلى أعداء البطون الألداء: أهل بيت النبوة، وبخاصة أن (محمدا) قبل موته قد ربط أهل بيت النبوة بالدين ربطاً محكماً عبر شبكة من بيانه، حتى أن الصلاة لا تقبل من عبد مسلم إن لم يصل على محمد وآل محمد، والمسلمون جميعهم يعرفون حديث الثقلين الذى أعلنه النبى فى غدير خم، فقد أكد النبى أن الهدى لن يدرك إلا بهذين الثقلين: كتاب الله وعترة النبى أهل بيته وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا [صفحه ۱۵۰] بالتمسك بالثقلين معاً، بالإضافة إلى مئات النصوص النبوية التى تبين التأهيل الإلهى لأئمة أهل البيت أو عمدائهم، وقد تحدث لقرآن فى الكثير من الآيات عن خصوصية أهل بيت النبوة وأئمتهم، كآية التطهير وآية المباهلة وآية ذوى القربى إضافة إلى قرابتهم القريبة من النبى، ودورهم البارز فى نصرة النبى. وقد مات الخلفاء المقدسون الذين أوتوا المكانة والجرأة لمواجهة أهل بيت النبوة علناً، وهزيمتهم وإذلالهم، ولم يبق لبطون قريش غير قوة الدولة، وهذه القوة ستعجز عن الوقوف أمام تميز أهل بيت النبوة ومرجعيتهم ومكانتهم فى الدين وقربهم من الرسول. لكل هذا وجدت البطون نفسها مضطرة لاختلاق نظرية جديدة لتحل محل النظريات السابقة، وتكون بمثابة عقيدة يستند إليها حكم البطون وفى الوقت نفسه تكون أسلوباً عملياً لتحجيم دور أهل بيت النبوة، وتقزيم مكانتهم فاهتدوا لاختلاق نظرية عدالة كل الصحابة، بالمعنى الذى فهمه الخلفاء وأولياؤهم! ب - أهداف اختلاقها: تنحصر أهداف بطون قريش من اختراع هذه النظرية بما يلى: ۱ - إيجاد عقيدة دينية سياسية يستند إليها حكم البطون، فتكون هذه العقيدة، مع القوة، ضمانة لوجود الدولة واستمرارها ومسوغاً شرعياً ظاهرياً لإقصاء أهل بيت النبوة عن حقهم فى قيادة الأمة. ۲ - القضاء التام على مكانة أهل بيت النبوة ومرجعيتهم من خلال إيجاد مرجعية كبرى أو مرجعيات دينية تقف على قدم المساواة مع مرجعية أهل بيت النبوة، والقضاء التام على تميز أئمة أهل بيت النبوة وتفويت الحكمة الإلهية من إعدادهم وتأهيلهم إلهياً لقيادة الأمة، فبموجب هذه النظرية يصبح إمام أهل بيت النبوة مجرد صحابى من جملة تسعمائة ألف صحابى! فعلى بن أبى طالب صحابى، وأبو سفيان صحابى! والوليد بن عقبة صحابى! وما قيمة معارضة أهل بيت النبوة جميعهم، ولا يتجاوزون الثلاثين أمام إجماع تسعمائة ألف صحابى؟! وما قيمة فتوى إمام أهل بيت النبوة أمام تسعمائة ألف فتوى؟! أو فتوى يجمع على صحتها تسعمائة ألف صحابى!؟ وفى هذه الحالة يصبح أهل بيت النبوة شذاذاً [صفحه ۱۵۱] ومبتدعة على حد تعبير ابن خلدون! فما قيمة إجماع أهل بيت النبوة الذين لم يتجاوز عددهم الثلاثين مع إجماع الصحابة الذين تجاوز عددهم التسعمائة ألف!؟ فأى عاقل فى دنيا البطون يمكن أن يكذب تسعمائة ألف ويصدق ثلاثين!؟ أو يترك الكثرة والجاه والنفوذ والسلطة ويقف مع القلة الفقيرة المعدمة التى لا تملك إلا حقاً موضع شك واستنكار! ومن هنا كان اختراع نظرية عدالة الصحابة فيض عبقرية تفوق التصور والتصديق! وهى بحق أعظم النظريات التى اخترعها قادة البطون وأولياؤهم ۳ - خلط الأوراق وتضييع الحقائق وتمييعها، وهذا الهدف من صميم مصلحة البطون، فالمعروف تاريخياً أن بطون قريش هى التى قاومت النبى طوال حقبة الدعوة فى مكة بجميع وسائل المقاومة، وتآمرت على قتله وطاردته يوم هاجر إلى يثرب. ثم

استعدت عليه العرب وجيشت الجيوش ودخلت معه فى حرب مسلحة، ولم تتوقف عن حربه إلا بعد أحاط بها، فاستسلمت عسكرياً. وبموجب نظرية عدالة الصحابة فإن أبناء البطون جميعهم يصبحون صحابة تماماً مثل الذين سبقوا إلى الإيمان، فالمهاجر كالطليق ومن قاتل النبى بجميع وسائل القتال طوال ۲۳ عاماً تماماً مثل الذى قاتل مع النبى، لا فرق بينهما فهى سواسية كأسنان المشط. فالجميع صحابة، وفتوى الصحابى الجليل الذى رافق النبى طوال حياته تماماً كفتوى الصحابى الطليق الذى قاتل النبى حتى أحيط به وبقى يجهل أحكام الدين. والخليفة والفقيه حر فى اتباع فتوى أى صحابى! كان للدين مرجع واحد خلال حياة النبى وهو النبى نفسه، وبعد وفاة النبى إمام أهل بيت النبوة، وباختراع نظرية عدالة الصحابة صار للدين عملياً تسعمئة مرجع، فاختلطت الأوراق وضاعت الحقائق، وتغيرت المواقع، فتقدم المتأخرون الذى قاوموا الإسلام وحاربوه خلال ۲۱ عاماً من عهد النبوة، وتأخر المتقدمون الذين قامت دولة الإسلام على أكتافهم وتحملوا أعباء المواجهة، فصار معاوية بن أبى سفيان أميراً وهو الطليق ابن الطليق وأحد رؤوس الأحزاب، وابن قائد الأحزاب! وصار علياً بن أبى طالب مأموراً، وهو فارس الإسلام الأوحد فى كل معاركه، وابن عم النبى وزوج ابنته البتول، ووالد سبطيه وولى الأمة وقائدها الشرعى، وفوق ذلك [صفحه ۱۵۲] ابن أبى طالب شيخ البطاح الذى ربى النبى، وحماه طوال مدة وجوده فى مكة. فمعاوية يتكلم وعلى على بن أبى طالب أن يصغى! وصار مروان بن الحكم أميراً وخليفة للمسلمين، وهو اللعين بن اللعين فى كتاب الله وعلى لسان رسوله، وصار عمار بن ياسر والمقداد بن عمرو مأمورين وعليهما أن يطيعا، ومن لا يطيع يرفسه مروان حتى يكسر أضلاعه ويترك فى حالة بين الموت والحياة، كما فعل بعمار، ويخرج أبو ذر الصحابى الجليل مذموماً مدحوراً منفياً من مدينة الرسول من دون أن يقوى أحد على توديعه! لقد سوغت نظرية عدالة الصحابة جميع أفعال البطون التى تغضب وجه الله الكريم وجعلت عالى كل سافلة فحل الظن والتخمين محل الجزم واليقين، واختلطت الأمور اختلاطاً عجيباً، فصار الجاهل عادلاً تماماً كالعالم والمقتول عادلاً تماماً كالقاتل، وصار ولى الله كالفاسق تماماً، فالوليد بن عقبة فاسق بنص القرآن، وعلى بن أبى طالب مؤمن وولى لله بنص القرآن، ولكن بموجب نظرية عدالة الصحابة صار الوليد بن عقبة تماماً كعلى فكلاهما صحابى وكلاهما من العدول، ولأن الوليد بن عقبة معروف وأبوه بعداوتهما لرسول الله وأهل بيته، فقد تقدم الوليد وتأخر على فكأن مفتاح التقدم هو عمق العداوة لرسول الله وأهل بيته، فكل الذين أبرزهم الخلفاء كانوا بارزين بعداوتهم لرسول الله. ۴ - نظرية عدالة كل الصحابة تستفيد منها الأكثرية الساحقة من أبناء الأمة، فبموجب هذه النظرية التى اخترعها قادة البطون، صار كل الشعب صحابة: الرجال والنساء والأطفال، والعرب والموالى، الأعمى والبصير، وأعلنت عدالة هؤلاء جميعهم بمختلف وسائل الإعلام. فمن المعروف أن جميع سكان الجزيرة - ما عدا جزء من اليهود - قد أسلموا أو تظاهروا بالإسلام، ولم يمت الرسول وفى الجزيرة شخص واحد يجهر بشركه، فالكل قد أسلم على يد الرسول أو تظاهر بالإسلام والكل قد شاهد الرسول أو سمع منه أو رآه، وهذه هى المعايير التى وضعتها البطون للصحبة بمعنى أن كل الشعب كان مسلماً وكل الشعب كان صحابة [۱۶۸] . [صفحه ۱۵۳] وهكذا أوجدت البطون الحوافر لتتمسك الأكثرية بهذه النظرية، ولتعدها نظرية شعبية، من ينتقص منها فإنما ينتقص من حقوق الشعب، ويصادر العفو الإلهى! فمن سرق فى زمن النبى أو زنى، أو شرب الخمر، أو نافق صار بموجب هذه النظرية من الصحابة، وصار منزها وعادلاً ومن أهل الجنة! وصار من حق الخليفة أو الفقيه أى يأخذ برأى أى فرد من أفراد الشعب لأن أفراده الذين عاصروا النبى كلهم عدول! وعممت هذه النظرية بمختلف وسائل الإعلام حتى عدها أفراد الشعب حقوقاً شخصية تستحق الاحترام، وامتدت هذه الحقوق الشخصية إلى الأبناء والمعاشرين والأولياء! ورضيت الأكثرية الساحقة من الشعب بهذا الاختراع وصارت لها مصلحة فى حكم دولة البطون، وتعاونت منة عدالة كل الصحابة مع منن العطايا والصلات والمشاركة بالسلطة والنفوذ، وحققت لبطون قريش مرادها ومناها إذ صار لها عقيدة دينية يتبناها الشعب كله إلا شر ذمة قليلة! وتم عزل أعداء البطون (أهل بيت النبوة) عملياً، ونكلت بهم السلطة تنكيلاً من دون استنكار يتناسب مع حجم هذا العزل والتنكيل. وصار الولاء لدولة البطون مقياس الشرف ومفتاح الأمن والخير فى الدنيا، وصار أهل بيت النبوة مجرد قلة قليلة أو عدد محدود جداً من الصحابة من شعب كله صحابة! وجميع أفراده عدول! ولم يتغير وضع أهل بيت النبوة بعد موت جميع الصحابة، فصار لأولاد أهل بيت النبوة المقام

نفسه الذى كان لآبائهم فى مجتمع الصحابة الذى صنعت البطون عقائده ورؤاه! ج - معاوية بن أبى سفيان يضفى على النظرية طابعاً دينياً معاوية من أكثر الناس حقداً على أهل بيت النبوة، فقد قتل على بن أبى طالب وحمزة عم النبى أخاه وجده وخاله وابن خاله شقيق جده وتسعة من شيوخ بنى أمية، لذلك كان قلبه وقلب أبيه وقلب أمه وأكثرية قلوب البيت الأموى طافحة بالحقد الأسود على محمد وعلى آل محمد وعلى البيت الهاشمى بعامة. فقاد أبوه مقاومة محمد. وعندما أحيط بهم، وسقطت عاصمة الشرك، وأغلقت كل الأبواب، ولم يبق إلا باب الإسلام، استسلم أبو سفيان وبنوه وأقاربه وأسلموا أو [صفحه ۱۵۴] تظاهروا بالإسلام، فعفا عنهم النبى، وسماهم بالطلقاء، وجعلهم من المؤلفة قلوبهم. ويلوح لى أن البطن الأموى، ومنه معاوية وأبوه، برأوا ساحة النبى من قتل (الأحبة) وعصموا دماءهم بعلى بن أبى طالب وذريته. ولما نجحت البطون بالاستيلاء على السلطة، ورغبة فى عزل البيت الهاشمى والانفراد به عين الخليفة الأول يزيد بن أبى سفيان قائداً لجيوش الشام، ويزيد هذا كأخيه طليق وابن طليق ومن المؤلفة قلوبهم، وعندما مات يزيد حل محله معاوية، وفى وقت طال أم قصر صار معاوية والياً لبلاد الشام كلها، وهى درة ملك خلافة البطون، ومات الخليفة الأول ومعاوية على ولايته، وجاء الثانى وقتل، وهو على ولايته يجمع من الأموال ما يشاء، ويصرف منها ما يشاء من دون حسيب أو رقيب. وجاء الخليفة الثالث، وهو دنف بهوى الأمويين لأنه أموى، لذلك جعل الأمويين بطانة له، وسلمهم مقاليد أمور الدولة عملياً. خلال هذه الآونة الطويلة توطد أمر معاوية وتألق نجمه. وفى عهد عثمان أصبح معاوية ملكاً حقيقياً على أعظم ولاية من ولايات دولة البطون الكبرى، ولكنه ملك غير معلن، ولما قتل الخليفة الثالث، وآلت الأمور إلى على بن أبى طالب قاتل الأحبة جن جنون البطون، وأصحاب الامتيازات والمنافقين. فنهد معاوية وصمم على مواجهة الإمام على وعلى قيادة الجموع الحاقدة على آل محمد وأهل بيته، ولكن تحت خيمة الإسلام فرفع شعار (معاقبة قتلة الخليفة عثمان) وكان قد أعد واستعد لهذه المواجهة، واختياره والياً لأعظم الولايات الإسلامية وإطلاق يده فى ولايته هو من قبيل إعداد الخلفاء لهذا الرجل، وتجهيل معاوية لأهل الشام وجمعه الأموال الطائلة وتجنيده إياهم هو من قبيل الأعداد. كان سكان ولاية بلاد الشام يجهلون الدين وتاريخه وبناته، ولا يعرفون من ذلك إلا القشور التى ألقاها لهم معاوية، وكانوا بمثابة جند مجندة له يأمرهم فيطيعوا ويمكن أن يصلى الجمعة فيهم يوم الأربعاء كما فعل! لقد كان معاوية موضع ثقة الخلفاء الثلاثة ورجلهم الذى أعدوه لمواجهة (طموحات وطمع أهل بيت النبوة بالرئاسة). وليس من المستبعد أنهم قد استفادوا من دهاء معاوية وذكائه [صفحه ۱۵۵] فى جهدهم الحثيث لإيجاد نظرية تحجم أهل بيت النبوة وتضفى الشرعية على حكم خلفاء البطون. ولا شك فى أن معاوية كغيره من قادة البطون قد استشعر وهن النظريات التى اخترعوها كنظرية القرابة، ونظرية التخلية ونظرية الشورى.. الخ فلم يعد فى الأرض مجنون واحد يمكنه أن يصدق بأن بنى تيم وبنى عدى وبنى أمية أقرب إلى النبى من بنى هاشم، وأن الخلفاء الثلاثة أقرب إلى النبى من ابن عمه ووالد سبطيه وزوج ابنته على بن أبى طالب، مما يجعل من نظرية القرابة استهتاراً بالعقل واستغفالاً للناس. وهكذا بقيت النظريات التى اخترعوها. ومن هنا صمم قادة البطون، بقيادة معاوية، على إيجاد عقيدة تدعم حكمهم وتدمر إلى الأبد تميز أهل بيت النبوة، وصمموا على فرضها ورعايتها بكل قوتهم وسلطانهم، وإضفاء الطابع الدينى عليها وجعلها عقيدة عامة لكل رعايا دولة البطون، وهذا ما فعله معاوية ; إذ جند دولته وولاة أقاليمه، وكل سلطان ووسائل إعلامه لنشر نظرية عدالة جميع الصحابة وفرضها على العامة والخاصة، وقاد بنفسه حملة كبرى لوضع الأحاديث على رسول الله واختلاقها وإقناع الناس بأنها صحيحة، وأن محمداً قد قالها بالفعل وصولاً إلى خلط الأوراق، وتصوير نظرية عدالة الصحابة بأنها جزء لا يتجزأ من الحديث إن لم تكن الدين نفسه! وجعل من قتل عثمان ومن شعار المطالبة بثأره ومعاقبة قتلته المناسبة لنشر هذه العقيدة. فأصدر سلسلة من (المراسيم الملكية) لكافة عماله وأمرهم بتنفيذ عدة أمور منها: ۱ - أن يقدموا العطايا والصلات ويمنحوا المنح والإقطاعات وأن يقربوا كل من يروى فى فضائل عثمان والخلفاء، فتسابق الناس على الرواية فى فضل الخلفاء وفضائل عثمان بخاصة وتكفلت وسائل إعلام دولته بنشر هذه المرويات وتصميمها على الناس حتى استوعبها الجميع: الخاصة والعامة، الرجال والنساء، السادة والعبيد، الكبار والصغار، ووضعت هذه المرويات الخلفاء بعامة وعثمان بخاصة فى موضع لا يدانيه الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون! ۲ - لما

وصلت تلك الروايات إلى حد الإشباع والاستيعاب، وفاقت حدود التصور والتصديق، أمر معاوية جميع عماله فى مختلف الأقاليم، أن يوقفوا الرواية [صفحه ۱۵۶] فى فضل عثمان، وليكتفوا بما تجمع من الروايات. وأمرهم بأن يقربوا مجلس الذين يروون فى فضائل الصحابة مجتمعين ومنفردين ويغدقوا العطايا والصلات والمنح والإقطاعات عليهم وطمعاً فى ثواب معاوية ورضاه وأمواله انشقت الأرض فجأة عن آلاف الرواة الذين جعلوا للصحابة فضائل لا تعد ولا تحصى، وجعلوا للصحابة مجتمعين فضائل تساوى فضائل الأنبياء والشهداء والصديقين أو تفوقها واستندت هذه الفضائل إلى أحاديث أسندها الرواة إلى رسول الله، فأصبح كل واحد من الصحابة مرجعاً قائماً بذاته، واختلقوا على الرسول قولاً مفاده: (أصحابى كالنجوم بأيهم اهتديتم اقتديتم!!) وهكذا صار للأمة تسعمئة ألف نجم، ويمكن للأمة أن تنقسم إلى تسعمئة ألف قسم، لتسير فى تسعمئة ألف اتجاه. ومع هذا تكون مهتدية! ومرة أخرى، تكلفت وسائل إعلام الدولة بنشر هذه المرويات، وتعميمها على الناس حتى استوعبها الجميع وصارت عقيدة لكل أفراد الأمة، مع أن الأكثرية الساحقة من هذه الأحاديث مختلفة ولا أساس لها من الصحة إطلاقاً، ومعاوية وولاته يعلمون ذلك ويدعمونه! قال ابن عرفة، المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين: (إن أكثر الأحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيام بنى أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم) [۱۶۹] . ۳ - واستكمالاً لبناء عقيدة دولة البطون، وتوضيحاً للهدف من اختلاق نظرية عدالة جميع الصحابة، وبعد أن تأكد معاوية وأركان دولته أن بحار الروايات الكاذبة فى فضل عثمان والخلفاء والصحابة والتى اختلقوها على رسول الله قد غمرت المجتمع، وأروت الأرض، وأن الناس جميعاً حفظوها واستوعبوها، واقتنعوا بها أو تظاهروا بالاقتناع، أدرك معاوية أن نظرية عدالة جميع الصحابة صارت بالفعل عقيدة رسمية للأمة وأن الصحابة مجتمعين قد صاروا مرجعية بديلة من مرجعية أهل بيت النبوة، وصار كل واحد من الصحابة له القيمة نفسها التى أعطاها النبى لإمام أهل بيت النبوة! عندئذ أدرك معاوية أن الحلقة لن تكتمل إلا إذا مزق رداء الهيبة والقداسة الذى خلعه الشارع الحكيم على إمام الأمة على بن [صفحه ۱۵۷] أبى طالب، وشككك بشرعية مرجعية أهل بيت النبوة وبالأسس التى قامت عليها هذه الشرعية. وتحقيقاً لهذه الأهداف أصدر معاوية (المراسيم الملكية التالية وأمر كل عماله فى كل أقاليم الدولة أن ينفذوها بدقة: أ - (لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين فى أبى تراب [على بن أبى طالب] إلا وتأتونى بمناقض له فى الصحابة، فإن هذا أحب إلى وأقر لعينى، وأدحض لحجة أبى تراب وشيعته وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله). وأنت ترى أن معاوية وعماله يقودون حملة اختلاق واضحة هدفها إبطال مفاعيل النصوص الشرعية الواردة فى على، فانطلقت طواقم رواة الدولة تختلق على رسول الله، وتتقول عليه، فلم تترك نصاً قد ورد فى على بن أبى طالب إلا ووضعت نصاً ينقضه ويسلب هذه الفضيلة أو تلك من على ويعطيها لأحد الخلفاء أو لأحد أبناء البطون أو الموالى عند اللزوم. والمهم ألا تبقى تلك الفضيلة لعلى أو لأحد من يواليه! وتفنن الرواة المؤهلون وفاض المجتمع الإسلامى برواياتهم الكاذبة، وقدمت وسائل إعلام الدولة هذه الروايات بوصفها الحقائق بعينها ودرستها الدولة مع بقية المرويات فى كل كتابتها ومدارسها وجامعاتها وصار استيعابها طريق الرزق ب - أصدر معاوية (مرسوماً ملكياً) يقضى بلعن على بن أبى طالب على كل منبر، ونفذ مرسوم معاوية، فلعنه الولاة والرواة والحواشى ثم لعنته الأمة كلها، وصار الشيطان فى نظر الرأى العام أقرب إلى الله من على بن أبى طالب. لقد أحلت قيادة البطون علياً محل الشيطان، فاستفتحت بلعنه كل شئ! مع أنه على الأقل صحابى، والصحابى حسب ظاهر عقيدة البطون مقدس! ج - وتثبيتاً لهذه العقيدة التى اخترعتها البطون ألحق معاوية (مراسيمه) السابقة بسلسلة متكاملة من (المراسيم الملكية) طلب فيها من ولاته ما يلى: ۱ - انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه. ۲ - من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره) [۱۷۰] . [صفحه ۱۵۸] د - نظرية عدالة جميع الصحابة عقيدة الدولة نجح معاوية وولاة أقاليم دولته فى تكوين آلاف الطواقم من الرواة المؤهلين الذى يتقاضون رواتبهم وعطاءاتهم من تلك الدولة ويروون لها ما تريد. وقد نجحت هذه الطواقم فى اختلاق عشرات الآلاف من الأخبار والأحاديث فى فضل عثمان والخلفاء، ثم نجحت، فى اختلاق عشرات الآلاف من الأخبار والأحاديث فى فضل الصحابة مجتمعين، ونجحت، أيضاً، فى اختلاق مئات الألوف من الأخبار والأحاديث فى فضل أفراد الصحابة، وفى تخصيص المئات

أو العشرات منها لكل صحابى منهم. ونجح الرواة، كذلك فى التشكيك بجميع النصوص الشرعية الواردة فى فضل على بن أبى طالب بخاصة وأهل بيت النبوة بعامة، واختلاق الأحاديث المناقضة لها، والأحاديث التى تعطى فضائل مشابهة لها للمئات من الصحابة. لقد كان عمل الرواة مجزياً فبدو كأنهم يعملون فى منجم ذهب! لقد بذل معاوية مئة ألف لمن يروى حديثاً بأن آية (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام) [البقرة / ۲۰۴] قد نزلت فى على بن أبى طالب! وبذل أضعاف هذا المبلغ لاختلاق أحاديث تشيد بفضائل عبد الرحمن بن ملجم قاتل على! ولك أن تعرف حجم هذا الإغراء على أفراد أمة تعتمد حياتهم على عطاء الدولة ورزقها الشهرى! فإذا أضفت إلى هذه كله إمكانيات دولة عظمى و عزمها المؤكد على سحق من يعارضها بلا رحمة، فلا توجد موانع ولا حواجز تحجز قوة الدولة عن البطش بمعارضيها، فحجر بن عدى الصحابى الجليل المشهور رفض أن يسب علياً بن أبى طالب هو ومجموعة من أصحابه، فسيرهم الوالى إلى معاوية بهذه التهمة، ومن دون أن يسمع منهم معاوية كلمة واحدة ومن دون محاكمة أمر بإعدامهم وأعدموا بالفعل! ولنفترض أن مجموعة من المعارضين دخلوا الكعبة، وهى أقدس مقدسات المسلمين، وهى بيت الله من دخله كان آمناً، ومع هذا فإن الدولة لن تتورع عن هدم الكعبة نفسها على رؤوس المعارضين، وقد هدمت بالفعل فى زمن الخليفة [صفحه ۱۵۹] يزيد والخليفة عبد الملك! فالولاء للدولة واتباع سياستها وكراهية أئمة أهل بيت النبوة بخاصة وأهل البيت بعامة واجب دينى على كل إنسان مقيم على أرض دولة البطون والدولة لا تهاون فى أداء هذه الواجبات! وما عدا ذلك لا تثريب عليك حتى لو كنت كافراً أو كتابياً أو زنديقاً. وبتعبير أدق من يوالى الخليفة ودولته فهو مؤمن، ومن يعارضه فهو كافر [۱۷۱] هذه هى الأجواء التى تجمعت فيها مئات الألوف من الأحاديث. والأخبار التى جمعتها طواقم رواة الدولة فى فضائل عثمان والخلفاء والصحابة مجتمعين ومن والاهم من أفراد الصحابة. والأخبار والأحاديث التى شنعت بعلى بن أبى طالب وأهل بيت النبوة وشوهت النصوص الشرعية الواردة بفضلهم. وعند ما تجمعت جميع هذه الأحاديث والأخبار أمرت الدولة جميع الكتاتيب والمدارس والجامعات ورجال العلم بتعليمها لكافة الناس الخواص والعوام، العرب والموالى الرجال والنساء، الكبار منهم والصغار، حتى استوعبها الناس جميعاً، وصار بمثابة عقيدة سياسية أو منهاج تربوى وتعليمى كالمناهج التى تتبناها كل دولة من الدول المعاصرة، وتدرسها رسمياً فى روضاتها ومدارسها ومعاهدها وجامعاتها. لقد صارت نمط تفكير، وطراز حياة ثقافية، وصارت جزءاً من القوانين النافذة يعمل بها الولاة والقضاء وأرباب الفتوى. وباتت جزءاً من وثائق الدولة، تبقى ملتصقة بها بوصفها مؤسسة حتى وإن تغيرت الحكومات، أو تبدل الخلفاء وظلت هذه العقيدة تتعمق فى نفوس الجميع وتتوطد طوال ألف شهر يتناقلها الناس جيلاً بعد جيل وبعد سقوط الدولة الأموية، لم يسقط المنهج التربوى والتعليمى الذى توطد خلال مدة الحكم الأموى، على أساس عقيدة نظرية عدالة جميع الصحابة ولم تحرق وثائق الدولة الأموية بسقوطها، بل آلت هذه الوثائق التى تشتمل على مضمون النظرية إلى الدولة العباسية. خلال هذه المدة، تكونت عند الناس قناعة بأن هذه الأحاديث والأخبار صحيحة فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنها حق. ولو علمت الأجيال اللاحقة أنها [صفحه ۱۶۰] باطلة لما روتها ولما تدينت بها، وظلت هذه التركة تنتقل من جيل إلى جيل حتى وصلتنا فتقبلناها بأنبائها ومن دون شك، لأنها استجابت لميولنا التى تحب البطولة والعظمة، والتى تفترض القداسة فى أولئك العظماء الذين تجمعوا حول النبى وقهروا الدولتين الأعظم! ومن هنا صارت هذه النظرية جزءاً لا يتجزأ من الدين تقرأ معه! ويتعبد بها الناس على هذا الأساس المفروض أصلاً بقوة الدولة الغالبة! ه – مفهوم معاوية ل (الصحابة) نتيجة روايات طواقم رواة معاوية وولاته، ونتيجة دولة البطون لهذه المرويات، واعتبارها منهاجاً تربوياً وتعليمياً للدولة وجزءاً من قوانينها النافذة كما بينا، تكونت نظرية عدالة جميع الصحابة، وألقت أجرانها فى الأرض، وصورها معاوية وأولياؤه كأنها جزء من الدين. ومع ضغط وسائل أعلام الدولة وسيطرتها التامة على مناهج التربية والتعليم، وسطوتها الاقتصادية، ونفوذها القوى ألقى فى روع العامة أن هذه النظرية بالفعل جزء لا يتجزأ من الدين. وعلى فرض أن بعض الخاصة قد اكتشفت زيف هذا التصور، فهو غير قادر على الجهر باكتشافه لأنه فى هذه الحالة سيدخل فى مواجهة دولة لا قبل له بها، ثم إنه ليس بوسع معلم المدرسة إلا تدريس الكتاب الذى قررته الدولة! وليس بوسع القاضى إلا أن يطبق القانون الذى وضعته

الدولة، وليس بوسع الوالى إلا أن يلتزم بتوجه الدولة. ووفق هذا التصور صار التعريف العام للصحابى كما يلى: (من لقى النبى مؤمناً به ومات على الإسلام) ويدخل فى هذا التعريف: ١ – من طالت مجالسته للنبى أو قصرت، ٢ – من روى عنه أو لم يرو، ٣ – من غزا معه أو لم يغز، ۴ – من رآه ولم يجالسه، ۵ – من لم يره لعارض، ۶ – الجن الذى سمعوا النبى صحابة أيضاً والمنافقون الذين قالوا: آمنا وهم لا يؤمنون وهم الذين تظاهروا بالإسلام وأبطنوا الكفر والعصيان هم صحابة أيضاً، لأن العبرة تكمن بالإسلام أو التظاهر به ومجالسة النبى أو سماعه، أو رؤيته. وإذا عرفت أن النبى لم ينتقل إلى جوار ربه، وفى الجزيرة إنسان واحد يجهر بشركه، لعلمت أن جميع أفراد الشعب كانوا، وفق هذا المفهوم، صحابة! وهذا يشمل المنافقين الذين تظاهروا بالإسلام والإيمان والمجرمين الذين أقام [صفحه ۱۶۱] الرسول عليهم الحدود، فالعبرة بمجالسة الرسول أو سماعة. فالصبيان الذين رأوا الرسول صحابة [۱۷۲] . ولا يكفى هذا حتى تحصل على مزايا الصحبة بل يجب أن يكون موالياً لدولة البطون ومؤمناً بكل معقولاتها، وكارهاً لأعدائها فإذا كان هذا الصحابى أو ذاك أول من أسلم، وسكن طوال حياته مع الرسول فى بيت واحد، ومتزوجاً من ابنة الرسول، ومن أعلم الناس بما جاء به، ولكنه لا يوالى دولة البطون، ولا يؤمن بمقولاتها ولا يكره أعدائها، فهو عملياً ليس صحابياً بل يعامل معاملة الشيطان فيلعن ويشتم من قبل الحكام والمحكومين على السواء، كما فعلوا بعلى بن أبى طالب، وبسبطى النبى: الحسن الحسين وهم جميعاً صحابة وفق معايير معاوية وأركان دولته! و لنفترض أن أحداً من الصحابة امتنع عن لعن أعداء دولة البطون أو شتم أولئك الأعداء فلا يعد من الصحابة ولا فضائل ولا كرامة له ولا قيمة لحياته فيقتل فوراً ومن دون محاكمة كما فعلوا بحجر بن عدى وأصحابه، وبعمرو بن الحمق! فالعبرة فوق الصحبة بمعاييرها السابقة الولاء لدولة البطون ومعاداة أعدائها، فالصحبة وحدها لا تقدم ولا تؤخر! ولنفترض أن أحداً من الصحابة بمفهوم معاوية لعنه الرسول ونفاه ومات الرسول وهو غاضب عليه، ولكنه موال لدولة البطون ومؤمن بمقولاتها وكاره لأعدائها فيصبح من المقربين وله الحق فى أن يصبح خليفة النبى، وأن تتولى ذريته الخلافة من بعده، كما حدث لمروان بن الحكم بن العاص! وإذا كان هذا الصحابى فاسقاً بنص القرآن ويشرب الخمر علناً ويصلى بالناس وهو سكران، ولكنه موال لدولة البطون وكاره لأعدائها فهو أيضاً صحابى من العدول منزه تماماً عن الطعن، كما هى حال الوليد بن عقبة. بمعنى أن مجالسة الرسول أو رؤيته أو سماعه ليست كافية للحصول على صفة العدالة والنزاهة، وليست فضيلة تنزل صاحبه فى المنزلة الرفيعة، بل يجب أن يقترن هذا كله بالولاء لدولة البطون والقول بمقولاتها، والتعبد بكراهية أعدائها! فإذا ثبت أن أحداً من الصحابة يحب عدو دولة البطون علياً بن أبى طالب، [صفحه ۱۶۲] أو يحب أهل بيت النبوة، أعداء دولة البطون، فهو ليس صحابياً، ولا يعد مسلماً ولا يعامل معاملة المسلمين، ولا تقبل شهادته ويمحى اسمه من ديوان العطاء، ثم يهدم منزله ثم يقتل كائناً من كان [۱۷۳] . و – امتيازات الصحابة فى مفهوم معاوية وأوليائه إذا ثبت أن هذا الشخص أو ذاك جالس الرسول، أو رآه، أو سمعه، وثبت أنه موال لدولة البطون، ومؤمن بمقولاتها وكاره لعلى بن أبى طالب وأهل بيت النبوة فهو صحابى جليل، وهو عادل لا يجوز عليه الكذب والتزوير، ولا يجوز تجريحه مهما فعل وهو مرجع بحد ذاته عملاً بالحديث المكذوب على رسول الله (أصحابى كالنجوم بأيهم اهتديتم اقتديتم) [۱۷۴] وتصبح للصحابى، فى هذا المفهوم، سنة، قال أبو حنيفة: (إذا لم أجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله أخذت بقول أصحابه، فإذا اختلفت آراؤهم فى حكم الواقعة آخذ بقول من شئت، وادع من شئت، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين). وجاء فى أعلام الموقعين لابن القيم الجوزية: أن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: ١ – النص، ٢ – فتوى الصحابى، مذهب الأحناف والحنابلة إلى تخصيص عموم القرآن الكريم بعمل الصحابى، لأن الصحابى لا يترك العمل بعموم الكتاب إلا لدليل، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلاً على التخصيص، وقول الصحابى بمنزلة عمله [۱۷۵] ومن الطبيعى أن الروايات التى روتها (طواقم معاوية) والفضائل التى اختلقتها تلك الطواقم للصحابة تكمن وراء هذه المكانة المقدسة وهذا التعميم والخلط، فكلها ثمرات مرة استقرت فى ضمائر العامة نتيجة طبيعية لنظرية عدالة جميع الصحابة التى أرسى قواعدها معاوية، لغاية محددة وواضحة تتلخص بالقضاء على مكانة أهل بيت النبوة الدينية والقيادة وجعلهم مجرد أفراد ضمن مجموعة كبرى تربو على تسعمئة ألف صحابى وصحابية! [صفحه ۱۶۳] والخلاصة أن الصحابة من أهل الجنة ولا يدخل

أحد منهم النار!!. ز - جزاء من يشككك بهذه النظرية يقول أولياء معاوية: (إذا رأيت الرجل ينقص أحداً من أصحاب رسول الله، فاعلم أنه زنديق، والذين ينقضون أحداً من الصحابة على الإطلاق بالمعنى الذى وضحناه زنادقة، والجرح أولى بهم، ومن عابهم أو انتقص منهم، فلا تواكلوه، ولا تشاربوه، ولا تصلوا عليه) [۱۷۶] ولكن أولياء معاوية لا يقولون لنا لماذا قتل معاوية خيار الصحابة، ولماذا جعل مسبة بعضهم واجباً رسمياً على كل أفراد رعيته!؟ فهل ينطبق هذا الحكم على معاوية؟ وعلى أوليائه؟ ثم إن القرآن الكريم نعت بعض الصحابة - بمفهوم معاوية وأوليائه - بالفاسقين كحال الوليد بن عقبة، ونعت بعضهم بالمنافقين كحال عبد الله بن أبى، ومردة النفاق فى المدينة ومن حولها من الأعراب، واكتمل القرآن ومات الرسول ولم تنسخ هذه الأحكام فهل نترك الوصف الإلهى بنفاق هذه الفئات وفسقها ونتبع وصف معاوية وأوليائه!؟. ثم إن الرسول الكريم قد أخبرنا أن بعض الصحابة سيرتدون على أعقابهم القهقرى، وسيبدلون ويغيرون فكيف توفق بين أحكام معاوية وأوليائه وبين أحكام الله و رسوله!؟ ثم إن روح الدين تركز تركيزاً مكثفاً على حسن الخاتمة، فإذا استقام صحابى وفى أواخر عمره انحرف ورجع عن دينه فما هى الفائدة من استقامته الأولى، لأن المدار يتمثل من خواتيم الأمور [۱۷۷] ولو سألتهم من الذى وضع هذه العقوبات؟ ومن الذى أعطاه صلاحية وضعها؟ وهل يملك فرض مثل هذه العقوبات؟ لأبلسوا ولاتهموك بالزندقة! محاولات لتعديل هذه النظرية اكتشف عمر بن عبد العزيز أن نظرية عدالة جميع الصحابة، تشكل استهتاراً بالعقل البشرى، ففى وقت يطول أو يقصر سيزول الحكم الأموى، وسيعلم المسلمون أن علياً بن أبى طالب هو ابن عم النبى وزوج ابنته البتول، ووالد سبطيه، [صفحه ۱۶۴] وفارس الإسلام، وأعلم الناس بالدين، إضافة إلى أنه صحابى! ولعن من كانت هذه صفاته مهزلة مشينة يترفع عن السقوط فيها عقلاء الكفرة والمشركين. لذلك صمم على إلغاء سنة لعن على بن أبى طالب، فقاومه أولياء دولة البطون، ولكن الخليفة الفاضل نجح وألغى سنة اللعن! واستغرب الخليفة عمر بن عبد العزيز موجات الاندفاع للرواية بفضل عثمان والخلفاء، ثم بفضل الصحابة جميعاً، ثم بنقض فضائل على بن أبى طالب وأهل بيت النبوة، وقصر الرواية عن الرسول الله على هذه الأمور فقط، واكتشف الخليفة أن أبا بكر وعمر وعثمان قد منعوا رواية أحاديث الرسول وكتابتها لغاية فى نفس يعقوب قضاها ثم أصبح هذا المنع سنة، وأدرك الخليفة أن سنة المنع إن بقيت سارية سيندثر العلم، وسيختفى البيان النبوى نهائياً، لذلك أصدر أوامره برواية أحاديث الرسول وكتابتها، فجن جنون أولياء دولة البطون وعلمائها وقالوا للخليفة بصراحة: كيف تلغى سنة أبى بكر وعمر وعثمان؟ أصر الخليفة على تنفيذ قراره فأصدر أمره لواليه على المدينة بالشروع فى رواية أحاديث الرسول وتدوينها، ومرة ثانية، نجح الخليفة عمر بن عبد العزيز فى إلغاء إحدى سنن خلفاء البطون المقدسين! ولكن الخليفة الفاضل وقف عاجزاً أمام تلك السيول من فضائل الصحابة التى اجتاحت مجتمع الدولة ; إذ ليس بإمكانه أن يشككك بتلك الروايات التى صارت منهاجاً تربوياً وتعليماً للمجتمع والتى حفظها الجميع كما يحفظون القرآن وصارت حقوقاً مكتسبة للصحابة وللرواة معاً! فلو قال مثلاً: أن هذا الحديث الذى يضع فضائلاً لأبى بكر وعمر وعثمان غير صحيح أو كاذب أو مختلق على رسول الله لجن جنون علماء دولة البطون وعدوه كافراً. والخليفة، بذكائه وفطرته النقية، يعلم ذلك علم اليقين. لذلك تجاهل تلك السيول من الروايات، وانصب جهده على إدارة شؤون الدولة ورفع بعض المعاناة عن أهل بيت النبوة، وترويض مجتمع الدولة للتسامح ومعاملة أهل بيت النبوة كغيرهم من أبناء المجتمع! وجرت محاولات لتضييق نطاق النظرية، وقال المارزى فى شرح البرهان: (لسنا نعنى بقولنا: الصحابة عدول كل من رأى النبى يوماً أو رآه لماماً أو اجتمع به [صفحه ۱۶۵] لغرض وانصرف عن كثب، وإنما نعنى الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون). واكتشف أولياء معاوية أن هذا القول يهدم نظرية عدالة جميع الصحابة التى بناها معاوية هدماً كاملاً، ويخرج الأكثرية الساحقة من أبناء البطون من الصحبة، لذلك قال الشيخ صلاح الملانى: هذا قول غريب، يخرج كثيراً من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة، وقال ابن جرح: قول المارزى اعترض عليه الفضلاء وهو غير صحيح، والأصوب هو ما وضحناه قبل قليل تحت عنوان (من هو الصحابى بنظر معاوية)!! ورأى آخرون أن مسبة على بن أبى طالب، وكراهية أهل بيت النبوة ليست شرطاً لصحبة الصحبة حسب مقاييس نظرية عدالة جميع الصحابة! وأبعد من ذلك فقد اعترفوا بأن علياً بن أبى طالب وأهل بيت النبوة الذين عاصروا

النبی صحابهٔ کغیرهم من الصحابهٔ رضی الله عنهم أجمعین، ومحبهٔ أهل بیت النبوهٔ واجبهٔ علی الجمیع لأنهم صحابهٔ کرام کغیرهم! وسنهٔ مسبهٔ أهل بیت النبوهٔ وعزلهم والتشنیع علیهم ومحو أسماء أولیائهم من دیوان العطاء وقتلهم وهدم دورهم لیست موجههٔ لأهل بیت النبوهٔ إنما هی موجههٔ لحزب أهل البیت أو شیعتهم! وهی من قبیل اجتهادات الصحابی معاویهٔ وأولیاؤه، والمجتهد مأمور! لم تصدر من معاویهٔ بن أبی سفیان هذه التوضیحات. وإنما اخترعها أولیاؤه لیصححوا ما اعتقدوا أنه یجلب الانقاد له، ولیثبتوا نظریهٔ عدالهٔ جمع الصحابهٔ التی بدأت تهتز وتتهاوی. [صفحه ۱۶۷]

الصحابهٔ والصحبهٔ فی مفهوم أهل بیت النبوهٔ و شیعتهم

بعد أن ربطنا نظریهٔ عدالهٔ جمیع الصحابهٔ بالوقائع التاریخیهٔ والدینیهٔ والسیاسیهٔ، وبعد أن استعرضنا مفهوم هذه النظریهٔ عند حلفاء دولهٔ البطون وأولیائهم (أهل السنهٔ)، یبدو لزاماً علینا، استکمالاً للبحث وإغلاقاً لدائرته، أن نعالج مفهوم هذه النظریهٔ عند أهل بیت النبوهٔ وأولیائهم (شیعتهم). مفهوم الصحبهٔ والصحابهٔ بالاستقراء اللغوی الدقیق، تبین أن کلمهٔ صاحب وصحبهٔ لا تطلق إلا علی من طالت مجالسته، ولکنها اصطلاحاً، وحتی فی القرآن الکریم، من العموم والسعهٔ والشمول بحیث أنها تشمل کل من صحب النبی طالت مجالسته له أم قصرت، وتشمل من رآه، أو سمع منه علی اعتبار أن الرؤیهٔ والسماع نوع من الصحبهٔ العابرهٔ، ما یعنی أن أصحاب النبی علی العموم هم جمیع أفراد الأمهٔ الإسلامیهٔ، فما من فرد منهم إلا وقد أسلم علی یدیه أو تظاهر بالإسلام، وما من فرد إلا وقد رآه أو سمع منه. فإذا کان مناط الصحبهٔ الإسلام، أو التظاهر به ورؤیهٔ النبی أو سماع صوته، فإن کل فرد شعب دولهٔ النبی قد أسلموا أو تظاهروا بالإسلام وشاهدوا النبی أو سمعوا صوته، تلک حقیقهٔ لا ینکرها إلا جاهل أو مکابر، والخلاف علی سعهٔ نطاق الصحبهٔ أو ضیقها غیر مجد. فالصحبهٔ، فی هذا المفهوم الواسع، لا تقدم ولا تؤخر، إنما ینحصر الخلاف فی الامتیازات أو فی وصف العدالهٔ والنزاههٔ إطلاقاً. جوهر الاختلاف بین المفهومین خلفاء دولهٔ البطون وأولیاؤهم (أهل السنهٔ) یؤمنون بأن کل من أسلم أو تظاهر بالإسلام ورأی النبی أو سمع منه، أو جالسهٔ، هو صحابی جلیل منزه عن الکذب والتزویر، ومن العدول وهو من أهل الجنهٔ، ولا یدخل النار، وبالتالی لا [صفحه ۱۶۸] یجوز جرحه، لأنه من العدول، فالله سبحانه وتعالی قد تولی تعدیله، ومن المستحیل أن یتعمد الصحابی الخطأ، ففی کل أحواله مأجور لأنه بین مصیب للحق أو مجتهد فیه والمجتهد مأجور فی الحالتین، والعلهٔ فی ذلک کله تکمن فی صحبته للرسول بالمعنی المنوه به آنفاً! بینما یؤمن أهل بیت النبوهٔ، وشیعتهم تبعاً لهم، بعدم صواب اعتقاد خلفاء البطون وأولیاؤهم، وعدم شرعیهٔ هذا الاعتقاد لأنه خاطئ من جمیع الوجوه، ویتعارض مع القرآن الکریم والسنهٔ النبویهٔ المطهرهٔ بفروعها الثلاثهٔ، ومناقض لتاریخ دعوهٔ النبی و دولته، ومع الروح العامهٔ للدین، ومع حسن الخاتمهٔ بل ویتعارض مع أحکام العقل السلیم والفطرهٔ النقیهٔ! برهان أهل بیت النبوهٔ وشیعتهم الصحابهٔ فی مفهوم الخلفاء وأولیائهم، هم جمیع أفراد شعب دولهٔ النبی بالمعنی الدستوری للشعب، باستثناء الطائفهٔ الیهودیهٔ المحدودهٔ التی تمسکت بدینها، ولم یکرهها الرسول علی ترکه. وبالرغم من حالهٔ التجانس الظاهری لشعب دولهٔ النبی إلا أنه فی الحق والحقیقهٔ یتکون من مجموعهٔ من الفئات غیر المتجانسهٔ، بل والمتمیز بعضها عن بعض الآخر تمیزاً لا یخفی علی من فهم حقیقهٔ الأمور. فئات الشعب فی دولهٔ النبی ۱ - الفئهٔ المؤمنهٔ: وهی الفئهٔ التی أسلمت عن قناعهٔ لإیمانها الکامل بصدق النبی وصواب ما جاء به، لذلک التفت حوله وأطاعته، ووضعت نفسها تحت تصرفه، والتزمت التزاماً دقیقاً بأحکام دینه، وواجهت معه العرب. لم تستوحش لقلهٔ ناصریهٔ، ولم ترهب کثرهٔ أعدائه ولم تخرج عن خطه حتی فارق الدنیا وهو راض عنهما. وبعد موته لم تعصیاه إنما تمسکت بالثقلین وأطاعت من أمر بطاعته، وفارقت الدنیا وهی علی هذا الخط لا تحید. أولئک هم المؤمنون حقاً، وأولئک هم الصحابهٔ العدول الذین رضی الله عنهم ورضوا عنه وهم قمم أبناء الجنس البشری، فأهل بیت النبوهٔ یحبون هذه الفئهٔ [صفحه ۱۶۹] ویدعون لأفرادها فی جمیع صلواتهم وکذلک تفعل شیعتهم، فهؤلاء عدول لأن الله عدلهم، ولأن أعمالهم عدلتهم، ولأن خاتمتهم کانت الحسنی. وهذه الفئهٔ کانت موجودهٔ فی عهد الرسول، وبقیت موجودهٔ بعد انتقاله إلی جوار ربه، لکنها فی الحالتین

كانت قليلة، حقاً قليلة، ولا ينكر وجودها إلا جاهل أو مكابر أو مريض، وهذه الفئة تعد جزءاً لا يتجزأ من الشعب فى دولة النبى، بل هى العمود الفقرى لهذا الشعب. ۲ - الفئة المنافقة: وتتألف من قسم كبير من أهل المدينة، وهم مردة النفاق، ومن الكثير ممن يسكنون حول المدينة، ومن الكثير من أهل مكة وبالتحديد من أبناء البطون القريشية التى قاومت النبى وحاربته ۲۳ عاماً، ولما أحيط بها تظاهرت بالإسلام، ومن الكثير من أبناء القبائل العربية الذين مروا فى ظروف مشابهة لظروف أبناء بطون قريش وقد عرفوا جميعاً بالمنافقين: أظهروا الإسلام، وقاموا بجميع الواجبات التى كلفهم بها الإسلام، فصلوا وصاموا وحجوا ونطقوا بالشهادتين واشتركوا فى بعض غزوات النبى أو اعتذروا، وتظاهروا بطاعة النبى، وبقبول ولايته وبتصديقه، وجالسوه وسمعوه وهو يتكلم، لكن قلوبهم كافرة به وبدينه وبكل ما جاء به. وهم يعتقدون أن النبى حاشاه كذاب، وطالب ملك، لكنهم لا يجرؤون على إظهار كفرهم لأسباب أوضحنا بعضها. هؤلاء صحابة فى مفهوم الخلفاء وأوليائهم، فكل وأحد من المنافقين قد أسلم ونطق بالشهادتين، وقام من حيث الظاهر بكل الواجبات، وجالس النبى، وطالت مجالسته، وسمع من النبى وطال سماعه، ورأى النبى وتعددت هذه الرؤية فهو صحابى. ووفقاً لهذه القواعد التى وضعوها صار المنافق صحابياً! وقادة البطون وأولياؤهم أعقل من أن ينكروا وجود فئة كبيرة من الناس فى عهد النبى، وأن هذه الفئة عرفت بالمنافقين، وتسترت على نفاقها، ومات النبى وهى على حالها من النفاق، ولا يمكن لعاقل أن ينكر وجود هذه الفئة والقرآن الكريم بمئات آياته يشهد على وجوده ويؤكده! وبموجب نظرية عدالة جميع الصحابة التى وضعت شروطاً شكلية للصحبة، صار جميع المنافقين، حسب هذه الشروط، صحابة منزهين عن الكذب والتزوير، وفوق الجرح [صفحه ۱۷۰] والتعديل، ومن أهل الجنة! ولا يدخل أحد منهم النار، ويستحيل أن يتعمدوا الخطأ وهم بين مصيب للحق ومجتهد فيه، والأجر محقق فى الحالتين! يجرى كل هذا فى الوقت نفسه الذى بين الله ورسوله فيه أن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار! يتصايح أولياء الخلفاء وبصورة فوقية يقولون إنهم لم يعنوا المنافقين! فإذا سألتهم: أين ذهب المنافقون؟ فهل تبخروا بعد موت النبى أم ابتلعتهم الأرض. أم كانوا ينتظرون موت النبى حتى إذا مات أصلحوا أنفسهم قبل ارتداد الطرف!! وصاروا بقدرة قادر من أهل الجنة؟ وكيف نوفق بين المعطيات القرآنية التى شخصت أحوالهم وحسمت أمرهم بنفاق إلى يوم يلقونه والمعطيات التاريخية التى عرتهم وبين التصور المهزوز لنظرية عدالة جميع الصحابة الذى فرض بقوة السلاح وبالضغوط الاعلامية والاقتصادية والسلطوية لدولة البطون؟ فما من أحد من المنافقين إلا وتنطبق عليه جميع الشروط التى وضعوها للصحابى، فالمنافق متظاهر بالإسلام والإيمان، وجالس الرسول ورآه وسمع منه. ليكن صحابياً لا اعتراض لنا على ذلك، أما أن يقولوا إن هذا الصحابى المنافق أو ذاك منزه عن الكذب والتزوير، ومن المستحيل أن يتعمد الخطأ وهو مأجور فى جميع أحواله وهو من أهل الجنة فهذا موضع الاعتراض والاستهجان والاستغراب،! لأن ما يقوله أولياء الخلفاء ينقض الأحكام الإلهية والنبوية والمعطيات التاريخية معاً!. وهل يتفضل أولياء الخلفاء فيدلوننا على منافق واحد استثنوه من شروط الصحبة! ومن هو؟ فإن لم يفعلوا فأين ذهب المنافقون إذاً؟! ومن أعطاهم صلاحية إدخالهم الجنة وجعلهم عدولاً فى الوقت نفسه الذى أعقبهم الله فيه نفاقاً إلى يوم يلقونه. اعتقدوا كما يحلوا لكم!! والوا الحجارة والحديد أو ما شئتم من أبناء البشر!! لكننا نرجوكم ألا تدخلوا فى ديننا الحنيف ما ليس منه! ولا تتوسلوا بالقوة لفرض هذا الحشو الآثم علينا! ۳ - فئات أخرى: ووجد فى مجتمع النبى فئة من الناس فى قلوبها مرض، وفئة عرفت بالمخلفين من الأعراب، وفئة فاسقة، وفئة والت أعداء الله، وفئة امتهنت الصد عن سبيل الله ورسوله، وتخصصت بمقاومته ومحاربته حتى أحيط [صفحه ۱۷۱] بها. وجميع هذه الفئات تظاهرت بالإسلام والإيمان، وجالست الرسول، ورأته وسمعته وهو يتكلم، وصدرت الأحكام الإلهية بحق أفرادها ومع هذا فهم صحابة حسب نظرية البطون وهم من أهل الجنة وعدول! فهل استثنى أولياء الخلفاء أحداً من هذه الفئات؟ ومن هو؟ الله تعالى يقول (فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً) [البقرة / ۱۰] وأولياء الخلفاء يؤكدون أنه من أهل الجنة وعادل لتوفر شروط الصحبة فيه! إن هذا لأمر عجاب! فعبد الله بن أبى سرح، كبير معاونى الخليفة الثالث، أسلم، ثم افترى على الله الكذب، واعتبر هو الأظلم، لأنه ادعى أنه سينزل مثل ما أنزل الله!! ثم تظاهر بالإسلام يوم الفتح لينجو من قرار النبى بقتله، وتدخل عثمان، واضطر النبى آسفاً لعدم قتله! فعبد الله بن أبى سرح، وفق النص الشرعى مفتر على الله، وهو

الأظلم وهو فى النار! ومع هذا فهو من العدول ومن أهل الجنة حسب معطيات نظرية عدالة جميع الصحابة التى اخترعها معاوية وأولياؤه! إن هذا هو العجب العجاب. ۴ - الفئة الضالة: يحدثنا القرآن الكريم عن أناس أسلموا ثم زاغوا (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين) [الصف / ۵] ويحدثنا النبى الكريم عن أناس أسلموا ثم ارتدوا على أعقابهم، فالإسلام مهم، لكن الاستمرار فى دربه حتى النهاية هو الأهم وهو ما يعبر عنه بحسن الخاتمة، فقد يسلم الإنسان ويسير على درب الإسلام والإيمان مدة طويلة من الزمن، وفجأة يزل ينحرف ويسقط فى الهاوية. يجمع الرواة على أن أحد المسلمين قاتل مع النبى فى إحدى حروبه، ثم أصيب بجرح بالغ، فاتكأ على سيفه فقتل نفسه فاستحق النار بالنص الشرعى، وقد ضل أفراد وانحرفت أمم كانت مسلمة! ۵ - فئة مخطئة: لا ينكر أولياء الخلفاء أن الرسول الله أقام الكثير من الحدود على الكثير من رعايا دولته المسلمين، فمنهم من زنى، ومنهم من سرق ومنهم من أفسد فى الأرض، ومنهم من رمى المحصنات الغافلات ومنهم من قذف، ومنهم من شرب الخمر، وهم جميعاً صحابة حسب شروط هذه النظرية والسؤال: كيف تجتمع (العدالة) مع السرقة والزنا والإفساد!؟ وأنت ترى أنهم جميعاً قد تعمدوا الخطأ، وانتهاك الحريات! فكيف نوفق بين هذه النظرية وبين هذا الواقع الذى لا تنكرون!! [صفحه ۱۷۲] الصحابة العدول فى مفهوم أهل بيت النبوة وشيعتهم الصحابة العدول، عند أهل بيت النبوة وشيعتهم، هم الذين ورد ذكرهم فى دعاء الإمام على بن الحسين زين العابدين: (.. اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحابة والذين أبلوا البلاء الحسن فى نصره وكانفوه، وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد فى إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء، فى تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارة لن تبور فى مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا فى ظل قرابته. فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه...) [۱۷۸] . بهذا الدعاء يصف (الإمام زين العابدين) وصفاً دقيقاً أصحاب رسول الله العدول. هؤلاء هم الصحابة الذين يقر لهم أهل بيت النبوة وشيعتهم بالعدالة، ويدعون لهم فى كل صلاة، ويحبونهم حباً عظيماً، ولا يقدمون عليهم أحداً من الناس. المنافقون والضالون.. ليسوا عدولاً ۱ - المنافقون والذين فى قلوبهم مرض، والمخلفون من الأعراب والمرتزقة، جميعاً، ليسوا عدولاً. وهم من أهل النار، ولن تغنى عنهم مجالستهم للنبى، أو رؤيته أو سماعه، أو اتصافهم بكامل الشروط الشكلية للصحبة التى اخترعها معاوية وأولياؤه. ۲ - والذين صدوا عن سبيل الله وقاوموا النبى وحاربوه حتى أحيط بهم فأسلموا أو تظاهروا بالإسلام ليسوا عدولاً. [صفحه ۱۷۳] ۳ - والذين هاجروا الدنيا يصيبونها، أو نساء ينكحونها ليسوا عدولاً. ۴ - والذين سرقوا أو زنوا أو قذفوا أو انتهكوا الحرمات، وأقيمت عليهم الحدود أو لم تقم ليسوا عدولاً. ۵ - والذين عناهم الإمام على بأقواله: (رجعوا على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكأوا على الولائج، ووصلوا غيرهم الرحم وهجروا السبب الذى أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن غير أسسه وبنوه فى غير موضعه، وأصفوا بالأمر غير أهله وأوردوه غير مورده، وغصبوا سلطان محمد، وصيروا الأمر لغير أهله، وجعلوا أهل بيت النبوة سوقة، والذين استأثروا على أهل بيت النبوة ودفعوهم عن من كانوا هم الأولى به) أولئك جميعاً ليسوا عدولاً [۱۷۹] . ۶ - والذين تركوا الثقل الأصغر، وحاربوا الإمام على، وسموا الإمام الحسن بعد أن خذلوه، وقتلوا الإمام الحسين وأهل بيته فى كربلاء، وأخروا أبناءه الأئمة وطاردوهم طوال التاريخ ليسوا عدولاً. ۷ - والذين قبلت قلوبهم بإمامة أعداء الرسول فلعنهم الله ورسوله ليسوا عدولاً، ولن تغنى عنهم شيئاً مجالستهم للنبى أو رؤيته أو سماعه، أو وصفهم بالصحابة! لأن مناط العدالة ليس بالمجالسة والرؤية والسماع إنما بالمضمون، وهو الإلتزام التام بكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم. جلسة الحوار السابعة قال صاحبنا: لقد سعدت بتوضيحاتكم لنظرية عدالة جميع الصحابة، فإذا ما أضيفت هذه الإيضاحات إلى المعلومات القيمة، والتحاليل الدقيقة الواردة فى كتابكم القيم: (نظرية عدالة الصحابة)، فلن يبقى بعدها عذر لأى عاقل، وسيقتنع بصواب موقف المسلمين الشيعة، وعقلانيته وشرعيته ويرى أن كل ما يلصق بهم [صفحه ۱۷۴] من تهم ما هو إلا من قبيل العصبيات، أو من آثار المنهاج التربوى والتعليمى لدولة البطون. وفى ما يتعلق بى، فقد اقتنعت أن للشيعة رأياً إسلامياً على

الأقل إن لم يكن رأيها الذى تتبناه هو المقصود الشرعى عينه، ولكنى ومن قبيل الاستزادة بالمعرفة، أو من قبيل تحصين قناعاتى أرجو منكم توضيح بعض الأمور، التى يعدها أعداء الشيعة مثالب، بينما يعدها الشيعة التزاماً بالأحكام الشرعية ومناقب مثل التقية، فهل لكم أن تقدموا صورة موجزة للتقية فى الدين وعند الشيعة؟ وهل صحيح أنها اختراع الشيعة كما يزعم أعداؤهم أم أنها حكم شرعى مباح للمضطر؟ وكتبت الجواب التالى وسلمته لصاحبنا. [صفحه ۱۷۷]

التقية والمتعة فى الإسلام و عند شيعة أهل بيت النبوة

التقية

معناها لغة واصطلاحاً تعنى التقية، لغة، حفظ الشئ وصيانته وحمايته من الأذى، ووقايته من الضرر. وبهذا المعنى وردت فى القرآن الكريم، ففى الآية ۲۸ من سورة آل عمران أمر الله المؤمنين ألا- يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ولكنه رخص لهم ذلك بقوله تعالى (إلا- أن تتقوا منهم تقاة). وفى سورة غافر الآية ۲۸ ساق القرآن الكريم صورة واقعية من صور التقية فقال تعالى: (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) ثم وضع القرآن الصورة وكملها، فقال: (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان..) [النحل / ۱۰۶] فمن يكفر بعد الإيمان عليه غضب من الله، وله عذاب شديد إلا أن الله تعالى لا يغضب عليه ولا يعذبه إذا كان إعلانه للكفر ناتج عن الإكراه، شريطة أن يكون قلبه مطئمن بالإيمان. وعلى صعيد السنة النبوية، فالمعلوم أن عمار بن ياسر قد أعطى المشركين ما أرادوا بلسانه، ولما قص على الرسول ما حدث قال له الرسول: كيف تجد قلبك؟ قال: مطئمن بالإيمان، فقال الرسول: (فإن عادوا فعد) وقد أرسى الرسول قواعد هذا المبدأ: رفع عن أمتى: - الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.. فالتقية تعنى، لغة واصطلاحاً، (كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومصانعة القائمين على السلطة وأعوانهم وقاية للنفس أو الدين أو المال أو العرض من ضرر مؤكد، أو يقوى الظن باحتمال وقوعه، فالمعيار شخصى وموضوعى يختلف من فرد إلى فرد، لكن العبرة بوقوع الضرر أو قوة الظن بوقوعه، فهنا يجب التقية، فإذا كان الإنسان لا يعلم ضرراً بإظهار الحق، ولا قوى ظنه باحتمال وقوعه فلا تجب التقية، بل يجب الجهر بالحق وإعلان الاعتقاد به، وعدم مصانعة الظالمين وأعوانهم). التقية مسلك فطرى يقدره العقل بالضرورة الإنسان، أى إنسان، مفطور على الحفاظ على حياته ومصالحه ومعتقداته والتستر عليها إن كان فى الإعلان عنها خطر عليه وعليها، لأن التستر لا يلغيها، [صفحه ۱۷۸] إنما يخفيها ويحفظها من الخطر الذى يهدد وجودها، والعقل السليم يقر هذا التوجه الفطرى الهادف إلى الحفاظ على الحياة أو المعتقد، أو المصلحة، لأن عدم إقراره قد يؤدى إلى زوال الحياة، وزوال المعتقد تبعاً لها، لأن إخفاء المعتقدات عملية آنية لمواجهة خطر آنى يتهدد المعتقد وحياة صاحبه، فلا- شئ يمنع صاحب المعتقد من إظهاره بعد زوال الخطر، أو بعد الاستعداد لمواجهته. لقد أعلنت السلطة الطاغية قرارها بأنها ستقتل، وبغير رحمة، كل رجل متعاطف مع قيمة العدل، وانطلق أعوان السلطة يجوبون ويتعقبون أولئك الذين يتعاطفون مع قيمة العدل مثلاً، فوجدوا أحدهم وسألوه: هل تتعاطف مع قيمة العدل؟ فإذا قال لهم: نعم أتعاطف، فقد أذن لهم بقتله أو أعطاهم المسوغ لقتله، وإن أخفى معتقده وسايرهم نجا بحياته ومعتقده، ولا شئ يمنعه إذا عاود التفكير فى الأمر من أن يتخذ موقفاً آخر عند ما يواجه أعوان الطاغية مرة أخرى. إن الظلم لم يتوقف طوال التاريخ وإن الظالمين لم يختفوا أبداً، ولم يخل منهم مجتمع إنسانى قط، وفى المجتمعات الإنسانية أقوياء بيدهم الحول والطول والسلطة، وضعفاء لا حول ولا قوة، فجاءت الفطرة التى فطر الله الناس عليها وزودت المستضعفين بسلاح التقية لمواجهة الأقوياء الظالمين، لأن الأقوياء يتعاملون مع الظاهر، وهم أقل وأذل من أن يخترقوا حجب الخفاء، أو ما تخفى النفوس، وجاء العقل السليم بتحليلاته المرتبطة مع الفطرة ليقر بغير تحفظ مبدأ التقية باعتباره الوسيلة الدفاعية والأقل كلفة. التقية مبدأ إسلامى أصيل رأينا أن القرآن الكريم قد أوجد مبدأ التقية وأسسه [۱۸۰] كذلك فإن السنة النبوية، بفروعها الثلاثة، قد أقرت هذا المبدأ وأثرته ببيانها. وقد أجمع أهل العلم على (أن من أكره على

الكفر حتى خشى على نفسه القتل، لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته، ولا يحكم عليه بالكفر) [۱۸۱] فمن يلجأ للتقية [صفحه ۱۷۹] مكرها ومضطراً فلا إثم عليه وقد اشتهر بين المسلمين جميعاً حديث الرفع (رفع عن أمتى تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه..). لقد أجمع أهل بيت النبوة على جواز التقية ووجوبها أحياناً. وإجماع أهل بيت النبوة حجة شرعية، لأنهم أحد الثقلين وأعدال الكتاب، والهدى لا يدرك إلا بالتمسك بالثقلين. وأجمع المفسرون، من أهل السنة على ذلك [۱۸۲] حيث نقل عن الحسن قوله: إن (التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة) أرجع إلى الآيات التى تناولت التقية، وارجع إلى تفسيرها فى التفاسير التى ذكرناها على سبيل المثال ستخرج بقناعة تامة بأن هذا العدد الكبير من المفسرين قد أجمعوا على شرعية التقية، وأنها مبدأ إسلامى أصيل ولا يجادل فى انتماء هذا المبدأ إلى دين الإسلام إلا جاهل. قال المراغى فى تفسيره: (ويدخل فى التقية مداراة الكفرة والظلمة والفسقة وإلانة؟؟؟ الكلام لهم والتبسم فى وجوههم وبذل المال لهم، لكف أذاهم وصيانة العرض منهم. ولا يعد هذا من الموالاة المنهى عنها بل هو مشروع فقد أخرج الطبرانى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ما وقى به المؤمن عرضه فهو صدقة) [۱۸۳] . الشيعة تستعمل حقها المشروع فى التقية فى عهد الخلفاء الثلاثة الأول، جمد التشيع تجميداً كاملاً، وطمس الخلفاء وأولياؤهم جميع النصوص النبوية التى خصت علياً بن أبى طالب بالولاية والإمامة من بعد النبى، والنصوص التى خصت أهل بيت النبوة بالقيادة والتميز وجعلتهم أحد الثقلين. وأبعد من ذلك فإنهم قد منعوا رواية الأحاديث النبوية وكتابتها [صفحه ۱۸۰] وأحرقوا المكتوب منها وصولاً لغايتهم! وحجموا الإمام علياً وأهل بيت النبوة، وعزلوهم عزلاً اجتماعياً كاملاً، ثم جردوهم من كافة ممتلكاتهم وجعلوهم عالة على الخليفة المتغلب الذى تهد لأسباب إنسانية بتقديم المأكل والمشرب لهم. ثم حرموهم من جميع حقوقهم السياسية، وأصبح على وأهل بيت النبوة فى موقع لا قدرة لهم فيه على المعارضة، ومن باب أولى ألا تكون هنا لك قدرة لأوليائهم وشيعتهم على المعارضة، ومن الطبيعى أن تنظر دولة أولئك الخلفاء نظرة الريبة والحذر إلى على وأهل بيت النبوة وأوليائهم، وأن تضيق عليهم لأسباب أمنية، فتصبح مدارة الخلفاء وأوليائهم ضرورة لا بد منها. فلو أن أحداً من أولياء على قد قال لأبى بكر أو لعمر أو لعثمان: إنك غاصب للخلافة مثلاً، أو أن الإمام على أولى منك أو أننى لا أحبك لأنك أخذت حق أهل بيت النبوة فأهون ما يفعله هذا الخليفة أو ذاك هو أن يتخذ من هذا القائل موقفاً، ومن المؤكد أنه لن يوليه، ولن يتخذه عضداً له، وسيحذر أولياءه منه. وإذا قدر هذا الخليفة، أو ذاك، أن هذا القائل قد يشكل خطراً على دولته فقد يأمر بقتله كما فعلوا بسعد بن عبادة، وقد يجرده من حقوقه السياسية أو المالية كما فعلوا بعلى وأهل بيت النبوة، فمواجهة أى خليفة من الخلفاء الثلاثة، قد تؤدى حتماً إلى الأضرار البالغة، فلا يوجد بيت من بيوت المسلمين الخاصة له حرمة وقداسة كالبيت الذى يسكنه على بن أبى طالب وزوجته فاطمة بنت رسول الله وسبطا الرسول الحسن والحسين، ومع هذا عند ما شعر الخليفة الأول ومعاونوه، وبينهم من صار الخليفة الثانى أن سكان هذا البيت لا يوالونهم، شرعوا بإحراقه على من فيه، بمعنى أن عدم مصانعة الخلفاء ومجاملتهم فضلاً عن أنها غير منتجة فهى مضرة ضرراً بالغاً، لذلك أبيحت التقية لدفع هذا الضرر. لما تمكن معاوية من هزيمة الشرعية ومن هزيمة الأمة كلها، وقبض على السلطة بكلتا يديه، أصدر سلسلة من المراسيم لجميع ولاته على جميع أقاليم مملكته أمرهم فيها بأن يمحو من ديوان العطاء من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيت النبوة، وأن يسقطوا عطاءه ورزقه وأمر أيضاً: (ومن اتهمتموه بموالاة [صفحه ۱۸۱] هؤلاء القوم فنكلوا به وأهدموا داره) [۱۸۴] فلو سأل معاوية أحد موالى الإمام على وأهل البيت: هل توالى علياً؟ فإذا أجاب المسؤول بالإيجاب وقال إنه يوالى علياً فمعنى ذلك أنه قد أقر بذنبه والإقرار سيد البينات، وفى هذه الحالة يتوجب حتماً مقضياً أن تهدم داره وأن يقتل! حسب شريعة معاوية! وفى هذه الحالة وأمثالها وسع الله على عباده بالتقية، فلا حرج على المسؤول لو أجاب معاوية أو أحد أوليائه بأنه لا يوالى علياً، ولا حرج عليه لو أخفى ولاءه للإمام على دفعاً للقتل وهدم البيت، كذلك لو أن معاوية أو أحد أوليائه، سأل أحداً من محبى على وأهل بيت النبوة: هل تحب علياً؟ وهل تحب أهل البيت؟ فإذا أجاب بالإيجاب يشطب اسمه من ديوان العطاء، ويتم إسقاط معاشه ورزقه، وبالتالى يجرد من الحقوق المدينة فلا تقبل له شهادة! وفى هذه الحالة وأمثالها أباح الله تعالى له أن يجيب بالنفى على سبيل التقية، فيقول: (أنى لا أحب علياً، ولا أحب أهل بيت

النبوة) وله أن يخفى هذا الحب دفعاً لضرر مؤكد. فكتمان الموالاة والمحبة ليس حراماً بل هو واجب دينى، فالإعلان عن الموالاة يؤدى للموت! فجاءت التقية لتدفع الموت، والجهر بالمحبة يؤدى إلى شطب الاسم وإسقاط الرزق فجاءت التقية لتدفع هذا الضرر البالغ. فالتقية منهج إلهى يجد فيه الإنسان حاجته، فإن الإعلان عن الموالاة والجهر بالمحبة فى مثل هذه الظروف لا يسقطان دولة الظلمة، ولا يزيلان ملك معاوية، ولا يضعان حداً للإرهاب والبطش، بمعنى أن الإعلان والجهر غير منتجين، ولا يحلان مشكلة الأمة بل يخدمان معاوية وأولياءه، ولهذا كانت التقية نهجاً يسلك إلى النجاة. فغاية معاوية تتمثل فى أن يعرف المؤمنين جميعهم ليتمكن من قتلهم وإبادتهم من الوجود إبادة تامة حتى يصفى الملك له ولبنى أمية، فلا ينازعه فيه أحد من الناس. وقد أدرك هذه الحقيقة الإمام الحسن وعبر عنها بقوله: (إنى خشيت أن يجتث المسلمون من الأرض، فأردت أن يكون للدين داعية) [۱۸۵] . [صفحه ۱۸۲] فإذا أباد معاوية المؤمنين الصادقين، تخلوا الساحة تماماً من الشهود، ويتمكن من محو آثار الجريمة، ومن خلال منهاجه التربوى والتعليمى الذى رسخه، والذى سيورثه للأجيال القادمة سيتمكن من تسويق مفهومه المصلحى للإسلام، وينجح المجرم بادعائه البراءة فهو يرتدى القفازات البيض، وتحت القفازات يد ملطخة بدماء الجريمة، ولكن العوام والسذج لا يرون إلا القفازات البيض. إذاً ليلجأ المؤمنون إلى التقية بوصفها وسيلة شرعية لإنقاذ الأنفس والأموال، وليستروا على إيمانهم وولائهم وليبقوا وينتظروا الفرصة المناسبة لفضح الجرائم، ولتمزيق القفازات البيض حتى يرى الجميع ذات يوم اليد الملطخة بدماء أهل بيت النبوة وأتباع محمد المؤمنين الصادقين. وقد حققت التقية هذا الغرض، فلم يعد بإمكان أولياء معاوية وأمثاله فى كل زمان أن يقولوا شيئاً من دون أن يجدوا من يقول الحق هكذا، وليس كما تقولون. وقد ساق القرآن الكريم نموذجاً حياً متحركاً لمؤمن يكتم إيمانه فى مجتمع صار قائده رمزاً للبطش والطغيان والإرهاب، وهو مجتمع فرعون فليس صدفة أن يذكر الله تعالى مؤمن آل فرعون الذى كان يكتم إيمانه. التقية التى شرعها الله وبينها رسوله، صارت جريمة! أولياء معاوية غاضبون جداً من شيعة أهل بيت النبوة لأنهم أخذوا بالتقية التى شرعها الله تعالى وبينها رسوله الكريم، ولأنهم أخفوا ولاءهم لأهل بيت النبوة، ولم يجهروا بمحبتهم لأهل البيت عند ما سألهم معاوية. وأولياؤه يرون أن عمل شيعة أهل بيت النبوة هذا فن من فنون الكذب والنفاق، وقد لعن الله الكاذبين، وجعل المنافقين فى الدرك الأسفل من النار، وعليه فإن المسلمين الشيعة كاذبون ومنافقون لأنهم لم يكشفوا عن أنفسهم حتى يقتلهم معاوية ويهدم دورهم! وفى الوقت نفسه يشيدون ببطولة معاوية وعمق إيمانه لأنه صحابى جليل شاهد النبى وسمع منه، ويحكمون بكذب الذين والوا أهل بيت النبوة ونفاقهم مع أنهم أيضاً صحابة أجلاء شاهدوا النبى وسمعوا منه بل وحاربوا معاوية وأباه دفاعاً عن النبى! [صفحه ۱۸۳] وهكذا، وبقدرة قادر، صار المجرم ضحية، وصارت الضحية مجرماً! والجرم الذى ارتكبه شيعة أهل بيت النبوة هو موالاتهم وحبهم لمحمد ولأهل بيت محمد، ففى أى آية أو حديث أعتبرت محبة أهل بيت النبوة وموالاتهم جريمة توجب القتل وحداً من الحدود التى أوجب الله على معاوية إقامته!؟ أليس أهل بيت النبوة هم أحد الثقلين فلا يدرك الهدى إلا بهما، ولا تتجنب الضلالة إلا بهما! أليسوا هم ذوو القربى!؟ أليسوا هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً!؟ إن النصارى من أتباع عيسى، واليهود من أتباع موسى، فهل يجوز لمعاوية وأوليائه، فى شرع الله، أن يقتلوا اليهود والنصارى لأنهم يحبون موسى وعيسى!؟ الذين والوا أهل بيت النبوة وأحبوهم مسلمون ينطقون بالشهادتين، ويؤمنون بالله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويفهمون الدين أكثر مما يفهمه معاوية و أولياؤه، وأى شريعة تجيز لمعاوية وأوليائه قتلهم!؟ ولا ذنب لهم إلا أنهم يقولون: ربنا الله! ألا يستطيع معاوية وأولياؤه أن يعاملوا شيعة أهل بيت النبوة كما يعاملون اليهود والنصارى!؟ تلك هى قصة التقية التى عدها أولياء معاوية من مثالب شيعة أهل بيت النبوة، وتلك هى الظروف التى توضحت فيها معالم هذا المبدأ الإسلامى. جلسة الحوار الثامنة قال صاحبنا: لقد وقفت على جوابكم المختصر حول التقية، وهو حقاً مقنع. وعملاً باتفاقنا، أريد منك جواباً مكثفاً ومختصراً عن المتعة، فقد أكثر خصوم المسلمين الشيعة قولهم أو تقولهم فى هذه القضية. فمن الذى فرض المتعة؟ وهل عمل بها فى عهد الرسول؟ وهل نسخت؟ ولم أوقف العمل بها عند الأكثرية الساحقة من المسلمين؟ وكتبت الجواب التالى لصاحبنا وسلمته له فوعد بدراسته. [صفحه ۱۸۵]

المتعة فى الإسلام و عند شيعة أهل بيت النبوة

لكى نفهم القواعد الشرعية الإسلامية دين الإسلام آخر الأديان، وقواعده معدة للدين والدولة معاً، فالإسلام فى صورة من صوره، يشكل مجموعة القوانين التى ينبغى أن تكون نافذة فى مجتمع الدولة الإسلامية. وفى وقت يطول أو يقصر يفترض أن الدولة الإسلامية دولة عالمية، يصبح جميع أفراد الجنس البشرى مواطنيها ورعاياها، لذلك وضعت قواعد الإسلام لتتعامل مع الجنس البشرى كله، ولتحكم علاقات هذا الجنس. وقد تولى الله، سبحانه وتعالى، بنفسه وضع جميع قواعد الشريعة الإسلامية لتلائم طبيعة الإنسان وفطرته، وحياته وآخرته، ولتشبع رغباته وميوله وتوجهاته وتنظمها، وتخدم الأهداف النبيلة التى يتوخاها الشارع الحكيم العليم، وقواعد الإسلام جميعها مبنية على اليسر ورفع الحرج، وتضييق دائرة المحرمات إلى أبعد حد ممكن، وإشباع الحاجات والرغبات الإنسانية ضمن دائرة الشرعية، وقدمت روح الشريعة العامة نماذج للسمو والكمال الإنسانيين وحثت المؤمنين على السعى لبلوغهما ولكنها لم تحمل المكلف فوق طاقته إنما راعت ظروفه وواقعه وتعاملت معه على هذا الأساس، من خلال نوافذ الرحمة والحكمة واللطف الإلهى. المتعة من شرع الله أجمع المسلمون جميعهم على أن الله تعالى شرع نكاح المتعة بقوله: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة..) [النساء / ۲۴] وكان جمع من الصحابة كأبى بن كعب وابن عباس يقرؤون هذه الآية على القراءة التالية: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن...) ذكر ذلك كبار المفسرين كالطبرى والزمخشرى والرازى عند تفسيرهم لهذه الآية، وقد وضح الرازى ذلك فى تفسيره [صفحه ۱۸۶] قائلاً: (والأمة ما أنكروا عليهما فى هذه القراءة، فكان ذلك إجماعاً من الأمة على صحة هذه القراءة) [۱۸۶] . ولأن مهمة الرسول الأولى أنه يبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم فقد بين هذه الآية، وأكد أن نكاح المتعة من شرع الله، وحض المسلمين عليها، وذلك عند ما ذكرهم بقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [المائدة / ۸۷] وعلى ذلك جمع أهل بيت النبوة، وإجماع أهل بيت النبوة حجة، لأنهم: ۱ - أحد الثقلين، ۲ - وأعدال الكتاب، ۳ - ولأن الهدى لا يدرك إلا بهما وبالقرآن معاً، ۴ - والضلالة لا يمكن تجنبهما إلا بهما وبالقرآن معاً، ۵ - ولأنهم عاشوا مع الرسول طوال حياته المباركة فكانوا يقيمون عنده ويسكنون وإياه فى بيت واحد. وبالتالى هم أدرى وأعلم بشرع الله وسنة رسوله. وعلى الرغم من أن الخلفاء كانوا يتبنون مواقف مختلفة عن مواقف أهل بيت النبوة إلا أنهم وأولياءهم قد أجمعوا على أن المتعة من شرع الله، ولهم ولعلمائهم عشرات الصحاح الصادرة عن النبى والتى توكد نكاح المتعة من شرع الله، وقد روى هذه الصحاح البخارى ومسلم فى صحيحيهما، (كتاب النكاح)، وأحمد بن حنبل وغيرهم. وقد رووا هذه الأحاديث الصحيحة عن مجموعة من الصحابة يمتنع عقلاً اجتماعهم على الكذب، كسلمة بن الأكوع وجابر بن عبد الله، وأبى ذر الغفارى، وعمران بن حصين، وسبرة بن معبد، وقبلهم كامل أئمة أهل بيت النبوة، ولا يوجد مسلم واحد عاقل يجرؤ على القول: إن نكاح المتعة لم يكن من شرع الله، فجميع المسلمين قد أجمعوا على أنها من شرع الله. وأن هذا النكاح مورس وعمل به بإذن رسول الله وعلمه وتشجيعه عليه، انسجاماً مع الأهداف التى ذكرناها فى الفقرة الأولى من هذا البحث، وتوسيعاً على العباد، وتضييقاً لدائرة الحرام ورفعاً للحرج. [صفحه ۱۸۷] الخليفة الثانى ألغى هذا الشرع مورست المتعة وعمل بها طوال عهد النبى، وطوال عهد الخليفة الأول وفى مدة من عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، إذ حملت امرأة فى عهده من نكاح المتعة، فاستاء عمر، ورأى أن المتعة غير مناسبة، وأن الأفضل إلغاؤها، فقام بين الناس وقال: (إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، فأتموا الحج والعمرة، وأبنوا نكاح هذه النساء، فلئن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة) [۱۸۷] وتعميماً لأمره، خطب فى الناس مرة قائلاً: (إن القرآن هو القرآن، وأن رسول الله هو الرسول، وأنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله إحداهما متعة الحج والأخرى متعة النساء..) [۱۸۸] قال القوشجى، إمام الأشاعرة فى آخر شرح التجريد، مبحث الإمامة، أن عمر بن الخطاب قال على المنبر: (أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله، وأنا أنهى عنهن، وأحرمهن وأعاقب عليهن، متعة النساء، ومتعة الحج، وحى على خير العمل) قال القوشجى، معتذراً: (ما فعله عمر كان اجتهاداً). قال الإمام مالك

فى الموطأ، باب نكاح المتعة: أن ربيعة بن أمية بن خلف الثقفى قد استمتع فى عهد عمر، فحملت المرأة التى استمتع بها، فعلم عمر وخرج يجر رداءه فقال: هذه المتعة، لو كنت تقدمت فى تحريمها لرجمت... كما ذكر ذلك ابن عبد البر فى ما نقله الزرقانى عنه فى شرح الموطأ. وما يؤكد أن عمر ألغى تشريع المتعة أن ابنه عبد الله عند ما سئل عن المتعة أجاب: (والله ما كنا على عهد رسول الله زانين ولا- مسافحين، والله لقد سمعت رسول الله يقول: (ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون أو أكثر) [۱۸۹] . وسئل مرة عن متعة النساء، فقال: (هى حلال). فقيل له: إن أباك نهى عنها! فقال أرأيت إن كان أبى نهى عنها وصنعها رسول الله أنترك السنة ونتبع قول أبى!؟ [۱۹۰] . ويؤكد إلغاء عمر لتشريع نكاح المتعة قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب: (لولا [صفحه ۱۸۸] أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقى) [۱۹۱] وقول ابن عباس: (ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها أمة محمد، ولولا نهية [نهى عمر] ما أحتاج إلى الزنى إلا شقى) أى القليل. جميع هذه الشواهد تثبت أن إلغاء تشريع نكاح المتعة، لم يكن من الله ولا من رسوله، إنما كان من الخليفة الثانى عمر بن الخطاب، وسجل هذا الخليفة حافل فى تقديم اجتهاداته وآرائه الشخصية على القرآن الكريم والسنة المطهرة! الخليفة الثانى جرئ ومؤهل لإلغاء النصوص الشرعية من يتعمق فى دراسة شخصية الخليفة الثانى وتاريخه، لا تبقى لديه ذرة شك فى أن تحريم نكاح المتعة الذى شرعه الله ورسوله إنما كان بقرار منه اتخذه بوصفه الخليفة أو رئيس الدولة، وجعله جزءاً من المنهاج التربوى والتعليمى الذى فرضته دولة الخلافة التاريخية، وسجل هذا الخليفة وتاريخه ينطقان بجرأته النادرة على الله ورسوله. وعلى سبيل المثال لا الحصر: ۱ - فى صلح الحديبية: وقع رسول الله الصلح بأمر من ربه، لأن هذا الصلح حقق له ما عجزت الحروب الدامية عن تحقيقه، ثم إن الوحى كان ملازماً لرسول الله فى الساعات العصيبة التى سبقت التوقيع على الصلح، ومع هذا فإن عمر يعلن أمام الرسول وأمام الحاضرين أن (هذا الصلح دنية فى الدين)، وقد بذل كل جهوده لاستقطاب الناس حوله طمعاً بتخريب الصلح الذى عقده الرسول بأمر من ربه لاعتقاده أن هذا الصلح (دنية فى الدين). ولما فشل فى استقطاب الناس ضد الصلح الذى وقعه الرسول قال كلمته المشهورة: (لو وجدت شيعة ما أعطيت الدنية فى دينى) [۱۹۲] . ۲ - كتابة توجيهات النبى: أراد النبى، قبيل وفاته، كتابة توجيهاته النهائية للأمة. ولما عرف عمر جمع أولياءه، ودخل إلى حجرة رسول الله، فما إن قال [صفحه ۱۸۹] الرسول: (قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً) حتى تصدى له عمر وتجاهل وجوده، وقال لمن حوله من أوليائه: (إن الرسول قد غلبة الوجع وعندنا كتاب الله، حسبنا كتاب الله). هذا هو القول الملطف الذى يرويه البخارى ومسلم فى صحيحيهما. أما الحقيقة التى رواها ابن الجوزى فى كتابه (تذكرة الخواص)، وأبو حامد الغزالى فى كتابه (سر العالمين وكشف ما فى الدارين) فهى أن عمر قال لأوليائه: (إن الرسول يهجر حسبنا كتاب الله)، فردد أولياؤه: القول ما قاله عمر: (إن الرسول يهجر حسبنا كتاب الله) [۱۹۳] ومن يفعل ذلك فى مواجهة الرسول وحياته، لن يعجز بعد وفاته عن إلغاء التشريع الذى بينه. ۳ - قسمة المال بالسوية: كان الرسول يقسم المال بين الناس بالسوية، وهو لا- ينطق عن الهوى ويتبع ما يوحى إليه، ولحكمة ظاهرة مفادها أن الحاجات الأساسية للبشر متشابهة، ولا تختلف من فرد إلى فرد، ومن جهة ثانية فإن الله ورسوله أراد أن يحررا الإنسان من سلطان الحاكم على هذه الأساسيات، وأن يذيبا الفوارق المالية بين الناس إرساء لمبدأ المساواة. والخلاصة أن القسمة بين الناس بالسوية صارت سنة، طبقت طوال عهد النبى الزاهر وطوال عهد الخليفة الأول أبى بكر. ولما آلت الخلافة إلى عمر رأى أن هذه الطريقة بالقسمة التى أوصاها الله لرسوله، واتبع الرسول فيها ما أوحى إليه غير مناسبة وغير عادلة، والأفضل منها أن يعطى الناس حسب موازين ومعايير أوجدها بنفسه. وبكل بساطة ترك سنة الرسول، النابعة من الوحى الإلهى، واتبع رأيه واجتهاده الشخصى! وبعد تسع سنين، وبعد النتائج المدمرة التى نجمت عن إلغاء سنة المساواة النبوية، واتباع الرأى الشخصى، وبعد أن اختل حبل التوازن، ووجد نظام الطبقات، ووجد الغنى الفاحش والفقر المدقع جنباً إلى جنب، نتيجة فعل عمر هذا، عندئذ أدرك الخليفة أن سنة محمد أهدى وأصوب من رأيه، فعزم قائلاً: (لئن عشت العام القابل لأتبعن سنة رسول الله وصاحبه). [صفحه ۱۹۰] ۴ - آية الصدقات: ومثال أخير على جرأة الخليفة الثانى: أن آية الصدقات آية، محكمة تبين المستحقين لها، وقد جاء نصر الله والفتح وأعز الله الإسلام فى زمن رسوله، والرسول يعطى طوال حياته للمستحقين فى

آية الصدقات: الفقراء والمساكين... والمؤلفة قلوبهم وعند ما آلت الخلافة لعمر رأى أن يلغى التشريع الإلهى والسنة النبوية التى تعطى للمؤلفة قلوبهم سهماً من الصدقات، بحجة أن الله أعز الإسلام ولم يعد بحاجة للمؤلفة قلوبهم! وبالفعل ألغى هذا السهم، وما زال ملغياً إلى يومنا هذا، مع أنه مفروض فى آية محكمة وفى تطبيق عملى طوال عهد الرسول! موقف الجموع المسلمة من هذه الأعمال أحب كثير من المسلمين الخليفة الثانى حباً ملك عليهم عقولهم ودينهم حقيقة. ومع أنهم لا يصرحون بأن الخليفة الثانى أفضل من الرسول، لكنهم عملياً، يتعاملون معه كأنه أفضل من الرسول! وكأنه أعقل من الرسول، فما من شئ يعمله عمر إلا لحكمة، وحكمة جليلة يراها. فعند ما ألغى سنة الرسول التى تساوى بيت الناس بالعطاء لم يحتج أصحاب المصلحة من الناس، إنما صفقوا للخليفة الملهم والجرئ! وعند ما أعلن، بعد تسع سنين أنه سيعود فى العام المقبل للعمل بسنة الرسول صفقت له الجموع أيضاً! إن الجموع لا تلتفت قطعياً إلى قول عمر لرسول الله: (أنت تجهر ولا حاجة لنا بكتابك، حسبنا كتاب الله) بل تعد هذا القول فناً من فنون العبقرية العمرية! وليس أدل على قوة نفوذ الخليفة الثانى من سهم المؤلفة قلوبهم، فبالرغم من أن السهم محدد فى آية محكمة، ومن أن السنة النبوية قد جرت عليه طوال عهد الرسول وجزء من عهد أبى بكر إلا أن الجموع المفتونة بحب الرجل عدت قول عمر عملياً كأنه ناسخ للقرآن والسنة! فلم يصدف على الإطلاق أن تجرأ خليفة لإعطاء سهم المؤلفة قلوبهم، خشية من أن تظن الجموع أنه خالف سنة عمر. تلك هى طبيعة عمر، وطبيعة الجموع التى أحبته، فهل يستعبد على من كانت هذه طبيعته أن يلغى تشريع المتعة، ويجد آلاف المتبرعين المستعدين للكذب حتى على رسول الله حتى يسوغوا عمل الرجل! [صفحه ۱۹۱] خطة تسوغ فعل الخليفة الثانى لو ترك أولياء الخليفة الثانى أمره نافذاً فى موضوع نكاح المتعة لأطاعته الجموع طاعة تامة، تماماً كما أطاعته عند ما ألغى سهم المؤلفة قلوبهم المحدد فى آية محكمة، والموثق بسنة نبوية، وتماماً عندما ألغى السنة النبوية التى ساوت بين الناس بالعطاء، واستبدلها برأيه الشخصى القائم على التمييز بين الناس على أساس معايير أوجدها بنفسه! ولكان سهلاً على أولياء الخليفة أن يقولوا إن الخليفة قد ألغى نكاح المتعة الذى شرعه الله ورسوله من قبيل الاجتهاد، ومن حق المجتهد (الخليفة) أن يخالف مجتهداً آخر (وهو الرسول) لأن المجتهد مأجور أصاب أم أخطأ، وهذا عين الاعتذار الذى اعتذر له كبار المفكرين ممن يتعاطفون مع الخليفة الثانى، كالقوشجى وابن أبى الحديد. فهذا أولى وأقل كلفة من مشقة وضع الأحاديث واختلاق الأخبار لإثبات أن نكاح المتعة قد نسخ من الله ورسوله. والخليفة الثانى جاء ليحافظ على الحكم الناسخ، ويحول بين الناس وبين ممارسة حكم منسوخ! والله يشهد أن الخليفة الثانى لا علم له باختراع أوليائه هذا، ولو كان حياً لأوسعهم ضرباً بدرته، ولقال لهم: أنه لا داعى للاختلاق للتغطية على ما يؤمن به الخليفة، لأن لديه الجرأة أن يعلن قناعاته الشخصية أمام الله ورسوله، ومن يفعل ذلك لا ينبغى أن يخشى الناس! الادعاء بنسخ تشريع نكاح المتعة نثبت فى ما يأتى النص الحرفى لرأى الإمام عبد الحسين شرف الدين العاملى فى هذا الادعاء كما ورد فى كتابه: (مسائل فقهية): (قال أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من فقهاء الجمهور بنسخ هذا النكاح وتحريمه، محتجين بأحاديث أخرجها الشيخان (بخارى ومسلم) وقد أمعنا فيها متجردين متحررين فوجدنا فيها من التعارض فى وقت صدور النسخ لا يمكن معه الوثوق بها، فإن بعضها صريح بأن النسخ كان يوم خيبر، وبعضها أن النسخ كان يوم الفتح، وفى بعضها أن النسخ كان فى غزوة تبوك، وفى بعضها إنه كان فى حجة الوداع، وفى بعضها أنه كان فى عمرة القضاء، وفى بعضها أنه كان فى عام أوطاس)! [صفحه ۱۹۲] والأحاديث التى استندوا إليها بنسخ تشريع نكاح المتعة لأنها واردة فى صحيحى بخارى ومسلم تناقضها أحاديث وردت فى هذين الصحيحين تفيد بعدم النسخ. [۱۹۴] . (ثم إن الخليفة نفسه لم يدع النسخ كما بينا، وإنما أسند التحريم إلى نفسه! ويبدو أن المتأخرين عن زمن الصحابة قد وضعوا أحاديث النسخ تصحيحاً لرأى الخليفة). (ومن غريب الأمور دعوى بعض المتأخرين أن نكاح المتعة منسوخ بقوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون - إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) [المؤمنون / ۵ - ۶]. والجواب أن الزوجة بالمتعة زوجة شرعية، فهى داخلة بالأزواج، ثم إن هذه الآية مكية نزلت قبل الهجرة بالاتفاق، فلا يمكن أن تكون ناسخة لإباحة المتعة المشروعة فى المدينة بعد الهجرة بالإجماع! ثم إذا كانت هذه الآية ناسخة لزواج المتعة فلماذا لم تنسخ نكاح الإماء إذاً؟ مع أنهن لسن بزوجات للناكح ولا ملك يمين)! وجاء فى

صحیح البخاری: حدثنا أبو رجاء عن عمران بن حصین رضی الله عنه قال: (نزلت آیة المتعة فی کتاب الله ففعلناها مع رسول صلی الله علیه وآله وسلم ولم ینزل قرآن بحرمتها، ولم ینه عنها رسول الله حتی مات). وإلی هذا أشار مسلم فی صحیحه بسنده عن عطاء قال: (قدم جابر بن عبد الله الأنصاری معتمراً فجئناه بمنزلة فسأله القوم عن أشیاء، ثم ذکروا المتعة فقال جابر: استمتعنا علی عهد رسول الله وعلی عهد أبی بکر وعمر، وفیه عن جابر أیضاً حیث یقول: کنا نتمتع بالقبضة من التمر والدقیق لأیام علی عهد رسول الله وأبی بکر حتی نهی عنه عمر فی شأن عمرو بن حریث. وفیه عن أبی نضرة قال: کنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آت فقال: ابن عباس وابن الزبیر اختلفا فی المتعتین قال جابر: (فعلناهما مع رسول الله ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما) [۱۹۵] . [صفحه ۱۹۳] وردت أحادیث متناقضة: بعضها یبیح المتعة، وهو مدعم بآیة محکمة هی آیة المتعة وبعضها ینهی عن المتعة، وهو مدعم بقرار الخلیفة الثانی، فتم تجاهل النوع الأول وعمل بالنوع الثانی. ثم قیل أن قرار الخلیفة هو وحده الصائب والأنسب للأمة، وبناء علی هذه المقولة أصبح نکاح المتعة محرماً مسنداً لقرار الخلیفة والروایات التی دعمته. أما الآیة المحکمة، والروایات التی دعمتها فأصبحت عملیاً معطلة أو غیر نافذة من أحکام نکاح المتعة ۱ – ما هو نکاح المتعة؟ نکاح المتعة عقد یتم بین رجل مسلم بالغ عاقل وحر، وبین امرأة حرة وبالغة وعاقلة مسلمة، أو کتابیة، لإنشاء علاقة زوجیة لمدة محددة، مقابل مهر معین. وعقد المتعة شأن جمیع العقود عقد رضائی یقوم علی الاتفاق والتراضی، ویجب أن یکون جامعاً لشرائط الصحة الشرعیة وفاقداً لجمیع الموانع الشرعیة. ۲ – الموانع الشرعیة الموانع الشرعیة التی تحول دون إجراء عقد زواج المتعة هی عین الموانع الشرعیة التی تحول دون عقد الزواج الدائم، کالنسب، أو الرضاع أو الإحصان، أو العدة، أو المعقود علیها لأحد الأبناء وإن کان قد طلقها أو مات عنها قبل الدخول بها، أو أخت الزوجة أو غیر ذلک من الموانع الشرعیة، فإذا وجد مانع من هذه الموانع، فإن عقد المتعة باطل ومعدوم بنظر الشرع ومحرم. ۳ – صیغة عقد المتعة بعد الاتفاق والتراضی تقول المرأة للرجل: زوجتک أو أنکحتک، أو متعتک نفسی بمهر قدره (تذکره) یوماً أو یومین أو شهراً أو ثلاثاً أو سنة أو عشر سنین (تذکر المدة بالضبط) فیجیبها الرجل، قبلت. عندئذ یتم العقد وتترتب علیه کل آثاره. [صفحه ۱۹۴] ۴ – آثار العقد إذا تم القبول والإیجاب یتم العقد وتترتب علیه جمیع آثار الزواج. فتصبح المرأة زوجة ویصبح الرجل زوجاً لها إلی منتهی الأجل، فإذا انتهی الأجل تبین المرأة من غیر طلاق، وللرجل فراقها قبل انتهاء المدة، وبانتهاء الأجل أو بالفراق یتوجب علی المرأة أن تعتد بقرأین إذا کانت ممن تحیض أو بخمسة وأربعین یوماً کالأمة. فإذا توفی عنها زوجها فیجب أن تعتد بأبعد الأجلین، وهی وضع الحمل إن کانت حاملاً، ومضی المدة وهی أربعة أشهر وعشرة أیام بعد علمها بموت الزوج، ولا نفقة لها. وولد زواج المتعة: ذکراً کان أم أنثی یلحق بأبیه ولا یدعی إلا له کغیره من الأبناء والبنات، وله کافة الحقوق الشرعیة من الإرث، ولا فرق بین الولد المولود من نکاح المتعة والمولود من النکاح الدائم، وتشمل الاثنین جمیع العمومیات الشرعیة الواردة فی الأبناء والآباء والأمهات، والأخوة والأخوات وأبناؤها والأعمام والعمات والأخوال والخالات، ولکن الزوجة بالمتعة لا ترث. هذا هو نکاح المتعة کما تلقاه أهل بیت النبوة عن النبی الأعظم، وقد أباحه الله ورسوله ومورس وعمل به الراغبون طوال عهد النبوة الزاهر، وطوال عهد الخلیفة لأول أبی بکر وجزء من عهد الخلیفة الثانی عمر بن الخطاب، ثم لاح للخلیفة الثانی أن ینهی عنه ویحرمه. وحیث أنه لا یملک فی الحق والحقیقة أن یحرم ما أحل الله، وإشفاقاً من أولیائه ومحبیه علیه، وتصحیحاً لتحریمه قالوا أو تقولوا بالنسخ، واخترعوا حججاً لا یعلمها حتی الخلیفة الثانی نفسه ; وذلک تعبیراً عن ولائهم المطلق له ولسننه، وإرغاماً لأنوف أهل بیت النبوة وشیعتهم ; إذ جرت العادة أنه إذا اتخذ الخلفاء موقفاً، واتخذ أهل بیت النبوة موقفاً آخر فإن الأکثریة تقف مع الخلفاء، لأن المال والجاه والسلطة والنفوذ بأیدیهم، وأهل بیت النبوة لا یملکون إلا الحکم الشرعی الإلهی القائم علی الجزم والیقین، فلا مصلحة لطلاب الدنیا والعیش فی أن یترکوا مرضاة الخلیفة وماله لیقفوا مع خصومه فی معرکة معروفة النتائج سلفاً. [صفحه ۱۹۵] ۵ – نکاح المتعة رخصة شرعیة ولیست إلزاماً ولا بد من الإشارة، أخیراً إلی أن نکاح المتعة لیس مفروضاً علی المسلم أو المسلمة کالصلاة، أو الصیام، إنما هو رخصة شرعیة إلهیة أباحها الله لعباده الراغبین، وشجعهم علیها رسول الله باعتبارها من الطیبات التی أحلها الله للمؤمنین، فقد أخرج مسلم والبخاری فی صحیحهما، کتاب النکاح (واللفظ للبخاری) عن عبد الله بن مسعود

قال: (كنا نغزوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس لنا شئ فقلنا ألا نستخصى، فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثواب إلى أجل معين، ثم قرأ علينا (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [المائدة / ۸۷] لقد أعطى الله سبحانه وتعالى هذه الرخصة لعباده المؤمنين، فإذا لم يحتجها المؤمن فلا أحد يجبره على ممارستها، وهى من قبيل التوسعة على المؤمنين وتضييق دائرة المحرمات، وسد السبل التى تؤدى إلى الحرام. وعملياً فإن المؤمنين بحاجة إلى هذه الرخصة، فقد يغزوا بعضهم فى سبيل الله، ويتركون نساءهم مدة قد تصل إلى بضعة شهور أو سنة، والإنسان ثقيل عليه أن يصبر عن النساء هذه المدة فليس أمامه إلا معاناة الحرمان بما فيه من حرج أو الوقوع بالزنا، فأوجد الله تعالى تشريع نكاح المتعة رأفة ورحمته بالمؤمنين، وتيسيراً لهم ورفعاً للحرج عنهم. وقد يمن الله عليه بولد أو أولاد تكثر بهم الأمة، ويتباهى بعددهم رسول الله يوم القيامة أمام الأمم، ومثله إذا سافر المؤمن لطلب العلم أو ضرب فى الأرض لطلب الرزق وطالت غيبته. وقد تحدث حروب فتحصد الرجال حصداً ويصبح ۴ / ۵ المجتمع نساء فإذا تزوج ۱ / ۵ الناس فإن ۳ / ۵ النساء تعيش حالات مذهلة من الحرمان والمعاناة فيأتى تشريع نكاح المتعة ليساعد فى تخفيف هذه المعاناة، فقد ترزق المرأة التى تتزوج بنكاح المتعة بولد، فيحنو عليها فى كبرها ويرعاها، وتتكرر هذه الحالة فتسهم فى إيجاد حالة من التكامل والتضامن والتعاطف بين فئات من المجتمع. ففى أوروبا مثلاً أكثر من ۴ / ۵ المجتمعات نساء، والديانة المسيحة لا تسمح للرجل إلا بزوجة واحدة فتبقى ۳ / ۵ النساء فى حالة من الضياع والحرمان ويتحولن مع الأيام إلى مصدر مدمر من مصادر فساد المجتمع وتآكله. والخلاصة أن نكاح المتعة رخصة لمن [صفحه ۱۹۶] يضطر لها، وهى رخصة شخصية، بمعنى أن الاضطرار يقرره الشخص الذى يرغب فى ممارسة هذه الرخصة. هذه هى القصة الموضوعية الكاملة للمتعة التى يعدها بعض الناس، جهلاً بها، جريمة. جلسة الحوار التاسعة قال صاحبنا: لقد قرأت أجوبتكم المتعلقة بالمتعة، وهى مقنعة حقيقة، وأنا مدين لك إذ وضحت لى صورة الشيعة والتشيع على حقيقتها، ومن خلال أجوبتكم عن تساؤلاتى، ومن خلال توضيحاتكم تبين أن الأساس الذى قام عليه التشيع أساس شرعى ومنطقى، ويشكل نظرية متماسكة بالفعل، وأى عاقل ينظر للأمور نظرة حيادية سيصل إلى هذه النتيجة. وأريد، الآن، أن أطرح عليك مجموعة متكاملة من التساؤلات وهى: لماذا هذا الاختلاف طالما أن للفريقين ديناً واحداً وكتاباً واحداً ونبياً واحداً، ويمارسون العبادات نفسها؟ وهل هنالك وضع أمثل لا اختلاف فيه، وكيف غرست بذور الاختلاف؟ وهل هنالك بذور للاختلاف فعلاً، وهل تأثرت حركة دخول الناس فى دين الله بهذا الاختلاف؟ وما هى طريق الرشاد، وما هى الآثار المترتبة على تنكب هذا الطريق؟ وهل لأئمة أهل بيت النبوة من جهد لإرشاد المسلمين؟ وما قصة الخلاف الفقهى؟ وأرجو أن تسوق لى نماذج من هذه الخلافات، أليس بالإمكان الرجوع إلى الشرع مجدداً؟ لماذا هزم بيان أهل بيت النبوة وانتصر بيان الخلفاء، وهل هنالك إئتلاف بالرغم من مظاهر الخلاف، فأرجو أن تتلطف بالإجابة عن هذه الأسئلة بما أمكن من الاختصار. [صفحه ۱۹۹]

الاختلافات الفقهية بين شيعة أهل بيت النبوة، و شيعة الخلفاء (أهل السنة)

الوضع الأمثل و بذور الاختلاف

الوضع الأمثل بعد جهاد مرير نجحت دعوة الإسلام، وتمخضت تلك الدعوة عن دولة النبى. تلك الدولة التى وحدت العرب سياسياً لأول مرة فى تاريخهم ونقلتهم من دين الشرك إلى دين الإسلام، واقتنع العرب أو تظاهروا بالاقتناع بأن محمداً نبى ورسول وإمام وقائد، وأنه المرجع الوحيد، وأنه على صلة مستمرة مع الله عن طريق الوحى. فكان المسلمون يعرفون الحكم الشرعى من طريق النبى، والنبى لم يتوقف عن الإعلان بأنه على استعداد للإجابة عن كل سؤال جواباً يقينياً قائماً على الجزم واليقين، لأنه يتبع بالضبط ما يوحى إليه من ربه، وأن الله قد علمه بيان القرآن، وأن القرآن فيه تبيان لكل شئ وكان المسلمون يعملون عقولهم فى ما خفى عليهم من الأحكام الشرعية، حتى إذا ما التقوا مع الرسول عرضوا عليه نتاج عقولهم فيحكم عليه وفق موازين الوحى الإلهى، فيعدل ويبدل ويقوم

هـذا النتاج حتى يتفق تماماً مع ما أوحى إليه. كان بعض المسلمين يتشبث برأيه الشخصى فى مقابلة الوحى، ولكنه كان يضطر دائماً لترك رأيه الشخصى والنزول عند حكم النبى، أو يضطر للتظاهر بذلك. وهكذا تبقى الأمة دائماً ضمن إطار الشرعية والمشروعية الإلهية، وتتبنى أحكاماً إلهية واحدة تتفق مع المقصود الإلهى بلا خلاف ولا اختلاف. فالكل مقتنع أو متظاهر بالاقتناع بأن محمداً هو الأعلم، وهو الأفهم بالدين، وهو الأقرب لله، والمتصل معه بالوحى، وهو الأصلح والأفضل، والأقدر على النطق بالصواب، وهو المؤهل إلهياً للإجابة عن كل سؤال جواباً صائباً، ولا أحد فى المجتمع يجرؤ على القول بعكس ذلك. واعتراضات عمر بن الخطاب وأمثاله الناتجة عن الرأى، سرعان ما تتداعى أمام القناعات العامة بشخصية الرسول وأهليته [صفحه ۲۰۰] التى تشكل المرجع الأوحد للنطق بالصواب وإعلانه. لذلك لم يكن هنالك خلاف ولا اختلاف لأن الجميع كانوا يصدرون عن قول محمد المرجع والإمام والمؤهل الوحيد فى زمانه للنطق بالصواب. فزمان النبى زمان الوفاق التام الذى لا خلاف فيه ولا اختلاف. وقد نطق القرآن الكريم بأن النبى ميت لا محالة، وأن الدين الإسلامى هو دين الله الأوحد، وأن محمداً هو رسول الله خاتم النبيين. لذلك وبأمر من الله أوجد الرسول كوادر فنية ومنهاجاً تعليمياً لاثنى عشر نقياً من أهل بيت النبوة، وسمى الرسول هؤلاء النقباء (الأئمة) وأعلنهم بأمر من ربه أئمة من بعده، يتولى كل واحد منهم الإمامة بنص ممن سبقه، أولهم على بن أبى طالب وآخرهم محمد بن الحسين المهدى. وبين الرسول أن الله تعالى قد أهل الاثنى عشر إماماً للإمامة والمرجعية، ليكون كل واحد منهم فى زمانه هو الأعلم وهو الأفهم بالدين، وهو الأقرب لله ولرسوله، وهو المؤهل للإجابة عن كل سؤال يطرحه أى شخص من مكان المعمورة جواباً يقينياً وصائباً ومتفقاً تماماً مع المقصود الشرعى الإلهى. وحث الرسول الأمة على تنفيذ الأمر الإلهى، وتمكين الأئمة الاثنى عشر من قيادة الدعوة والدولة معاً، لأن الله تعالى أهلهم لذلك، ولم يؤهل لهذا المنصب الخطير سواهم. وزيادة فى التأكيد بين الرسول لأمته أن الهدى لن يدرك إلا بالقرآن وبأئمة أهل بيت النبوة، وأن الضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالاثنين معاً، فالأئمة الكرام قيادة ومرجعية ومستودع العلم الإلهى، ومستودع علم بيان النبى للقرآن، والقرآن بمثابة القانون الأبدى النافذ فى مجتمع الأمة، والأئمة وحدهم هم الذين يعرفون جواب كل مسألة جواباً شرعياً يقينياً، لأن الله أعدهم وأهلهم لذلك، بمعنى أن هنالك واقعاً شرعياً من التكامل بين قيادة أهل بيت النبوة وبين القرآن الكريم، وأن أحدهما بعد النبى لا يغنى عن الآخر. فإذا قبلت الأمة بالقرآن وبيانه قانوناً نافذاً، وبأهل بيت النبوة، قيادة ومرجعية، والتزمت بالاثنين معاً، فلن يكون هنالك هنالك خلاف ولا اختلاف ويصبح الوضع هو الأمثل وهو الأقوم حيث لا خلاف ولا اختلاف. [صفحه ۲۰۱] أسباب الخلاف والاختلاف ۱ - البذرة الأولى: لم يرق هذا الترتيب الإلهى لبطون قريش التى كرهت أن يجمع الهاشميون النبوة والملك، أو الخلافة من بعد النبى على حد تعبير عمر بن الخطاب، لذلك قررت أن تنسف هذا الترتيب الإلهى، خططت لاستبعاد أهل بيت النبوة عن قيادة الأمة، وتجميد جميع النصوص النبوية الشرعية التى أعلنها النبى بأمر من ربه، والتى أعطت أهل بيت النبوة الحق بقيادة الأمة وبالمرجعية معاً. وقررت البطون القرشية، طالما أن النبوة لبنى هاشم لا يشاركهم فيها أحد، أن تجعل القيادة أو خلافة النبى لها تتداولها فى ما بينها ولا يشاركهما فيها أحد من بنى هاشم، فذلك أوفق وأصوب وأهدى من الترتيب الإلهى وأمنع للإجحاف على حد تعبير عمر بن الخطاب، وعلى ذلك اتفق أبناء بطون قريش مهاجرهم وطليقهم إلا من هدى الله، وأخفوا هذا الاتفاق، وانتظروا موت النبى بفارغ الصبر حتى يضعوه موضع التطبيق. كانت هذه الأفكار هى البذرة الأولى من بذور الخلاف والاختلاف بين المسلمين، والسبب الأول لدوام هذا الخلاف والاختلاف [۱۹۶] . ۲ - البذرة الثانية: كما زرعت بطون قريش بذرة الاختلاف الأولى بنقلها للقيادة عن أساسها الشرعى، زرعت أيضاً بذرة الخلاف والاختلاف عندما شككت بأحكام رسول الله، وفرقت بين الرسول المرسل والكتاب المنزل. ولضمان نجاح خطتها الانقلابية أشاعت أن محمداً نبى ورسول من الله بلا شك ولا ريب، لكنه ليس معصوماً، فهو بشر يتكلم فى الغضب والرضى، ويخطئ ويصيب، ويذكر وينسى وله ميوله وأهدافه الشخصية، وله انجذابه الخاص نحو أهل بيته بخاصة ونحو [صفحه ۲۰۲] الهاشميين بعامة، ولا يمكن أن يكون كل ما يقوله من عند الله. وبالتالى فإن دوره قد انتهى باكتمال نزول القرآن، وطالما أن نزول القرآن قد اكتمل، فإن القرآن وحده يكفى ولا داعى لوجود النبى أو غيره،

وبالرجوع لهذا القرآن فإن البطون لا تجد ذكراً لحديث الثقلين، ولا ذكراً للأئمة الاثنى عشر، ولم يتطرق القرآن للولاية من بعد النبى، ولم يذكر القرآن أن علياً بن أبى طالب هو الولى من بعد النبى، ولا ذكر القرآن ذلك الدور المميز الذى يقول محمد إن الله قد اختص به أهل بيت النبوة! هذه الشائعات مع شائعات أخرى إنما بثت للتشكيك بذات الرسول وقوله وفعله وعقله فشقت طريقها إلى أسماع المسلمين وعقولهم وقلوبهم، وجهدت البطون فى نشر هذه الشائعات وصولاً إلى إبطال النصوص النبوية الشرعية التى بينت القرآن وعالجت ظاهرة السلطة والقيادة من بعد النبى. وعند ما مرض النبى مرض الموت واستكملت قيادة البطون استعداداتها لمواجهته قررت أن تعلن شائعاتها علناً، وأن تتبنى رسمياً هذه الشائعات. لذلك، وعندما أراد الرسول أن يكتب توجيهاته النهائية للأمة، تصدى له عمر بن الخطاب وزعماء البطون وقالوا للرسول شخصياً أنه يهجر. ٣ - البذرة الثالثة: وعندما انتشرت شائعات البطون ونجح أبناؤها فى إقامة تحالف مع المنافقين والمرتزقة من الأعراب، قررت أن تستولى على منصب الخلافة بالقوة والتغلب والقهر، وأن تفرض إشاعاتها وتخفى آثار جناياتها. وبيسر بالغ استولت على السلطة، وواجهت المسلمين بأمر واقع، فمن قبل بهذا الأمر نجا وحاز نصيباً من المغانم، ومن عارضه عوقب وطرد من رحمها، ومن مغانم دولتها، وقد يهدد بالقتل كما فعلوا بعلى بن أبى طالب، وقد يشرعوا بحرق بيته على ما فيه كما فعلوا ببيت فاطمة بنت رسول الله!! فإذا كان على بن أبى طالب يهدد بالقتل إن لم يبايع، وبيت بنت الرسول يتعرض للتحريق، فما هى طبيعة الحرمة التى تبقى لغيرهما من معارضى دولة البطون؟! [صفحه ۲۰۳] ۴ - البذرة الرابعة: عندما استولت البطون، بالقوة والتغلب والقهر، على الخلافة من بعد النبى كان أول شئ فعله خلفاؤها الأول أن منعوا رواية أحاديث رسول الله وكتابتها. حتى لقد قام الخليفة الأول بإحراق خمسمئة حديث كتبها بنفسه عن رسول الله، وخطب الناس وحثهم على عدم التحديث عن الرسول لأن الأحاديث تسبب الخلاف والاختلاف بين المسلمين على حد تعبيره. وجاء الخليفة الثانى وعمق قرار منع رواية أحاديث الرسول وكتابتها وأضاف بأن طلب من الناس أن يأتوه بالأحاديث التى كتبوها عن رسول الله ولما جاؤوه بها أمر بتحريقها وحرقت فعلاً، وسار الخليفة الثالث على نهج صاحبيه، وصار منع رواية أحاديث الرسول وكتابتها سنة راشدة! وجد الخلفاء اللاحقون أنفسهم ملزمين باتباعها. ۵ - البذرة الخامسة: غلب معاوية الأمة، واستولى على منصب الخلافة بالتقتيل والتشريد والتنكيل والإرهاب، ومعاوية، بتاريخه وطبيعته، حاقد على البيت الهاشمى بعامة وعلى على بن أبى طالب وذريته بخاصة، وإذا أضفنا إلى هذا تاريخ مقاومة الأمويين للنبى ولدعوته والحروب التى خاضوها ضده يصل الإنسان العادى إلى قناعة بأن الحقد الأموى على على وأهل بيت النبوة وعلى الهاشميين لا دواء له. وقد وضع معاوية يده فى أيدى الخلفاء الأول وألف بين قلبه وقلوبهم، كراهية الجميع لقيادة أهل بيت النبوة بغض النظر عن الأسباب التى يستند إليها كل واحد منهم، ورفع الخلفاء من شأن معاوية وأعدوه ليحمى قناعاتهم من بعد موتهم وليتصدى لخصوم الجميع. وبعد أن أنشب معاوية أظافره الحديدية فى كل عنق الخلافة لم ير ما يوجب التستر فقاد بنفسه حملة وضع الأحاديث على رسول الله وتحريفها واختلاقها وسخر إمكانيات دولة الخلافة وموارادها لتحقيق الغاية من حملته تلك المركزة على محو كل فضل لعلى ولأهل بيت النبوة وللتشكيك بمرجعيتهم وحقهم بالقيادة واختلاق آلاف المرجعيات التى تنافسهم. ولما تجمعت لمعاوية وولاته تلك المرويات الكاذبة، فرض على رعايا دولة الخلافة [صفحه ۲۰۴] حفظها وتصديقها، وجعلها منهاجاً تربوياً وتعليمياً لدولته، ومع الضغط والتكرار صدقها الناس، أو تظاهروا بتصديقها والإيمان بها حتى صار المسلم على يقين بأن مسبة على بن أبى طالب وكره أهل بيت النبوة من الأمور التى تقربه من الله زلفى، وصارت محبة على وأهل بيت النبوة وموالاتهم من جرائم الخيانة العظمى يعاقب مرتكبها بالموت وهدم الدار والتجريد من الحقوق المدنية والسياسية. وهكذا هدم معاوية علناً كافة الأسس التى بناها رسول الله وأقام بدلاً منها أسساً ومبادئاً مناقضة لها تماماً، وانتصرت أحاديث الرسول على تلك المرويات الكاذبة التى رعى معاوية وولاته رواياتها والتى تخدم أهدافه ومطامعه، وتجذر الخلاف والاختلاف بين المسلمين. أما النصوص النبوية الشرعية التى عالجت ظاهرة السلطة والقيادة من بعد النبى فقد اتبع معاوية سنة أسلافه بمنع روايتها وكتابتها وفرض حالة من التعمية عليها، وزاد عنهم بحملته الرهيبة الهادفة إلى محاربتها ونقضها والتشكيك بكل ما فيها وتجنيد كل طاقات دولة الخلافة لخلط الأوراق وتجذير الخلاف والاختلاف،

وجاء الخلفاء من بعد معاوية ليجدوا منهاجاً، تربوياً وتعليمياً مستقراً فآمنوا به صدقوه، وساروا عليه وهم يعتقدون صوابه. لا يصلح العطار ما أفسد الدهر عند ما آلت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز أدرك خطورة ما فعله الذين سبقوه من الخلفاء بفرضهم الخطر على رواية أحاديث الرسول وكتابتها فى الوقت نفسه الذى أباحوا فيه رواية الأساطير والخرافات الإسرائيلية والشركية وكتابتها وتداولها. وقدر عمر بن عبد العزير أنه إذا ما استمر حظر رواية أحاديث الرسول وكتابتها فإن سنة الرسول ستندرس لا محالة، لذلك أمر واليه على المدينة بأن يباشر على الفور بجمع ما تبقى من أحاديث رسول الله وكتابتها. واهتز مجتمع دولة الخلافة وهاجت الأمة وماجت وتساءلت: كيف يجرؤ عمر بن عبد العزيز على فعل ما يتعارض مع سنة أبى بكر وعمر؟ وتعاضد الملأ الرسمى وأجهضوا مشروع الخليفة، وظلت سنة أبى بكر وعمر سارية بفرض استمرار الحظر على رواية أحاديث الرسول وكتابتها [صفحه ۲۰۵] قرابة ۹۵ عاماً. وعندما بدأت حركة العلوم فى العهد العباسى بالاتساع لم تجد دولة الخلافة ما يسوغ استمرار الحظر على رواية أحاديث الرسول وكتابتها، ولكنها لم تأمر ولم تنه. وهكذا بدأ الاهتمام بكتابة أحاديث الرسول [۱۹۷] . [صفحه ۲۰۷]

محاولة لتقديم الإسلام فى جو الخلاف والاختلاف

فيض من الزيف والمشكلات وجد المسلمون أنفسهم أمام مرويات معاوية وولاته التى تحولت بفصل نفوذ دولة البطون إلى منهاج تربوى وتعليمى يتوقف نجاح الفرد والجماعة على استيعابه والإيمان به، أو التظاهر بذلك. ووجد المسلمون أنفسهم سوقاً مفتوحاً لنتاج العقل البشرى من ثقافة وعلم وأدب وقصة وخرافة وأساطير يشق طريقه إلى أسماعهم وقلوبهم بلا قيود ولا حواجز. وكان عليهم أن يتعاملوا مع هذا الفيض من النتاج، وأن يصبغوه بصبغتهم، أو يلبسوه زيهم وعباءتهم!. ووجد المسلمون أنفسهم أمام حالة غريبة وفريدة من نوعها تتمثل فى إباحة رواية كل شئ على الإطلاق وكتابته، باستثناء رواية أحاديث نبيهم الرسول الأعظم وكتابتها! ووجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام فيض من المشكلات والوقائع التى لم يعهدوا مثلها فى حياة الرسول أو حياة الخلفاء الأوليين ولا وجود لنصوص شرعية قادرة على التعامل مع هذه المشكلات والوقائع! فصارت رواية أحاديث الرسول وكتابتها ضرورة ملحة كجزء من محاولة العثور على حلول شرعية أو قانونية لمواجهتها. ولم تكن هذه المهمة يسيرة فأحاديث الرسول كعقد من الحجارة الكريمة، قطعت خيوطه يد عابثة ونثرته فى التيه والرمال. وبعد ۹۵ عاماً اكتشف الذين جاءوا من بعدهم خطورة ما فعله الأولون ثم بدأ اللاحقون بالبحث عن هذه الحجارة الكريمة! واغتنم أعداء الإسلام الفرصة، فأخذوا يختلقون على الرسول الله أحاديثاً ما أنزل الله بها من سلطان لهدم الإسلام بأدواته، فاخترع علم الرواية والدراية، وعلم الجرح والتعديل،.. الخ من تلك العلوم التى تهدف إلى إثبات صدور هذا الحديث أو ذاك عن رسول الله، والتصدى لفيض الرواة الذين انكشفت الأرض عنهم فجأة. متسلحين بالآلية التى نفسها التى أوجدها الصادقون ببحثهم عن [صفحه ۲۰۸] أحاديث الرسول. وكانت دولة البطون على علم بهذا الجهد الذى قام به المخلصون للحصول على ما أمكن الحصول عليه من أحاديث الرسول، ولم تعترض هذا الجهد بل سهلته، ولم يكن لها تحفظ عليه، وانحصر تحفظها بعدم الرواية عن أهل بيت النبوة، وبتجاهل إمام أهل بيت النبوة ما أمكن وفى أحسن الأحوال اعتباره عالماً كمئات الألوف من العلماء الموجودين فوق إقليم دولة البطون وعدم تمييزه من غيره من العلماء! مع أن هذا الإمام هو مستودع العلم اللدنى، وهو الجامع لبيان الرسول لكافة أحكام القرآن، وهو المؤهل للإجابة عن كل سؤال إطلاقاً جواباً قائماً على الجزم واليقين، والسؤال الذى يطرح نفسه هو: هل كان العلماء يعرفون مؤهلات الإمام؟ ولماذا تجاوزوه إن عرفوها؟ لقد أدرك العلماء بالعقل لا بالنقل أهلية إمام أهل بيت النبوة، لقد حاوره العلماء فى كل زمان، وسلم له العاقلون بالإمامة! ولكن إن أعلنوا تسليمهم له، وأشاعوا تميزه وتفرده بالعلوم الإلهية اليقينية. فإن الدولة القائمة ستعد هذا بمثابة تشيع لأهل بيت النبوة، وستقابله بالردع والمحاصرة، وستصب جام غضبها على جميع العلماء الذين يشيعون تفرده وتميزه. وبالتالى ستستعمل دولة البطون نفوذها وتفشل مشروع العلماء الصادقين الهادف إلى تقصى أحاديث الرسول الصحيحة وتدوينها، لذلك رأى العلماء الصادقون أن يتظاهروا بأن إمام أهل بيت النبوة ليس غير عالم من جملة مئات الألوف من العلماء! وقد

تظاهروا بذلک بذلک مع إقرارهم له بالأستاذیة فالإمام جعفر الصادق مثلاً هو أستاذ أبی حنیفة وأصحاب المذاهب الأربعة، وقد أقروا له بالتفوق والتفرد والتمیز من غیر ومع هذا نتیجة لنفوذ الدولة وضغوطها تقدم أبو حنیفة وبقیة أصحاب المذاهب الأربعة فی نظر العامة، وتأخر إمام أهل بیت النبوة وصار المذاهب الأربعة والتمذهب بمذهب الإمام جعفر نقیصة وموضع شبهات، وقد سمی رسول الله الإمام محمد بن علی بالباقر لأنه سیبقر العلوم، وأقر له علماء زمانه بأنه الباقر حقیقة لأنه بقر العلوم وعرف حقیقتها، ومع هذا فإن الإمام محمد الباقر من الناحیة الرسمیة لیس إلا عالم من جملة آلاف العلماء وإذا تعارض قول أی عالم مع قول الإمام محمد الباقر فإن الراجح هو قول العالم لا قول الباقر! [صفحه ۲۰۹] ومع تعمد دولة البطون وأعوانها تجاهل الثقل الأصغر والمرجعیة التی أوجدها الله رسوله، وإصرار الدولة وأعوانها علی صناعة آلاف المرجعیات الموازیة للمرجعیة الإلهیة اختلطت الأوراق وضاعت الحقیقة، وصبغت الأحکام الدینیة بصبغة الظن والتخمین، فلا تجد حکماً علی الإطلاق إلا وتجد حکماً آخر علی النقیض منه. وتدفع الحقیقة الشرعیة دائماً الضریبة. فالعلماء الصادقون یروون الحدیث عن فلان، وهو مجهول، وعن فلان، عن زید وعن عمرو وعن أبی هریرة مثلاً أنه رأی رسول الله یغسل رجلیه فی الوضوء! ویروی العلماء أنفسهم أنهم قد سمعوا الإمام محمد بن علی الباقر یقول عن أبیه علی زین العابدین، عن أبیه الحسین سید شباب أهل الجنة، عن جده علی بن أبی طالب أننا عشنا مع الرسول طوال حیاته المبارکة تحت سقف واحد، وکان یتوضأ أمامنا کل یوم خمس مرات وفی کل مرة من هذه المرات کان یمسح علی رجلیه فی الوضوء ولا یغسلها وکذا أمی فاطمة الزهراء بنت الرسول. ومع هذا یتجاهل العلماء هذا الإجماع من أهل بیت النبوة ویترکون روایتهم ویأخذون بروایة أبی هریرة الذی لم یصحب الرسول أکثر من سنتین ونصف! لماذا؟ لأن أبا هریرة مع دولة البطون وهواه هواها! ولیس لدولة البطون مصلحة بأن یأخذ الناس دینهم عن أهل بیت النبوة، متجاهلین دولة البطون ومؤسساتها علی الحکم الشرعی الذی یبینه أهل بیت النبوة، فالحجاج یعلم أن الحکم الشرعی، فی الوضوء هو مسح الرجلین، ولکنه یفرض علی الناس أن یغسلوا أرجلهم بالوضوء لیخالفوا فعل علی بن أبی طالب العدو اللدود لدولة البطون. ومع استمرار فرض الدول لغسل الرجلین بدلاً من مسحهما، واعتبار هذا الحکم جزءاً من المنهاج التربوی والتعلیمی لدولة البطون تأتی الأجیال اللاحقة وتعتقد أن هذا الحکم هو الحکم الشرعی، وأن مقالة أهل بیت النبوة بالمسح شاذة وبدعة علی حد تعبیر ابن خلدون عنهم! طریق الرشاد کل إمام من أئمة أهل بیت النبوة نادی الأمة فی زمانه قائلاً: (اتبعونی أهدکم سبیل الرشاد)، فعلی ابن أبی طالب باب مدینة العلم اللدنی، والحسن والحسین، [صفحه ۲۱۰] تتلمذا علی ید الرسول ویدعلی وورثا علم النبوة. وورث علمهم علی بن الحسین، وجاء من بعده محمد الباقر فاشتهرت تسمیة الرسول له الباقر لبقرة العلوم وأقر له العلماء بذلک. وجاء من بعده جعفر الصادق فأعلن للباحثین عن الحقائق الشرعیة المجردة قائلاً وبملء فیه: (حدیثی حدیث أبی، وحدیث أبی حدیث جدی، وحدیث جدی حدیث أبیه، وحدیث أبیه حدیث علی بن أبی طالب، وحدیث علی حدیث رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، وحدیث رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قول الله عز وجل) [۱۹۸] وأکد الإمام جعفر الصادق للناس قائلاً: (ما من شئ إلا وفیه کتاب أو سنة) [۱۹۹] وإمام أهل بیت النبوة یعرف الکتاب ومحیط بالسنة، وسئل الإمام موسی بن جعفر أکل شئ فی کتاب الله وسنة رسوله أم تقولون فیه؟ فأجاب الإمام موسی: (بل کل شئ فی کتاب الله وسنة ورسوله) [۲۰۰] وروی عن الإمام موسی الکاظم قوله: (... فإنا إن حدثنا حدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة إما عن الله وعن رسوله فحدث...). بمعنی أن الفرصة کانت دائماً مهیأة أمام المسلمین لیأخذوا أحکام الدین الشرعیة الیقینیة من أئمة أهل بیت النبوة الذین أعدهم الله وأهلهم لهذه الغایة، ولکن دولة البطون وأولیاءها قد أبوا ذلک لأنهم لو فعلوه لأذوا أنفسهم، ولأقروا بمرجعیة أهل بیت النبوة ولانهار تاریخهم وتهاوت شرعیة حکمهم، لذلک ضحوا بالدین الإسلامی لیخفوا آثار أفعالهم ولیضمنوا لأنفسهم الاستمرار بقیادة الأمة وتوجیهها بالقوة وفق مناهجهم التربویة والتعلیمیة التی اخترعوها فسلکوا بالمسلمین الوعر والصعب من الطریق، وترکوا الیسر الإلهی، وکانت النتیجة أن اختفی الجزم والیقین من قاموس الأحکام الشرعیة، وحل محلها الظن والتخمین فلا تجد حکماً فقهیاً فی مسألة إلا وتجد حکماً فی المسألة نفسها یناقضه ویتعارض معه! [صفحه ۲۱۱] کی لا یضیع المسلمون إن أبوا! أمام رفض دولة البطون الاعتراف بشرعیة مرجعیة أهل بیت

النبوة وإصرارها وأوليائها على اختراع آلاف المرجعيات البديلة، وقرن مرجعية أهل بيت النبوة مع هذه المرجعيات ومساواتها بها وحرصاً على مصلحة الإسلام وإنقاذاً لما يمكن إنقاذه من دين الإسلام وضع أئمة أهل بيت النبوة وأولياؤهم سلسلة من القواعد التى ترشد ما أمكن إلى طريق الصواب منها: ۱ - عرض الحديث على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو حديث صحيح وما خالف كتاب الله فهو حديث كذب. ۲ - إن كل حديث قد ورد فى أى كتاب من كتب الحديث مهما تكن وثاقة أصحابها يجب أن يخضعه العلماء للتحقيق والإثبات للتأكيد من وثاقة الرواى وصدقة. ۳ - لا ينبغى على العلماء أن يقبلوا الرواية إلا إذا رواها راو منصف، يتصف بالورع والصدق ومهما يكن مذهبه. ۴ - ليس فى منهج أهل بيت النبوة وشيعتهم ما يوجب تبنى كتاب حديث صحيح بأكمله أو رفضه بأكمله، بل تخضع مفرداته للتحقيق والإثبات العلمى. سعى دولة البطون إلى إجهاض جهود الأئمة التميز والتفرد العلمى، وأهلية أئمة أهل بيت النبوة لتقديم الأحكام الشرعية للناس، كما بينها الرسول، لم تعد خافية على أحد من المسلمين. صحيح أن دولة البطون وأولياءها لا يعترفون بذلك ويقاومونه، ولكن هذه الأمور: التميز والتفرد والأهلية، صارت من قبيل الحقائق الواقعية التى يتعذر على الدولة عدم رؤيتها، ويتعذر عليها طمسها. لذلك اتخذت سلسلة من الإجراءات فى محاولة مكشوفة منها لطمس الحقائق. ومن هذه الإجراءات: ۱ - التعتيم المطلق، فى كل زمان، على كل إمام من أئمة أهل بيت النبوة، واعتباره فى أحسن الأحوال مجرد مسلم أو عالم لا يختلف أمره عن ملايين المسلمين وآلاف العلماء مع غمزه ولمزه والتنفير منه بوسائل الدولة الكثيرة. [صفحه ۲۱۲] ۲ - إظهار إمام أهل بيت النبوة بمظهر الرجل الذى يرمى إلى شق الطاعة وتفريق جماعة المسلمين، ودولة البطون من باب حرصها على وحدة المسلمين ورحمتها بهم، مضطرة إلى اتخاذ التدابير الاحترازية لتحجيمه وسد أبواب الشر التى يمكن أن تفتح عنده وعند أوليائه. ۳ - دس عيون الدولة وجواسيسها من حول الإمام وتكليفهم بالظهور بمظهر شيعته وأوليائه ليحصوا عليه أنفاسه، ويعرفوا حركاته وأساليبه فى الاتصال بشيعته وأوليائه. ويظهر هؤلاء العيون والجواسيس بمظهر شيعة الإمام وأوليائه، حتى إذا اشتهر ذلك بين الناس تولوا مهمة الكذب والتقول عليه واختلاق الأحاديث على لسانه ونسبة الآراء المتطرفة إليه، وذلك لتشكيك الناس به، وتنفيرهم من حولهم، و تكريههم به، طمعاً بتشويه سمعته وسمعة أوليائه، وتنفير الناس منهم للحيلولة بين إمام أهل بيت النبوة وبين هداية الناس إلى الطريق القويم، واطلاعهم على الحكم الشرعى فى كل مسألة. فقد يدعى الجواسيس والعيون أن الإمام يدعى أنه (إله) أو غير ذلك من الادعاءات الكاذبة التى لا هدف لها إلا تنفير المسلمين من أئمة أهل بيت النبوة. ودعمت دولة البطون أكاذيب جواسيسها واختلاقاتهم بمختلف وسائل الإعلام، وألقت فى روع العامة أن هؤلاء الجواسيس شيعة للإمام وهم ينقلون قوله، وبالتالى فإن كفر الإمام وشيعته لا يحتاج إلى إيضاح! رد أئمة أهل بيت النبوة لعن الأئمة الكرام أولئك الجواسيس والعيون الذين جندتهم دولة البطون وكلفتهم بأن يظهروا بمظهر شيعة أهل بيت النبوة لغايات الاختلاق والكذب. فقد لعن الإمام جعفر الصادق أبا الخطاب بن أبى زينب الأجدع وتبرأ منه ومن القائلين بأقواله وتقولاته الكاذبة، ولعن حمزة البربرى، ولعن صائد النهدى، ولعن أبا الجارود ووصفه بأنه أعمى القلب وأعمى البصر، ولعن أبا منصور العجلى، ولعن يزيع بن موسى الحائك ولعن أتباعهم. وأعلن إمام أهل بيت النبوة، فى كل زمان، أن أولئك الجواسيس والعيون ليسوا شيعة وليسوا أولياء لأهل بيت النبوة، إنما هم أعداء. [صفحه ۲۱۳] وكان الإمام يجمع شيعته سراً ويقول لهم: يا معشر شيعة آل محمد، (كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالى. فقال له رجل: جعلت فداك ما الغالى؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله فى أنفسنا، فليس أولئك منا ولسنا منهم، ويلحق بكم التالى، فقال قائل: وما التالى؟ قال: المرتاد يريد الخير ويؤجر عليه). ولما بلغ الإمام جعفر الصادق قول أبى الخطاب، أرسل دمعة، وهو يقول: (يا رب برئت إليك مما ادعى فى الأجدع، خشع لك شعرى وبشرى، عبد لك ابن عبد لك، خاضع ذليل أجل أجل عبد خاضع، خاشع ذليل لربه، صاغر، راغم من ربه، خائف وجل، لى والله رب أعبده، ولا أشرك به شيئا).. وقيل لأبى عبد الله: إن قوماً يزعمون أنكم آلهة! فقال أبو عبد الله: (سمعى وبصرى وبشرى ولحمى ودمى وشعرى من هؤلاء براء وبرئ الله منهم، ما هؤلاء على دينى ولا على دين آبائى، والله لا يجمعنى الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم).. وقال إمام أهل بيت النبوة (... والله ما معنا براءة وما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا يتقرب إلى الله إلا بالطاعة،

فمن كان منكم مطيعاً نفعته ولا يتنا، ومن كان منكم عاصياً لم تنفعه ولا يتنا). ولمواجهة اختلاق الأحاديث، بين الإمام الحقيقة، وأوصى المسلمين قائلاً: (لا تقبلوا علينا حديثاً إلا ما وافق القرآن والسنة). وقال الإمام على بن موسى الرضا: (لا تقبلوا عنى خلاف القرآن، فإنا إن حدثنا حدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة، ما عند الله عند رسوله نحدث..). وعلى الرغم من التعتيم الذى فرضته دولة البطون على أقوال الأئمة وتصريحاتهم إلا أنها وصلت إلى أسماع المسلمين، ولم يعد بوسع عاقل أن يصدق اختلاقات عيون دولة البطون وأكاذيب جواسيسها الذين ادعوا التشيع لغايات هدم التشيع وإطفاء نور أهل بيت النبوة. ومع أن دولة البطون هى التى تولت قيادة موجة الافتراء على الأئمة وتنفير المسلمين منهم وتجذير الخلاف والاختلاف بين أتباعها من جهة، وبين أتباع الأئمة من جهة أخرى، ومع أنها تعرف أن الحق مع الأئمة إلا أنها سخرت [صفحه ۲۱۴] الاختلافات التى أشرفت على إيجادها، وجعلتها ذريعة لحصار الأئمة وحصار أتباعهم، وملاحقة أى عالم من علمائهم، والتحايل على إتلاف كل ما ينتجونه، حتى أن الإمام زين العابدين على بن الحسين، اضطر لإخفاء أدعيته المشهورة بالصحيفة السجادية وهى مجرد أدعية، ومع هذا فإنها لو وقعت بيد دولة البطون وأعوانها لأتلفوها، لأن تلك الدولة كانت تعد كل ما يصدر عن أئمة أهل بيت النبوة وأعوانهم خطراً عليها، وقنابل موقوتة لا تدرى متى تنفجر ولا بمن ستنفجر! فى هذا المناخ تم الاختلاف الفقهى كان الأيسر لدولة البطون وأتباعها وللمسلمين، لو تم أخذ الأحكام الشرعية من مصدرها الصافى اليقينى، المتمثل بأهل بيت النبوة الذين أهلهم الله وأعدهم للأمور الآتية: ۱ - قيادة الأمة. ۲ - حفظ سنة الرسول بفروعها الثلاثة. ۳ - بيان القرآن بياناً قائماً على الجزم واليقين فى كل زمان. ولو فعلوا ذلك، كما أمرهم الله على لسان رسول، لما احتاجوا لأى شئ آخر، ولأخذوا حكم كل شئ من كتاب الله وسنة رسوله بشكل محدد وجازم. لكن، لو فعلت دولة البطون وأعوانها ذلك لأقروا على أنفسهم بأنهم غاصبون للسلطة، وأن أهل بيت النبوة هم أصحاب الحق الشرعى، والشخص أى شخص يفر مما يدينه، لذلك اختارت الدولة وأولياؤها طريق العسر والحرج لها وللمسلمين. ولأن الدولة لا تعرف مواقع الحكم الشرعى فى كتاب الله أو فى سنة رسوله، اخترعت مصادر جديدة كالرأى، والقياس والاستحسان، والمصالح المرسلة، والإجماع. مع أن الحكم الشرعى موجود فى القرآن والسنة، ولكنه خاف على الدولة وأعوانها، ولأنها بحاجة للأحكام لمعالجة ما استجد من وقائع لذلك لجأت إلى هذه المصادر لتلبية حاجاتها من الأحكام. وبعد أن حصلت على حاجاتها من الأحكام من تلك المصادر ألبستها ثوب الإسلام وادعت بأنها شرعية وإسلامية تماماً! مع أنه فى الحق والحقيقة لا يوجد فى الإسلام سوى مصدرين: [صفحه ۲۱۵] كتاب الله وسنة رسوله، والإمام الشرعى فى زمانه هو المؤهل الوحيد والمعد لمعرفة مكان الحكم الشرعى فى هذين المصدرين، وهذا هو سر قوته وشرعيته، وفى الجانب الآخر، أعلن أئمة أهل بيت النبوة وشيعتهم أنه لا يوجد فى الإسلام سوى مصدرين للأحكام فى: كتاب الله وسنة رسوله، وأن إمام أهل بيت النبوة على استعداد، فى كل زمان، لإرشاد الأمة إلى موقع الحكم الشرعى فى القرآن والسنة، لأن القرآن الكريم اشتمل على بيان كل شئ على الإطلاق، وقد تكررت أحاديث الرسول الأعظم بأنه قد ترك الناس على المحجة البيضاء، وشهد المسلمون قاطبة بأن الرسول قد أدى الأمانة كاملة، وبلغ الرسالة، وكفى بالله شهيداً: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً) [المائدة / ۳] ثم إن القوانين الوضعية المعاصرة، فى كل دولة من دول العالم، قد اشتملت على بيان الحكم الوضعى فى هذه الدولة أو تلك، لأى واقعة يمكن أن تقع فى المجتمع، فهل يعقل أن يحيط المشرع الوضعى القاصر بالأمور أكثر من إحاطة الشارع الحكيم الذى وسع كل شئ علماً! النقطة الأولى: وهكذا كان الخلاف فى اعتماد المصادر التى ينبغى أن تؤخذ منها الأحكام، أول خلاف فقهى بين شيعة خلفاء دولة البطون بين شيعة أهل بيت النبوة فالأول يأخذون الحكم من أى مصدر من المصادر بينما الآخرون لا يأخذون إلا الحكم الشرعى ومن كتاب الله وسنة رسوله. والإجماع عند شيعة أهل البيت ليس منشئاً للحكم إنما هو كاشف له. ولا قيمة للإجماع المنشئ للحكم، لأن الحكم الشرعى سابق للحكم الذى أوجده الإجماع بمفهوم شيعة خلفاء البطون، ولأن الحكم الشرعى لم يرق لخلفاء البطون وشيعتهم فقد اخترعوا حكماً بديلاً، وحاولوا إضفاء الشرعية على الحكم البديل سنداً لإجماع غير شرعى، غايته المحددة إبطال الحكم الإلهى الشرعى! والنقطة الثانية: إن دولة البطون وشيعتها فرضوا حضراً على رواية

أحاديث رسول الله وكتابتها طوال ۹۵ عاماً، بين حضر كلى وحضر جزئى، وعندما جاء معاوية قاد بنفسه وولاته حملة وضع الأحاديث على رسول الله فى النواحى [صفحه ۲۱۶] الشخصية والسياسية، واختلاف أحاديث للتشكيك بالنصوص النبوية الشرعية التى أعلنها الرسول. وجعل معاوية وأركان دولة البطون من هذه النصوص الموضوعة والمختلفة منهاجاً تربوياً وتعليمياً لرعية دولتهم، ثم تبنتها الأجيال اللاحقة معتقدة صحتها. ونتيجة هذا كله اختلطت الأوراق اختلاطاً عجيباً وضاعت الحقيقة بين الركام وصار الوصول إليها من أصعب الأمور وأكثرها تعقيداً! وقد وضع أولياء دولة البطون مجموعة من القواعد والضوابط لمعرفة الحديث الصحيح من الحديث المكذوب، وقسموا الحديث نفسه إلى مراتب، وكل طائفة وضعت قواعدها وشروطها الخاصة وتولد عن ذلك الاختلاف فى تقدير المرويات، فما يكون منها صحيحاً عند طائفة قد يكون غير صحيح عند الطائفة الأخرى، وقد يكون من الرواة موضع ثقة عند طائفة فقد لا يكون ثقة عند الطائفة الأخرى. وتعددت مراتب التقدير بتعدد الطوائف والمرجعيات، وزادت الأوراق اختلاطاً. وفى هذا المناخ جرى تخريج الأحكام من المصادر الصحيحة وغير الصحيحة وتم الاختلاف فى المصادر مثلما تم الاختلاف فى قبول الروايات. ونشأت حالة من التعارض عجيبة، وحدث فيض بالأحكام مما مكن دولة البطون من ترجيح الأحكام التى تتلاءم مع ميولها وهواها. ومحاولة منها للسيطرة على مقاليد الأمور اختارت أربعة من العلماء واعتبرتهم أصحاب مذاهبها الرسمية، وحرمت على أى مواطن من رعاياها أن يتمذهب بغير هذه المذاهب، حتى أنها لم تقبل رسمياً شهادة أى مسلم إن لم يكن متمذهباً بأحد المذاهب الأربعة. وقضت هذه الدولة بقرارها هذا على كافة أصحاب المذاهب والتوجهات الفقهية أو حجمتهم عملياً، وسمى كل مذهب من المذاهب التى اعتمدتها الدولة باسم صاحبه، فقيل مذهب الأحناف نسبة إلى أبى حنيفة ومذهب الشافعية نسبة إلى الشافعى.. الخ. لم تعر الدولة أى اهتمام لمذهب أهل بيت النبوة الذى سمى بالمذهب الجعفرى نسبة إلى الإمام جعفر الصادق الذى عاصر هذه التحولات والتسميات، وكان من الممكن أن يتلاشى هذا المذهب كما تلاشت مئات المذاهب أمام قرار دولة البطون، ولكنه بقى ثابتاً. [صفحه ۲۱۷] صحيح أن الدولة نجحت فى إثارة الشكوك حوله وتنفير العامة منه عملاً بخطها العام الرامى إلى استبعاد أهل بيت النبوة واستبعاد كل ما يصدر منهم، والحيلولة بينهم وبين المسلمين إلا أنها لم تنجح فى القضاء عليه. ومع أن دولة البطون سقطت إلا أن الآثار المدمرة لمناهجها ما زالت تعمل حتى الآن. وما زال العامة يعتقدون أن تلك المناهج التى وصلتهم بالوراثة صحيحة! وحديثاً، ومع تنور بعض العقول من أتباع خلفاء دولة البطون جرت محاولات جريئة للتشكيك بشرعية إجراءات دولة البطون فقد سئل شيخ الأزهر، المرحوم محمود شلتوت، إن كان واجباً على المسلم أن يقلد أحد المذاهب الأربعة، وإن كان حراماً تقليد مذهب الشيعة الإمامية (الجعفرى) أو المذهب الزيدى (الشيعة الزيدية). فأجاب شيع الأزهر: (إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه مذهباً معيناً بل نقول: إن لكل مسلم الحق فى أن يقلد، بادئ ذى بدء، أى مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمدونة أحكامها فى كتبها الخاصة. ولمن قلد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره، ولا حرج عليه فى شئ من ذلك). وأضاف شيخ الأزهر: (ومذهب الجعفرية، المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشر، مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة فينبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب فالكل مجتهدون، مقبولون عند الله، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه فى فقههم، ولا فرق فى ذلك بين العبادات والمعاملات). وجاء شيخ الأزهر محمد محمد الفحام ونوه بفتوى شيخ الأزهر السابق محمود شلتوت، وعبر عن ذلك بقوله: (ورحم الله الشيخ شلتوت الذى التفت إلى هذا المعنى الكريم فخلد فى فتواه الصريحة الشجاعة). وقد أصاب الغمام بقوله: (فخلد فى فتواه الشجاعة) لأنه لم يكن بإمكان أى مسلم أن يجرؤ على إعلان ما [صفحه ۲۱۸] أعلنه الشيخ شلتوت، لأن العامة تعتقد أن ما فعله الخلفاء وأولياؤهم هو عين ما فعله الرسول! ومع خطورة هذه الفتوى وعقلانيتها وصدقها وقدرتها الخارقة على الوصول إلى القلوب عمد أولياء دولة البطون إلى التعتيم عليها والتعامل معها كأنها غير موجودة وغير صادرة عن شيخ الأزهر. وطالبوا بفتح باب الاجتهاد الذى لم يغلقه الله ولا رسوله إنما أغلقه خلفاء دولة البطون وأولياؤهم ولكنه اجتهاد على شاكلة الاجتهاد الذى سلكه الخلفاء

وأولياؤهم والذى يخدم تاريخهم وغاياتهم من اختلاق مصطلح الاجتهاد. [صفحه ۲۱۹]

نماذج من الخلاف والاختلاف بين المسلمين

۱ – الاختلاف السياسى أجمع خلفاء دولة البطون وشيعتهم (أهل السنة) على أن رسول الله انتقل إلى جوار ربه، وترك أمته ولا راعى لها من بعده، فهو لم يستخلف، ولم يحدد من سيخلفه، ولم يصدر عنه أى نص لتحديد خليفته من بعده! وأنه صلى الله عليه وآله وسلم، قد خلى على الناس أمرهم! وأجمع أهل بيت النبوة وشيعتهم والباحثون المحايدون من المسلمين على أن رسول الله استخلف علياً بن أبى طالب، وعينه بأمر من ربه إماماً ووليا وخليفة من بعده ومرجعاً للمسلمين، ولكن بطون قريش ال ۲۳ التى اتحدت ضد النبى وقاومته و أجبرته على الهجرة ثم حاربته حتى هزمها عادت واتحدت ضد أهل بيت النبوة. والهاشميين بعامة وضد على بن أبى طالب وذريته بخاصة لتحول بينهم وبين حقهم فى خلافة النبى [۲۰۱] . معنى الولى أجمع خلفاء دولة البطون وشيعتهم (أهل السنة) وأجمع أهل بيت النبوة وشيعتهم على أن رسول الله قد قال لعلى بن أبى طالب حال حياته (أنت وليى فى الدنيا والآخرة، وأنت ولى كل مؤمن ومؤمنة، وأنت ولى المؤمنين من بعدى، ومن كنت وليه فهذا على وليه، ومن كنت مولاه فهذا على مولاه، وخاطب المسلمين قائلاً: إنه وليكم من بعدى، ولكنهم اختلفوا من بعد هذا الإجماع فى المراد من (الولى): ۱ – قال خلفاء دولة البطون وشيعتهم (أهل السنة) إن الرسول لم يقصد من كلمة الولى الحاكم أو الإمام أو الخليفة أو المرجع، إنما قصد بهذه الكلمة المحب أو الناصر! [صفحه ۲۲۰] ۲ – أما أهل بيت النبوة وشيعتهم فيؤكدون أن الولاية تعنى الإمامة والخلافة والمرجعية والقيادة من بعد النبى، ويفهم هذا من القرآن بأن الولى هو الأولى من غيره، ويفهم هذا بالعقل، فمن غير المعقول أن يجمع الرسول المسلمين فى غدير خم فى الرمضاء، ولأمر خطير ليعلن لهم أن علياً بن أبى طالب محب وناصر! ويفهم هذا من النصوص الأخرى كقوله لعلى: (أنت منى بمنزلة هارون من موسى)، وقوله: (إن هذا أخى وخليفتى ووصيى فيكم من بعدى)، وقوله: (هذا أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين).. الخ. وقد أجمع أهل بيت النبوة وشيعتهم على صحة هذه الأحاديث، وأجمع على صحتها الباحثون المحايدون من شيعة الخلفاء، وروى الكثير منها أصحاب الصحاح. ومن استعراض التاريخ الجهادى لعلى بن أبى طالب ودوره البارز فى مقاومة الشرك ومحاربته، ومن استعراض قدرات الإمام على ومواهبه العلمية الخارقة لا يبقى أدنى شك بقصد الرسول من كلمة ولى [۲۰۲] . وشهدوا على أنفسهم إذا كان الرسول لم يستخلف، فلم استخلف خلفاء البطون؟ ولماذا لم يقتدوا بالرسول الأعظم؟ أليس فعل الرسول سنة؟ ومن يدلنى على خليفة واحد قد مات من دون أن يعهد بالخلافة لمن يأتى بعده؟! لقد وصف عبد الله بن عمر لأبيه عمر بن الخطاب موت الخليفة من دون تعيين من يخلفه بأنه تفريط وتضييع للإمامة! ووصفت السيدة عائشة هذه الحالة بأنها همالة، ووصفها معاوية بأنها كمن يترك نعاجه ولا راعى لها. وأجمع الخلفاء على أن الحكمة من العهد تتمثل فى تجنيب الأمة الخلاف والاختلاف، وهى رحمة بالمؤمنين وإضفاء الاستقرار على مؤسسة الخلافة! فهل يكون الخلفاء والنساء والعامة من الناس أبعد نظراً وأرحم بالأمة، وأقدر على [صفحه ۲۲۱] استقراء الغيب من رسول الله؟ (ما لكم كيف تحكمون – أم لكم كتاب فيه تدرسون – إن لكم فيه لما تخيرون) [القلم / ۳۶ – ۳۸]! أليس التنازع على رئاسة المسلمين هو منبع كل خلاف واختلاف؟ وهل يعقل أن يبين الرسول للناس كيف يتبولون، ويبين لهم كل شئ، ويتركهم على المحجة البيضاء ويغفل أهم شئ وهو رئاسة المسلمين من بعده؟ لو سلم شيعة الخلفاء بذلك، لأقروا وشهدوا على أنفسهم بأن الخلفاء قد أخطأوا حتماً، وفعلوا ما لا ينبغى لهم فعله وعقول شيعة الخلفاء تستبعد عن الخلفاء كل خطأ ونقيصة. والبديل الآخر هو الاستمرار بالتستر واختلاق الأعذار ولو على حساب الدين والحقيقة الشرعية والعقلية، ولسان حالهم يقول: (لينهدم الإسلام على رؤوس معتنقيه وليبقى الخلفاء معصومين بحرز الله، وماذا يبقى من الدين إذا كان فعل الخلفاء خطأ. تلك أمانيهم! (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) [البقرة / ۷۹]. الشيعة يصدقون أهل بيت محمد وبقدرة قادر صار شيعة أهل بيت النبوة فئة مجرمة! لأنهم صدقوا أهل

بيت محمد وآمنوا بوجود نص على من يخلف النبى بعد موته، ولأنهم آمنوا بأن أهل بيت النبوة هم الأولى بالنبى، ولأنهم أحبوا أهل بيت النبوة ووالوهم ولم يوالوا خليفة بطون قريش، ولأنهم فسروا مصطلح (الولى) بأنه يعنى الإمام أو القائد، أو المرجع أو الخليفة من بعد النبى، ولأنهم الشيعة استوعبوا حجة أهل بين النبوة، ولم يستوعبوا حجة خليفة البطون. لكل هذه الأسباب جن جنون خلفاء البطون وشيعتهم، واعتبروا هذا الموقف المناقض لموقفهم عملاً عدائياً موجهاً ضدهم، ومحاولة مكشوفة لتفريق كلمة المسلمين وإجماعهم الذى انعقد على خلفاء البطون، ونقضاً للأعراف والسوابق الدستورية التى اخترعها هؤلاء وشيعتهم، والتى استقرت بنفوذ الدولة، وشعر المسلمون أنها قدر لا مفر منه. لكل هذا عد شيعة أهل بيت النبوة فئة مجرمة [صفحه ۲۲۲] بحق الله، وبحق خليفة البطون، وبحق الأمة المسلمة! وسخرت موارد دولة الخلافة وإعلامها ونفوذها لإثبات إجرام شيعة أهل بيت النبوة وكفرهم، وتشويه سمعتهم، واختلاق الأكاذيب عليهم، وترويج الشائعات ضدهم. ومع الأيام صدقت رعية الخليفة كل ما هو مختلق، ضد الشيعة، وكذبت كل ما هو صحيح عنها! وقد غالت شيعة خلفاء البطون مغالاة كبيرة، وتطرفت فى معاملتها لأهل بيت النبوة وشيعتهم، فاستحلوا دماءهم لأتفه الأسباب وصادروا أموالهم، وجردوهم من حقوقهم المدنية والسياسية، وحرموا تزويجهم أو الزواج منهم، وحرموا إطعامهم أو أكل طعامهم، وعاملوهم بمنتهى الهمجية والقسوة، بشكل لا يجوز أن يعامل به الكفرة وهم يتلون كتاب الله، ويؤمنون بالله، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وبالآخرة هم موقنون. وقد فعلت شيعة الخلفاء كل ذلك بإخوانهم المسلمين من شيعة أهل بيت النبوة فى الوقت الذى يفتح فيه الخلفاء وشيعتهم صدورهم وقصورهم وبيوتهم لليهود والنصارى والمجوس، تحت شعار أهل الذمة وسماحة الإسلام! مع أن الخلاف بين مسلمى شيعة الخلفاء (أهل السنة) ومسلمى شيعة أهل بيت النبوة (الشيعة) ليس فى ظاهره وباطنه أكثر من خلاف فى فهم الأحكام الشرعية! ولا يسوغ هذا الخلاف ذلك الحجم الهائل من الضغوط والمعاناة التى أو جدتها دولة البطون لأهل بيت النبوة وشيعتهم. ۲ - الاختلاف فى العبادات ۱ - الوضوء: أجمع المسلمون على غسل الوجه واليدين إلى المرفقين ومسح الرأس، واختلفوا على الرجلين. أ - شيعة الخلفاء (أهل السنة)، بما فيهم المذاهب الأربعة، يرون أن غسل الرجلين واجب مفروض على التعيين، وبعضهم كالحسن البصرى وابن جرير الطبرى يرى أن المكلف مخير بين الغسل والمسح. ب - أما الشيعة الإمامية التى تمثل التشيع فى أنقى صوره فهى ترى أن مسح الرجلين فرض معين. [صفحه ۲۲۳] والثابت عن الرسول الأعظم بأنه لا صلاة من دون وضوء والمجمع عليه أن غسل الرجلين أو مسحهما من فرائض الصلاة، وأن الوضوء من العبادات، التى ينبغى أن يأتى بها المكلف على الوجه الذى أمر به الشارع الحكيم. فإذا صح فهم شيعة الخلفاء بأن الفرض هو غسل الرجلين لا مسحهما فإن صلاة أهل بيت النبوة وشيعتهم باطلة ومعدومة لأنهم لا يغسلون أرجلهم بل يمسحون عليها!! كذلك وإن صح فهم أهل بيت النبوة وشيعتهم بأن الفرض هو مسح الرجلين لا غسلهما فإن صلاة الخلفاء وشيعتهم باطلة ومعدومة لأنهم لا يمسحون الرجلين كما أمرهم الله بل يغسلونهما! الرجوع إلى الشرع مجدداً أ - القرآن الكريم: قال تعالى، فى سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين..) [المائدة / ۶]. فالوجوه والأيدى منصوبة ولا خلاف على وجوب غسلها، و (الرؤوس) مجرورة ولا خلاف على مسحها. والخلاف ينحصر بالأرجل. ظاهر القرآن وقراءاته قال الرازى: قرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمر وعاصم (وأرجلكم) بالجر، فالأرجل معطوفة على الرؤوس حسب هذه القراءة. وقال أيضاً: وقرأ نافع وابن عامر وعاصم (وأرجلكم) بالنصب. فجر كلمة (وأرجلكم) قراءة معتمدة ونصب كلمة (أرجلكم) قراءة معتمدة أيضاً. وجر الأرجل عطفاً على الرؤوس أولى من عطفها على الوجوه والأيدى لأن بين الأرجل والوجوه والأيدى كلمة (برؤوسكم)، وهى حائلة ومانعة للعطف، ومن غير المعقول لغة ومنطقاً القفز عن الرؤوس المجرورة بالإجماع وعطف الأرجل على الوجوه والأيدى! إذ لو جاز ذلك لكانت الرؤوس أولى بالنصب لقربها من الأيدى والأرجل! فظاهر القرآن المسح على الرجلين لا غسلهما، سواء أقرئت على الجر أو على النصب. [صفحه ۲۲۴] ب - بيان النبى: من المهام الأساسية لرسول الله يبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم وقد فعل، فبين الحكم للمسلمين قاطبة، وبينه لأهل بيت النبوة بخاصة. ومن المسلم به أن الرسول كان يسكن فى جانب من المسجد، ويسكن معه فى منزله على بن أبى طالب وفاطمة الزهراء والحسن

والحسين عليهم السلام، وقد جرت العادة أن يتوضأ الرسول فى بيته ويذهب إلى المسجد طاهراً وجاهزاً للصلاة وكان أهل البيت يتوضؤون معه ويصلون معه لأنه كان يوقظهم لأداء الصلاة. فمعنى ذلك أن أهل البيت النبوة كانوا يشاهدون النبى وهو يتوضأ خمس مرات فى اليوم الواحد أو مرة واحدة على الأقل يومياً طوال حياتهم مع النبى وحتى انتقل إلى جوار ربه وهذه مدة كافية ليستوعب أناس فى قمة الوعى الدينى كعلى والحسن والحسين أحكام الوضوء! فأيهما أولى بالتصديق أهل بيت النبوة الذين سكنوا مع النبى طوال حياته وشاهدوه يومياً وهو يتوضأ أم أى شخص آخر رأى الرسول مرة أو مرتين أو ثلاثة وهو يتوضأ؟ ما لكم كيف تحكمون؟ فإذا أضفنا إلى هذا أن أهل بيت النبوة هم أحد الثقلين وأن الهدى لا يدرك إلا بهما، والضلالة لا يمكن تجنبهما إلا بالتمسك بهما معاً، وأنهم قد مضوا على المسح على الرجلين لا غسلهما، لن يبقى أدنى شك فى أن الحكم الشرعى هو مسح الرجلين لا غسلهما، ومثل هذا يقال فى الصلاة وغيرها من أحكام العبادات. والأحاديث التى وردت بغسل الرجلين أحاديث لا- يمكن الركون إلى تخصيص ظاهر القرآن بها. لماذا هزم بيان أهل بيت النبوة وانتصر بيان الخلفاء؟ فى الوضوء، فى هيئة الصلاة، فى صلاة الجنازة، فى الأذان فى غيرها من الأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات، وجد الخلفاء أنفسهم أمام أهل بيت النبوة كمرجع يقينى لكافة الأحكام الشرعية، فإذا سلم خلفاء البطون بكل ما يقوله هؤلاء فإنهم يقرون ضمناً بمرجعيتهم، عندئذ يشهدون على أنفسهم ضمناً بأنهم قد غصبوهم حقهم، ويثبتون أنهم مراجع مثلهم وزيادة. وليرغموا أنوف أئمة أهل بيت النبوة وشيعتهم اخترعوا أو إن شئت فقل اجتهدوا، أحكاماً من عندهم وقدروا أن الرسول لو كان حياً لأقرها، وبعد أن أوجدوا هذه الاجتهادات فرضوها بسلطة [صفحه ۲۲۵] الدولة ونفوذها وألزموا الناس بها، فكان عسيراً على المسلم أن يمسح على رجليه فى الوقت الذى يرى فيه الخليفة وأركان دولته يغسلون أرجلهم! فأول تهمة توجه إلى ذلك المسلم هى اقتداؤه بعلى وأهل بيت النبوة وموالاته لهم، وخروجه على الخليفة مع ما يستتبع هذه التهمة من آثار قد تؤدى إلى قتل هذا المسلم بسبب هذا الجرم، فصارت اجتهادات الخلفاء وشيعتهم منهاجاً، تربوياً وتعليمياً مفروضاً بقوة الدولة. وعند ما خفت وطأة حكم الخلفاء وبعد مئات السنين وجد الناس أنفسهم أمام روايتين. رواية رسمية عمل بها الخلفاء وأكثرية المسلمين مئات السنين، ورواية عن أهل بيت النبوة لم يعمل بها إلا أهل البيت وشيعتهم القلة فاعتقد الناس أن الحق مع الخليفة والأكثرية التى كانت تؤيده رغبة أو رهبة! تلك هى القصة بكل فصولها. ۳ - الاختلاف فى الاقتصاد السياسى هنالك خلافات فى الاقتصاد السياسى بين أهل بيت النبوة وشيعتهم من جهة وبين خلفاء البطون وشيعتهم (أهل السنة) من جهة أخرى نذكر منها، على سبيل المثال: أ - التسوية والتمييز فى العطاء المالى: الرسول لا ينطق عن الهوى، ويتبع ما يوحى إليه، وطوال حياته المباركة وهو يقسم المال بين الناس بالسوية لا- فرق بين مولى وصريح، لأن الله تعالى أمره بذلك، ولأن التسوية بالعطاء هى الأصوب فحاجات الناس الأساسية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ونكاح متشابهة، ولأنها خطوة على طريق تذويب الفوارق الاقتصادية بين الناس، وتجنب نشوء الطبقات. وقد مضى الرسول على سنته طوال حياته، وجاء الخليفة الأول فاتبع سنة الرسول، وعند ما جاء الخليفة الثانى اتبع سنة الرسول آونة وجيزة من حكمه، ثم خطر له أن التسوية بالعطاء عمل غير مناسب، وغير عادل والأفضل حسب رأيه أن يعطى الناس حسب منازلهم، فمن غير العدل حسب رأيه أن يعطى رجلاً- من قريش المبلغ نفسه الذى يعطيه لرجل من الموالى! ومن غير المعقول برأيه أن يعطى عثمان بن عفان أو طلحة أو الزبير المقدار نفسه الذى يعطيه لرجل من عامة [صفحه ۲۲۶] البطون!! ومن غير الإنصاف، حسب رأيه، أن يعطى عائشة زوجة الرسول، وابنة أبى بكر وحفصة زوجة الرسول وابنة عمر المقدار نفسه الذى يعطيه لكل واحدة من زوجات الرسول الأخريات، فأعطى كل واحدة من زوجات الرسول عشرة آلاف وأعطى كلًا من حفصة وعائشة اثنى عشر ألفاً مع أنهن كلهن زوجات للرسول! ومضى الرجل فى خطته وهو يعتقد أنها خير من خطة رسول الله! وصفقت له جموع المسلمين، أو هكذا تظاهرت، ولم تمض سنوات معدودة على تنفيذ هذه الخطة العجيبة حتى وجد النظام الطبقى فى أبشع صورة، فطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من خاصة الخليفة صاروا من أصحاب الملايين! والملايين من فقراء المسلمين لا يجدون حتى ثمن رغيف الخبز. وأدرك الخليفة النتائج المدمرة لخطته التى حسبها بالأمس أفضل من سنة رسول الله فقال: (لئن عشت مقبلًا لأتبعن سنة رسول

الله وصاحبه) [۲۰۳] ومات الرجل ولم يعش مقبلاً واندثرت سنة الرسول وعاش رأى الخليفة وأصبح السنة البديلة لسنة الرسول! والخلاف ينحصر فى ما يأتى: ۱ - أهل بيت النبوة وشيعتهم يتمسكون بسنة الرسول التى تساوى بين الناس بالعطاء، ويؤمنون بأن الخليفة الثانى أخطأ يوم عطل سنة الرسول وأحل رأيه الشخصى محلها. ۲ - والخلفاء وشيعتهم (أهل السنة) يأخذون على أهل البيت وشيعتهم فضاضتهم بالقول إن الخليفة قد أخطأ لأن الخليفة صحابى، وأمير المؤمنين، وهو أجل وأرفع من أن يتعمد الخطأ، وهو فى الحقيقة مجتهد ومأجور على مخالفته لسنة رسول الله، ومن واجب الرعية المسلمة أن تبقى وفية لاجتهاده لأنه انتقل إلى جوار ربه ولم يلغ اجتهاده! وعلى هذا الأساس استمر خلفاء دولة البطون باتباع رأى الخليفة والتصرف بالمال العام حسب رأيهم وتقديراتهم الخاصة بأن الخليفة يعطيهم الحرية باستغلال المال العام لتأليف القلوب حولهم، واصطناع الأوفياء لدولتهم! [صفحه ۲۲۷] هذه هى طبيعة الخلاف بين أهل بيت النبوة وشيعتهم وبين خلفاء البطون وشيعتهم (أهل السنة) [۲۰۴] . ب - الخمس المخصص لذوى القربى: فى آية محكمة جعل الله لأقرباء النبى نصيباً دائماً من الأنفال، وبين النبى هذا النصيب فأعطاه لذوى قرباه كما أمره الله طوال حياته المباركة كإمام رئيس للدولة النبوية الإيمانية. أما لماذا خصص الله هذا النصيب لذوى قربى نبيه فعلمه عند الله يفعل ما يشاء وما تقتضى حكمته، والجواب عن هذا السؤال هو الجواب نفسه عن السؤال التالى: لماذا اختار محمداً للنبوة والرسالة ولم يختر عمراً أو زيداً من الناس؟ وبالاستقراء نجد أنه تعالى قد حرم الصدقة على أهل بيت النبوة، فهذا حرام عليهم لا يجوز لهم أن يأخذوها، وعلى ذلك أجمعت الأمة، والصدقة حلال لكل أفراد الأمة بمن فيهم خلفاء البطون، ولأن أهل البيت ثقل والقرآن ثقل آخر ولتجذير التميز الشرعى لقيادة الأمة المتمثلة بأهل بيت النبوة وليكفيهم حاجاتهم الحياتية ويصونهم عن تحكم الفئة المتغلبة جعل الله لهم حقاً دينياً وموروداً ثابتاً يعتاشون منه طوال الحياة هم وذرياتهم. وعلى ذلك مضت سنة الرسول. ولما استولت البطون على منصب الخلافة من بعد وفاة النبى، ورأى أركان دولتها معارضة أهل بيت النبوة لخلافتها، وجهرهم بالقول بأنهم الأحق بالنبى حياً وميتاً، عندئذ أصدر الخليفة الأول بعد التشاور مع أركانه سلسلة من القرارات الاقتصادية، صادر بموجبها كافة المنح التى أعطاها رسول الله لأهل البيت حال حياته، وحرم أهل البيت من تركة الرسول، وفوق ذلك قرر عدم إعطاء أهل البيت حقهم بالخمس الوارد فى آية محكمة. والخلاف ينحصر فى ما يأتى: ۱ - أهل بيت النبوة وشيعتهم يؤمنون بأن حق أهل البيت بالخمس حق إلهى مخصص لهم فى آية محكمة، وقد جرت سنة النبى على تثبيت هذا الحق وبيانه، ولا يملك أى إنسان على الإطلاق أن يصادره، ومصادرته بغى وعدوان وانتهاك لحرمة أهل بيت النبوة. [صفحه ۲۲۸] ۲ - خلفاء البطون وشيعتهم يرون أن كل بطون قريش هى قرابة للنبى، و الهاشميون وبنو المطلب الذين كانوا يأخذون الخمس زمن الرسول ما هما إلا بطنان من بطون قريش ال ۲۳، وقد ميزهما الرسول حال حياته وحرم بقية البطون مع أنهم من ذوى قرباه أيضاً وطالما أن الرسول قد مات فمن حق الخليفة أن يتمتع بصلاحيات الرسول المالية وأن يعيد التوازن بين البطون. والخليفة هنا مجتهد ومأجور لمخالفته للآية المحكمة ولسنة الرسول وبيانه لهذه الآية! ۴ - الاختلاف فى الميراث النبوى أ - أهل بيت النبوة وشيعتهم يرون أن أهل البيت أحق بميراث النبى، لأن النبى إنسان مسلم على الأقل، له ورثة شرعيون وعندما يموت المسلم تنتقل تركته إلى ورثته وتقسم بينهم حسب الشرع المفصل فى القرآن الكريم (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) [الأنفال / ۷۵] ولا تملك أية سلطة فى الأرض حق مصادرة تركة النبى وممتلكاته الشخصية بعد وفاته لأنها حق خالص للورثة، خاصة وأن الميت والورثة على دين واحد! ب - خلفاء البطون وشيعتهم (أهل السنة) يرون أن أبا بكر، الخليفة الأول، هو الأولى بتركة النبى وهو وارثه الوحيد، لأنه صديقه الشخصى، ونسيبه، فزوج الرسول عائشة هى ابنة أبى بكر ولأنه الخليفة من بعد النبى، ثم إنه من غير الممكن أن تسمح دولة البطون بأن تؤول أموال الرسول إلى ورثته لأنهم سيعملون على استغلال هذه الأموال فى تأليف قلوب الناس حولهم، ويزعزعون استقرار دولة البطون، فمن باب سد الذرائع فلا حرج على الخليفة لو صادر تركة الرسول وحرم الورثة منها! خاصة وأن الخليفة قد أبدى استعداده ليقدم الطعام والملبس لأهل بيت النبوة!! ثم إن الخليفة مجتهد ومأجور لأنه صادر تركة الرسول وحرم الورثة منها! لأن الخليفة أمير المؤمنين وله الحق - برأيهم - بالتصرف على الوجه الذى يراه مناسباً [۲۰۵] . [صفحه ۲۲۹] هذه نماذج

من طبیعة الخلافات بین أهل بیت النبوة وشیعتهم (أهل الشیعة)، وبین خلفاء البطون وشیعتهم (أهل السنة). فالخلیفة یقرر قراراً، أی قرار، أو یجتهد اجتهاداً، أی اجتهاد، فیأتی أهل بیت النبوة ویقولون للخلیفة، من باب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، ومن قبیل القیام بمسؤولیتهم الدینیة: (إن الحکم الشرعی واضح وهو کذا، واجتهادک أیها الخلیفة مناقض للشرع! فاتق الله والتزم بشرعه) فیجیب الخلیفة. إن الشرع ما أمرت وقلت ولیس ما ذکرتم، ویأمر بوضع قراره أو اجتهاده موضع التطبیق، ویصبح هذا القرار أو الاجتهاد نافذاً بقوة الدولة ونفوذها شاء الناس أم أبوا، وافق الشرع أم خالف فهو مدعوم بقوة الدولة. عندئذ، وبقوة الدولة ونفوذها، أو بحکم العادة والأرث، تقول شیعة الخلفاء: صدق الخلیفة! وتسلط مختلف وسائل الإعلام التی تملکها الدولة لإبراز محاسن هذا القرار والتعتیم علی بیان أهل بیت النبوة وتصدیق شیعتهم لهم، أو تشویهه، وإظهاره بمظهر المحاولة المکشوفة لزعزعة استقرار الدولة وإثارة الفتنة، وتفریق کلمة المسلمین التی اتحدت فی ظلال حکم الخلیفة، وهدم الإسلام، إلی آخره من تلک التهم الخطیرة التی تشیر العامة وتجندهم تحت إمرة الخلیفة وأعوانه، وتغرس فی قلوبهم الحقد والکراهیة لشیعة أهل بیت النبوة، باعتبارها الفئة الموجهة لها تلک التهم الخطیرة! ومع سقوط دولة الخلافة، ورثت العامة التهم، وبقدرة قادر حولت االعامة التهم إلی أحکام وعاملت الشیعة علی أساس أنها محکومة بحکم مبرم. الائتلاف بالرغم من الخلاف نتیجة طبیعیة لموقف البطون من أهل بیت النبوة وشیعتهم تکون عملیاً قانون نافذ وغیر معلن مفاده أن الخلفاء وشیعتهم یتبنون بالضرورة حکماً یناقض الحکم الذی تبناه أهل بیت النبوة وشیعتهم، لأن الخلفاء وأعوانهم رأوا فی ذلک ما یرغم أنوف أهل البیت وأعوانهم ویعذلهم ویجتث من نفوسهم الطمع بقیادة الأمة! هذا الطمع الذی یعکر علی الخلفاء صفو حکمهم ویهدد استمراره. [صفحه ۲۳۰] ومع عزوف أهل بیت النبوة عن العمل السیاسی المعلن ویأسهم من استقامة مبکرة للأمة، خفت قبضة دولة البطون وتراخت حملاتها. وانطلق علماء شیعة الخلفاء فی هذا المناخ یستنبطون الأحکام الشرعیة بالوسائل التی اخترعوها من دون حساسیة مسبقة، ولشد ما ذهلوا عند ما توصلت فرقهم أو بعض هذه الفرق إلی النتائج نفسها التی توصلت إلیها شیعة أهل بیت النبوة! ومثال علی ذلک: ۱ - قالت الشافعیة والحنابلة: (والشیعة الإمامیة): من قدر علی الاکتساب لا تحل له الزکاة، وقالت الحنفیة، والمالکیة: بل تحل له وتدفع! ۲ - وفی المبیت بالمزدلفة، فی أثناء أداء فریضة الحج، قالت الشیعة الإمامیة وقال، المالکیة: لا یجب المبیت ولکنه الأفضل. بینما قال الحنفیة والشافعیة والحنابلة بوجوب المبیت ومن ترکه فعلیه دم (ذبیحة)! ۳ - وفی رمی الجمار (من مناسک الحج) قالت المالکیة والحنفیة والحنابلة والشیعة الإمامیة: لا یجوز رمی الجمار قبل الفجر فإذا رماها من عذر وجب علیه إعادة الرمی. بینما رأت الشافعیة أنه لا حرج من التقدیم! ۴ - وفی صلاة الجماعة، قالت الحنابلة إنها واجبة وجوباً عینیاً علی کل فرد مع القدرة، ولکن إذا ترکها وصلی منفرداً أثم وصحت صلاته. بینما قالت الشیعة الإمامیة والحنفیة والمالکیة وأکثر الشافعیة: لا تجب عیناً ولا کفایة، وإنما تستحب استحباباً مؤکداً! فأنت تری أن الشافعیة والحنابلة فی المثال الأول، والمالکیة فی المثال الثانی، والمالکیة والحنفیة والحنابلة فی المثال الثالث والحنفیة والمالکیة وأکثر الشافعیة فی المثال الرابع قد التقوا مع الشیعة وتبنوا الحکم نفسه التی تبنته شیعة أهل بیت النبوة، فقد اتفقوا علی الحکم الشرعی فی تلک المسائل، وائتلفوا بالرغم من الخلاف! ربما لأنها لیست مسائل سیاسیة! أو لأن دولة البطون تراخت قبضتها ورغبتها فی إرغام أنوف أهل البیت وشیعتهم! وربما دولة البطون لا تدری عن ذلک شیئاً، أو لا تشعر بأهمیته. وربما لأن فرق شیع الخلفاء التی التقت بالنتیجة الفقهیة [صفحه ۲۳۱] مع شیعة أهل بیت النبوة قد استعملت الوسائل نفسها الخ. والخلاصة أن الائتلاف بعد الاختلاف المفروض والمصطنع ممکن، ولم یعد لأحد مصلحة فی الخلاف والاختلاف. جلسة الحوار العاشرة قال صاحبنا: لقد قرأت، بکل التمعن والإهتمام، کامل أجوبتکم عن تساؤلاتی المتعلقة بالخلاف والاختلاف، وإننی أقدر عالیاً کفاءتکم وقدرتکم علی تشخیص الداء تشخیصاً شرعیاً، وعلی وصف الدواء الشرعی، لقد کان الیوم الذی تعرفت علیک فیه یوماً مبارکاً بالفعل. وأرید أن أوجه لک، الآن، طائفة من التساؤلات المتعلقة بوحدة المسلمین: فما هی أسباب الخلاف والاختلاف؟ وکیف نکف عن خلط الأوراق، فنفصل الدین عن التاریخ والفهم عن النص؟ وکیف نجعل المسلمین یعرفون القیادة والمرجعیة الشرعیة؟ وما هی قصة المنهاج التربوی والتعلیمی لدولة البطون؟ أألیس بالإمکان اعتبار الأکثریة حکماً والأقلیة

معارضة فيتحرك الجميع ضمن دائرة الاحترام المتبادل، بين الأكثرية المسلمة والأقلية المسلمة؟ ما هو موقف خلفاء البطون من المعارضة الإسلامية؟ وهل يمكنك إعطائى صورة موجزة عن الحكم والمعارضة فى أنظمة أخرى؟ ومن الذى يمنع من تقليد هذه الأنظمة؟ ثم أليس للوحدة قواعد؟ وما هو السبب الحقيقى لاستمرار الخلاف والاختلاف؟ ما هى أسباب القدرة العجيبة لإعلام البطون؟ [صفحه ۲۳۵]

الدعوة إلى وحدة المسلمين

اسباب الخلاف والاختلاف

الخلاف الأول على ضوء ما ذكرنا، يتبين لنا بشكل جلى أن أول خلاف واختلاف بين المسلمين انصب، فى جوهره وتفاصيله، على من ينبغى أن يتولى خلاف النبى، أو الرئاسة العامة للمسلمين بعد موت النبى، فبطون قريش ال ۲۳ ومن والاها من العرب والمرتزقة من الأعراب والمنافقين وقفوا صفاً واحداً، وجحدوا وجود نص من الشرع يحدد بشكل قاطع المسلم الذى ينبغى أن يتولى خلافة النبى أو الرئاسة العامة للمسلمين بعد موت النبى. وإن تعذر على هذا الفريق إنكار نص من النصوص فإن فقهاءه تأولوا هذا النص وأخرجوه عن معناه حتى تكونت قناعة عامة بانعدام وجوده. وشكل هذا الفريق أكثرية ساحقة فى المجتمع الإسلامى. وهو يرمى إلى أن رئيس المسلمين هو الذى يستقيم له الأمر وتقبل به الأكثرية كائناً من كان. وكان رأيهم الأول أن الرئاسة حق لبطون قريش لأنها عشيرة النبى، ولموقعها المتميز عند العرب. وفى ما بعد لم تر بطون قريش حرجاً فى أن يتولى الرئاسة العامة أى رجل من هذا الفريق، حتى لو كان من الموالى، فمهندس هذه النظرية عمر بن الخطاب قال بملء فيه: (لو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً لوليته واستخلفته). وسالم هذا من الموالى ولا يعرف له نسب فى العرب!! وهذا هو المهندس نفسه الذى قال فى سقيفة بنى ساعدة: (من ينازعنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته إلا مدل بباطل)! وفى ما بعد صارت الخلافة أو الرئاسة العامة حقاً خالصاً لمن غلب، مهما كان مستوى دينه أو خلقه أو علمه، فقد يكون طليقاً كمعاوية، أو ملعوناً كمروان بن الحكم أو فاجراً خليعاً مستهتراً كيزيد بن معاوية أو الوليد الذى فرق القرآن علناً! أما الفريق الثانى من المسلمين فيتكون من أهل بيت النبوة خاصة، والهاشميين وبنى المطلب والقلة التى والتهم عامة، وهو فريق قليل العدد، وقد [صفحه ۲۳۶] رأى أن رسول الله استخلف علياً بن أبى طالب ونص عليه إماماً ووليا وخليفة ومرجعاً وقائداً للمسلمين ورئيساً لهم من بعده وأن الخلافة منحصرة بالأئمة بذرية النبى من صلب على، وأن الله تعالى قد أعد هؤلاء الأئمة وأهلهم ليكون كل واحد منهم هو الأعلم والأفهم والأتقى والأقرب وأفضل الموجودين فى زمانه، بحيث يكون مؤهلاً للقيام بالوظائف التى كان يقوم بها النبى حال حياته، لأن منصب الرئاسة العامة منصب (إلهى) من جميع الوجوه، ولا يعلم بتوافر صفات الأعلم والأفهم والأتقى والأفضل إلا الله تعالى. ومن هنا أمر الله رسوله بأن يعلن للمسلمين اختياره تعالى للأئمة من بعد النبى. نقاش مقولة موت الرسول من دون أن يستخلف! أصر الفريق الأول (بطون قريش ومن والاها) على أن الرسول قد انتقل إلى جوار ربه ولم يستخلف. وعند ما قبض رجالات البطون على السلطة استخلفوا، فلم يمت خليفة من خلفائهم قط إلا واستخلف لأنهم قدروا - وهم على حق - أن موت الحاكم أو الرئيس العام من دون أن يحدد من سيخلفه تفريط وتضييع للأمانة على حد تعبير عبد الله بن عمر، وترك الأمة هملاً وعرضة للفتن على حد تعبير أم المؤمنين عائشة! وتلك شهادة منهم على أنفسهم وحجة للفريق الثانى، لأن الرسول أبعد نظراً وأعرف بعواقب الأمور منهم، ومن المستحيل ألا يدرك ما أدركوه! وكل هذا يعنى أن الرسول قد استخلف بالفعل ولم يترك أمته من دون راع كما زعموا! ثم إن الرئاسة العامة للمسلمين من بعد وفاة النبى هى الأهم، لأنها الراعية والمرشدة لمسيرتى الدعوة والدولة الإسلامية وعدم بيان الرئيس العام للمسلمين من بعد وفاة النبى يناقض تماماً كمال الدين وتمام النعمة الثابت بالنص وبالروح العامة للشريعة وبمقتضيات الإيمان. انتصار الفريق الأول بالكثرة والقوة والتغلب والقهر فرض المنتصرون من بطون قريش وحلفائها اجتهادهم ورأيهم على الدين،

وعلى أهل بيت النبوة، وعلى الأمة وصارت البطون هى الحاكمة والحكم فى الوقت نفسه، وقامت دولتها لتخلف دولة النبى، [صفحه ۲۳۷] فسخرت جميع موارد الدولة لإقناع الناس بوجهة نظرها وصوابها، وإرغام أنوف أهل بيت النبوة ومن والاهم وعزلهم، وتنفير الناس منهم، والتشكيك بسلامة نواياهم وتوجهاتهم، ومعاملتهم كشاقين لعصا الطاعة، وخارجين على الجماعة المسلمة! وإذا خفت حدة هجوم البطون على أهل بيت النبوة فى حين من الدهر فإن هجومها على مواليهم طوال تاريخ الخلافة لم يعرف المهادنة أو التراجع! لأن قيادتها أدركت أنها قد غصبت أمر المسلمين ورئاستهم، وأنها بالذات لم تقنع بحججها! ولأن أهل البيت وشيعتهم هم شهود على هذا الغصب والاستيلاء بالقوة، ولأن وجود حزب مع أهل بيت النبوة وإن كان قليلاً سيكبر ذات يوم ويشكل خطراً على البطون وسلطتها! لذلك اعتبرت دولة البطون شيعة أهل بيت النبوة العدو الرئيسى وتعاملت معهم على هذا الأساس وسخرت كل موارد الدولة لإقناع الأكثرية الساحقة من رعيتها بأنهم العدو اللدود للمجتمع والدين! وجعلت هذا التوجه عنواناً لمناهجها التربوية والتعليمية التى فرضتها على الناس بالقوة. وبعد سقوط دولة الخلافة، صارت هذه المناهج تركة، وجزءاً من عقيدة الأولين فتبتها الأكثرية الساحقة من المسلمين من دون تدقيق ولا تمحيص واستبعدوا أن يجمع الخلفاء وأولياؤهم على هذا الكيد العظيم. طلب التوقف عن خلط الأوراق ۱ - فصل الدين عن التاريخ: تعنى الخلافة التاريخية ذلك النظام الذى ساد بصور مختلفة وحكم الأمة الإسلامية بعيد وفاة النبى إلى اللحظة التى سقط فيها عرش آخر سلاطين بنى عثمان، وبسقوطه سقط نظام الخلافة التاريخى. ووجه الخلط فى هذا الموضوع أن شيعة الخلفاء يعدون نظام الخلافة التاريخى الموصوف آنفاً النظام السياسى الإسلامى الذى أنزله الله على عبده، وهم يطالبون بعودته بوصفه يمثل الإسلام السياسى مع أن النظام السياسى الذى أنزله الله على عبده وطبقه نبيه سابق بوجوده لنظام الخلافة التاريخى، ونظام الإسلام الذى طبقه النبى هو الأصل، بينما نظام [صفحه ۲۳۸] الخلافة هو الفرع. ولكن شيعة الخلفاء يأخذون بالفرع ويتركون الأصل ويتجاهلون عملياً عصر النبوة بالكامل ويقصرون دور هذا العصر ونظامه على إثبات شرعية الخلافة التاريخية ويصرون على تقديمها للناس على أساس أنها نظام الإسلام الأوحد لذلك تراهم يسوقون الدين والتاريخ معاً، فإما أن تقبل الاثنين معاً فتصبح مؤمناً أو ترفض الاثنين معاً فتصبح كافراً أو فاسقاً أو مذنباً. مع أن الدين من الله سبحانه وتعالى، بينما نظام الخلافة من الخلفاء وأركان دولتهم أو على الأقل من فهم الخلفاء وأركان دولتهم. والدين صراط الله المستقيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بينما نظام الخلافة هو طريق رسمه الخلفاء وأعوانهم، وهم بشر يصيبون وقد يخطئون. والخلاصة أنه قد آن الأوان لفصل الدين عن التاريخ. فالدين نظام إلهى قائم بذاته وقواعده منزلة عند الله. والخلافة أو التاريخ واقع صنعه الخلفاء، فإذا سمينا الأمور بأسمائها سلكنا طريق الوحدة، وقمنا بالخطوة لتقديم الإسلام للعالم ليحل مشكلاته المستعصية بنور الإسلام وهداه. ۲ - فصل الفهم عن النص: كما مزجت شيعة الخلفاء الخلافة بالدين وسوقت الاثنين معاً ; كذلك مزجت هذه الشيعة النصوص الإلهية بفهمها لتلك النصوص وسوقت الاثنين معاً وعدتهما وجهين لعملة واحدة، فإما أن تقبلهما معاً فتصبح مؤمناً أو ترفضهما معاً فتصبح كافراً أو فاسقاً. وهكذا جعلوا من أنفسهم أوصياء على دين الله ورفعوا، بغير مسوغ شرعى، فهمهم للنص إلى مستوى النص. وبما أن شيعة الخلفاء هم الأكثرية الوارثة لتلك المفاهيم فإنهم يفرضون المساواة والخلط بين نصوص القواعد الشرعية وبين فهمهم لهذه النصوص. فمن قبل هذا الخلط وتلك المساواة بين ما أنزله الخالق وبين ما وضعه المخلوق فهو المؤمن العاقل، ومن رفضها حكمت عليه الأكثرية بالمروق والرفض والفسوق والكفر! إنه الإرهاب الفكرى فى أجلى معانيه، وقد طبق بصراحة متناهية طوال عهود الخلافة التاريخية. والخطوة الثانية على طريق وحدة المسلمين تكون بفصل النص الذى أنزله [صفحه ۲۳۹] الله على عبده وتولى هذا العبد الكريم بيانه عن فهم الناس له. فالنص الإلهى ثابت ومقدس، وفهم الناس له يتبدل ويتغير ويختلف من فرد إلى فرد، وهو غير مقدس وخاضع للمناقشة. والإصرار على اعتبار فهم خلفاء التاريخ للنصوص جزءاً من النصوص، ووجهاً من وجوه الدين هو تكريس لفرقة المسلمين وعائق والعوائق التى تحول بين الجنس البشرى وبين الاستفادة من هذا الدين الحنيف. ففهم شيعة الخلفاء للنصوص، وفهم غيرهم ليست غير محاولة لفهم المقصود الشرعى وقربها أو بعدها من هذا المقصود هو الذى يحدد قيمتها! ۳ - الاعتراف بالقيادة والمرجعية الإلهية: بناء على إجماع أهل بيت

النبوة، وإجماعهم حجة، وبناء على ما توصل إليه الباحثون المنصفون من علماء شيعة الخلفاء، فإن الله، سبحانه وتعالى، لم يترك الناس سدى، إنما أكمل لهم دينهم وأتم عليهم نعمه وألزمهم بالثقلين من بعد النبي: كتاب الله وعترة النبي أهل بيته. وبين الرسول، بأمر من ربه، أن الهدى لن يدرك إلا بالتمسك بهذين الثقلين وأن الضلالة لا يمكن تجنبهما إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً. وهذا قمة الوضوح والإلزام، لقد اختار الله أهل بيت نبيه لهذه المنزلة المميزة فأهلهم وأعدهم لذلك وجعلهم أمناء على الدين والدنيا من بعد النبي، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فهم الأبناء والأنفس، الذين أشارت إليهم آية مباهلة، وفرض مودتهم على العباد فكانوا هم الآل الكرام الذين لا تصح صلاة أحد قط إن لم يصل عليهم، ووصفهم النبي بسفينة نوح، وبنجوم الهدى، وحدد مكانهم في الأمة بمكانة الرأس من الجسد والعينين من الرأس، ولم يخل زمان قط من أهل بيت النبوة ولا ينبغي أن تخلو الأرض منهم. وشيعة الخلفاء يتعبدون بروايات رواها مجاهيل وخلفاء، وأناس عاشروا النبي وصاحبوه قليلاً بحجة أنهم صحابة، فلماذا ترفض هذه الشيعة روايات أهل بيت النبوة ومن والاهم، وتشكك بها مع أنهم، على الأقل، صحابة. لقد صحب أهل بيت النبوة رسول الله وعاشوا معه، وهم أطفال، وتتلمذوا على يديه وسكنوا وإياه طوال حياته المباركة تحت سقف واحد، ونهلوا علم النبوة ودعوه فلماذا [صفحه ۲۴۰] تتعبدون بروايات غيرهم بحجة الصحبة وتقتدون به بحجة الصحبة، وتتركون أهل بيت النبوة وهم سادات الصحابة، وتاج القرابة، إن هذا لأمر عجاب! ۴ - لم الإعراض عن قيادة أهل بيت النبوة؟ لقد رفضت بطون قريش قيادة أهل بيت النبوة حسداً للبطن الهاشمي، ولأن أهل بيت النبوة والهاشميين قتلوا سادات بطون قريش على الإسلام فهل تحسدون أنتم أيضاً أهل بين النبوة!؟ وهل قتلوا ساداتكم على الإسلام؟ كانت بطون قريش مستعدة لأن تبايع رجلاً من الأنصار أو من الموالي وتقبل بقيادته، ولكنها كانت مستعدة للقتال لتحول بين أهل بيت النبوة وبين حقهم بالقيادة! وأنتم تحذون الآن حذو بطون قريش! كانت بطون قريش تقدم كل متأخر على أهل بيت النبوة وتنفخ كل أجوف لتقدمه عليهم وأنتم الآن تفعلون الأمر نفسه، لماذا؟ اقتداء بخلفاء البطون!؟ الله ورسوله قدما أهل بيت النبوة وبطون قريش وخلفاؤها أخروهم، فبأي منطق تتركون الله ورسوله وتقتدون ببطون قريش وخلفائها؟ بئس للظالمين بدلاً! لو كان أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد ومروان بن الحكم وذريته التي لعنها الله ورسوله أحياء لما لمناكم لو تركتم أهل بيت النبوة واتبعتم أبناء البطون وقادتها. ولو كان أحفادهم أحياء لما لمناكم لو اتبعتم أحفاد قادة البطون وتركتم سادات أهل بيت النبوة وأبناء النبي وأحفاده! أنتم ترقصون لأي قائد يظهر على الساحة وتقتدون بهم وتديرون ظهوركم وتتجاهلون بالكامل قادة أهل بيت النبوة وعلماءهم!! وتعادون عداء صارخاً كل من يذكر أهل بيت النبوة بخير أو يواليهم! عجيبة هذه المشاعر! كيف تفلحون وأنتم تسيرون في الخط المعارض لله ولرسوله؟! فهل يمكنكم أن تتخلوا عن مشاعركم نحو أهل بيت النبوة وتقدموهم كما قدمهم الله ورسوله؟! خاصة وأن معاوية بن أبي سفيان قد مات وهو تراب الآن وليست هنالك خشية من أن يعاقبكم ولا يملك أن يمحوا اسم أي واحد منكم من ديوان العطاء، أو يجرده من حقوقه المدينة فلا يقبل شهادته أو يقتله ويهدم داره بجرم محبة أهل بيت النبوة وموالاتهم! أو يفرض عليكم لعن علي بن أبي طالب بالعشي والإبكار! لو كان معاوية حياً لما لمتكم!. ولكن قد هلك، فما [صفحه ۲۴۱] هو مسوغ مواقفكم السلبية من أهل بيت النبوة؟ لو كان يزيد بن معاوية حياً وقد أرسل الجيش الإسلامي لقتل ابن الرسول وأحفاد الرسول وأبناء عمومة الرسول في كربلاء وجندلهم كالضحايا وأنتم تتفرجون لما لمناكم، ولقلنا إن أمير المؤمنين يزيد على رأس الجيش الإسلامي العرموم ولا طاقة لكم به، ولا تثريب عليكم لو تفرجتم على يزيد وهو يذبح أولاد محمد رسول الله وبني عمومته كما يذبح الأضاحي! ولكن يزيد قد مات وهلك وهو تراب الآن! هل شبح الرعب والخوف مقيم في نفوسكم؟ أليست هنالك إمكانية لطرد هذه الأشباح من نفوسكم؟ فإذا أردتم وحدة المسلمين حقاً فقد آن الأوان لوضع أهل بيت النبوة في المكان الذي وضعهم الله به وتسليمهم القيادة وإعطائهم القيادة ليجمعوكم على الحق بعد طول فرقة، وليوصلوكم إلى شاطئ النجاة بعد أن ينقذوكم من الغرق. وقد آن الأوان لتتوقفوا عن الحقد على من والى أهل بيت النبوة وعن الموت والهلاك حباً لمن عاداهم، فإن فعلتم ذلك فقد اهتديتم، وإن أبيتم، فعليكم وزر الذين أظللتم عن ذكر الله الحقيقي. [صفحه ۲۴۳]

منهاج دولة البطون التربوى والتعليمى

أسس المنهاج المخترع إخترعت دولة بطون قريش منهاجاً تربوياً وتعليمياً يقوم على إنكار كل فضيلة لأهل بيت النبوة، وتسويتهم بعامة الناس، وعزلهم عن الأمة وعزل الأمة عنهم، وتنفير الناس منهم، ومحاصرة من يواليهم ومطاردته، والإلقاء فى روع العامة أنهم، ومن يواليهم، الخطر الحقيقى الذى يهدد وحدة الأمة ويزعزع دينها واستقرارها ويقوم هذا المنهاج على اختراع مرجعيات بديلة لتحل محل المرجعية الإلهية المتمثلة بأهل بيت النبوة. وحشدت دولة البطون وخلفاؤها وأولياؤها آلاف الرواة، وأغدقت عليهم العطايا والهبات ليرووا لها روايات عن رسول الله تؤيد هذا المنهاج التربوى والتعليمى الذى اخترعته. ونتيجة هذا الجهد جمعت مئات الآلاف من هذه الروايات، فوثقتها وكتبتها فى الوقت الذى كانت فيه رواية أحاديث الرسول وكتابتها محظورتين. وجعلت دولة البطون من هذا التوجه ومن تلك الروايات، المختلفة فى أكثرها، منهاجاً تربوياً وتعليمياً فرضته على الأمة، وألزمتها بحفظه واستيعابه والعمل به. وصار الإيمان به واتباعه مقياس الخطوة عند الخلفاء. وقد سخرت البطون ودولتها جميع موارد الدولة ونفوذها وإعلامها وطاقاتها لترسيخ هذا المنهاج وتثبيته. وخلال عشرات السنين عملت الأمة به، وتقدم المتقدمون بموجبه ثم ماتت الأجيال، وتوارثته الأجيال اللاحقة وألقى فى روع الأجيال اللاحقة أنه ثمرة إجماع الأمة، فعضت عليه بالنواجذ وتمسكت به ظانة أنه الحق المبين! وعدته مقياساً لما يعرض عليها من فكر وعلم وثقافة، فما وافقه هو الحق، وما خالفه هو الباطل الصراح! ومن أبرز معالم ذلك المنهاج اعتبار خلفاء دولة البطون وأولياءهم حائزين للحق والحقيقة وممثلين شرعيين للأمة المسلمة وما عداهم أهل ضلالة وبدعة. وخلال الصراع الطويل بين الحق وبين هذا المنهاج انقسمت الأمة إلى قسمين: [صفحه ۲۴۴] ۱ - الخلفاء وأولياؤهم، وهم شيعة البطون أو أهل السنة. ۲ - أهل بيت النبوة وأولياؤهم، وهم شيعة أهل البيت أو الشيعة إطلاقاً. وحسب المنهاج التربوى والتعليمى الذى غذت دولة البطون عامة الأمة به، فإن الخلفاء وأولياءهم، ومن سار على دربهم، هم المهتدون، وهم الفئة الناجية، وهم أهل الوفاق والاتفاق، وهم أصحاب الجنة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون! أما أهل بيت النبوة ومن شايعهم (أهل الشيعة) فهم شذاذ ومذاهبهم مبتدعة لا أصل لها فى الدين، ولا فى العقل. وفى الفصل الذى عقده ابن خلدون لعلم الفقه وتناول فيه المذاهب الإسلامية، عبر عن حقيقة هذا الاعتقاد بقوله حرفياً: (وشذ أهل بيت النبوة بمذاهب ابتدعوها، وفقه انفردوا به، بنوه على مذهبهم فى تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن أقوالهم وهى كلها أصول واهية. وشذ بمثل ذلك الخوارج، ولم يحفل الجمهور بمذاهبهم، بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح) [۲۰۶] فأهل بيت النبوة ومن شايعهم شواذ كالخوارج عند ابن خلدون وكل مذاهبهم مبتدعة، وكافة الأصول التى بنيت عليها تلك المذاهب واهية! هذا كلام ابن خلدون وتلك شهادته وهى تعبر عن حقيقة اعتقاد الخلفاء وشيعتهم بعقيدة أهل بيت النبوة وشيعتهم! وربما وصل ابن خلدون إلى مرتبة علمية عالية، وأحيطت مؤلفاته بعناية أعلام دولة البطون بسبب عقيدته تلك بأهل بيت النبوة ومن شايعهم! وإذا كانت هذه حقيقة نظرة كبار علماء شيعة دولة البطون فكيف تكون بربك حقيقة نظرة العامة منهم؟ وإنها بعض الآثار المدمرة للمنهاج التربوى والتعليمى الذى فرضته دولة الخلافة ورعته! وبعد أن خفت قبضة دولة البطون، وترعرعت نباتات شوك برنامجها التربوى والتعليمى، وصارت عادة ومعتقداً لدى الرعية، وبعد أن كشف النقاب عن [صفحه ۲۴۵] بعض فضائل أهل بيت النبوة، وعرفها العامة والخاصة، صار الدفاع عن معتقد شيعة الخلفاء فى أهل بيت النبوة وشيعتهم من أصعب الأمور. لذلك فصل علماء شيعة الخلفاء أهل بيت النبوة عن شيعتهم، فقالوا بفضائلهم بألسنتهم، وبقيت عقيدتهم بشيعتهم كما هى، بمعنى أنهم أعلنوا احترامهم ومحبتهم لأهل البيت من دون تفصيل، وأبقوا حقدهم وكراهيتهم لشيعتهم ولكافة معتقداتها تلك أمر ثمرات المنهاج الذى ألقى أجرانه فى النفوس عبر تاريخ تلك الدولة! وكخطوة على طريق وحدة المسلمين يتوجب على شيعة الخلفاء ومن دون إبطاء إعادة دراسة هذا المنهاج وتطهير النفوس من كراهية أهل بيت النبوة وشيعتهم، والاستفادة من علومهم ومن تجربة شيعتهم. ويتوجب الاقتناع بأن مذهبهم على الأقل مذهب إسلامى شأنه شأن مذهب أبى حنيفة والشافعى وغيره وأن شيعتهم فرقة مسلمة كغيرها من الفرق

الإسلامية، وأن الاختلاف بالرأى والنظرة الفقهية لا يوجب إدخال الجحيم! فأى منصف وعاقل فى الدنيا كلها يمكن أن يصدق ابن خلدون بأن أهل بيت النبوة شذاذ ومبتدعة، وأن مذهبهم مخترع وأصله واه. فى الوقت الذى يؤكد فيه النبى بإجماع شيعة الخلفاء أن أهل بيت النبوة هم أحد الثقلين، وأن الهدى لا يدرك إلا بهما والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بالاثنين معاً، وأن أهل بيت النبوة فى الأمة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، وأنهم نجوم الهدى حزبهم حزب الله، وأعداؤهم حزب الشيطان! إن أى عاقل يرى أن ابن خلدون وشيعة الخلفاء باعتقادهم هذا يضعون أنفسهم فى موضع المعارض والمعاند لله ولرسوله! نحن لا نطلب من شيعة الخلفاء أن يعتقدوا بتميز أهل بيت النبوة وصدق مواليهم، ولكننا نطالبهم بأن يعدوا أهل بيت النبوة وشيعتهم على الأقل من المسلمين الذين يخالفونهم فى الاجتهاد. وهذا مطلب بسيط يعد خطوة أولى فى طريق تحقيق وحدة المسلمين. الحكم والمعارضة عظمة نظام الحكم – أى حكم – تقاس بموقفه من المعارضة، فكلما اتسع صدر النظام لها سما قدره وتألق نجمه. وهذه القاعدة تنطبق على أنظمة الحكم [صفحه ۲۴۶] الإلهية والوضعية على السواء. فعندما تسلم رسول الله قيادة دولة الإيمان عاشت المعارضة أسعد أيامها. فعبد الله بن أبى، زعيم المنافقين، يعلن نواياه بكل حرية وصراحة، فيقول: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)، وهو يقصد نفسه بكلمة الأعز، ويقصد رسول الله بكلمة الأذل! فماذا فعل به الرسول، وبماذا عاقبة؟ لقد اقتصر رد فعل الرسول على توبيخ ابن أبى ورهطه من دون الإشارة إليهم بأسمائهم حتى لا يحرجهم ولا يغلق أمامهم درب الرجوع إلى الصواب، إنما توعد المنافقين إن مضوا فى غيهم، ووبختهم على سوء نواياها! هذا نموذج لتعامل نظام حكم النبوة مع المعارضة الموسومة إلهياً بالنفاق! فى صلح الحديبية، وبتوجيه إلهى، خطوة بعد خطوة، عقد النبى صلحاً مع بطون قريش بعد مقاومة وقطيعة وحرب دموية دامت ۲۱ عاماً، وحقق الرسول بهذا الصلح كل ما حارب من أجله، وما كان يطمع بتحقيقه، وكان الصلح كما وصفه الله تعالى فتحاً مبيناً، إلا أن هذا الفتح المبين لم يرق لعمر بن الخطاب، واعتبره (دنية فى الدين) واستعمل جميع الأساليب لتخريب الصلح وإلغاء المعاهدة ولكن جهوده باءت بالفشل، وأتم الله كلماته. ولما عجز عمر عن تحقيق ما أراد، صرح علناً وعلى مسمع من الرسول بأنه لو وجد شيعة تناصره لما (أعطى الدنية فى دينه)!، ولألغى بالقوة الصلح الذى أمر الله رسوله بتوقيعه وإبرامه! وهذا عمر نفسه الذى كلفه الرسول بأن ينقل رسالة شفهية إلى بطون قريش، قبل الصلح، فاعتذر وقال للرسول: إنى أخشى قريشاً على نفسى وليس لى فيها من يحمينى! ماذا فعل الرسول للمعارض الذى توعد باستعمال القوة وبماذا عاقبة؟ لقد قال له الرسول: (إنى عبد الله ورسوله ولن يضيعنى). ولما توالت حملاته الكلامية ذكره الرسول بفرار المسلمين يوم معركة أحد، ولم يقل له: أنت فررت فى ذلك اليوم. علماً أنه فر وحاول أن يرتب الأمور مع عبد الله بن أبى ليتوسط له عند أبى سفيان حتى لا يقتله! هذا كل ما فعله الرسول مع المعارضة الموسومة بوسم الإسلام [۲۰۷] . [صفحه ۲۴۷] وماذا فعل الرسول بالمسلمين الذين تأمروا على قتله بعد عودته من غزوة تبوك؟ وماذا فعل ببطون قريش عندما دخل عاصمة الشرك فاتحاً؟ وماذا فعل لعمر بن الخطاب وزعماء بطون قريش عندما دخلوا عليه داره وحالوا بينه وبين كتابة ما يريد، وقالوا له: أنت تهجر ولا حاجة لنا بوصيتك، لأن القرآن يكفينا؟ هذه بعض مواقف نظام حكم النبى من المعارضة [۲۰۸] . وماذا فعل الإمام على بالخوارج؟ كانوا يشتمونه ويتهمونه بالكفر، ويتحرشون به. وكان أصحاب الإمام يتميزون غضباً من تصرفاتهم، ولكن الإمام اتسع بهم، وأمر أصحابه بأن يتركوهم ليقولوا ما يشاؤون، حتى إذا أفسدوا فى الأرض أو قاتلوا تحرك الإمام ليوقف فسادهم، وليضع حداً لقتالهم. لهم يقاتلهم لأنهم يعارضونه، إنما قاتلهم لأنهم تجاوزوا منطق المعارضة إلى منطق الإفساد، لم يحاربهم انتقاماً إنما حاربهم استصلاحاً لهم. وماذا فعل الإمام على بعائشة وطلحة والزبير؟ لقد أعاد عائشة معززة مكرمة وحتى لا يردعها أمر النساء بأن تلبس لباس العسكر وترافق أم المؤمنين الخارجة عليه إلى مقر إقامتها فى المدينة، وأرسل معها أخاها محمداً بن أبى بكر! وماذا فعل الإمام على للأمويين الذين انخرطوا فى جيش عائشة وطلحة والزبير، ألم يكن مروان بن الحكم أحد قادة هذا الجيش؟ لقد تركه الإمام وعاش مروان حتى تسلم الخلافة وجعلها ملكاً له ولعقبه من بعده! هذه مواقف من دولة الإيمان مع المعارضة، وصور تعامل الحكم الإسلامى معها. موقف خلفاء البطون من المعارضة بالقوة والتغلب والقهر قبضت بطون قريش وحلفاؤها على منصب الخلافة وكان النبى على فراش الموت،

وطلبت من الناس أن يبايعوا الخليفة الذى اختارته البطون. لم يكن أمام الناس من خيار سوى المبايعة أو الموت! إما المبايعة أو غضب السلطة وجبروتها لما علم الإمام على بما فعلت البطون احتج عليهم بالدين [صفحه ۲۴۸] والمنطق واللسان فقال: (نحن أولى بالنبى حياً وميتاً، لقد احتججتم على الأنصار بالقرابة من رسول الله وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار؟! فماذا كان جواب البطون؟ قالوا: بايع. فقال: إن لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً والله الذى لا إله إلا هو نضرب عنقك؟ فدهش الإمام، وقال: تقتلون عبد الله وأخا رسوله؟ فكرروا تهديدهم. فالتحق الإمام بقبر النبى شاكياً بشكوى هارون: (قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) [الأعراف / ۱۵۰]. والتحق الإمام على ببيته، وبينما كان يجلس ومعه زوجته، ابنة النبى فاطمة الزهراء، وابناه، سبطا النبى الحسن والحسين، فوجئوا بسرية من جيش الخليفة تحيط بالبيت المبارك إحاطة السوار بالمعصم وتجمع الحطب لتحرقه على من فيه وهم أحياء! وفيه على ولى الله بالنص! وفيه فاطمة سيد نساء العالمين بالنص! وفيه الحسن والحسين سبطا النبى والإمامان وسيدا شباب أهل الجنة بالنص! وصاح عمر بن الخطاب: اخرجوا وبايعوا وإلا حرقنا عليكم داركم! إذا كانت هذه هى معاملة دولة البطون لابن عم النبى ولابنته ولسبطيه فكيف تكون معاملتها للأشخاص العاديين من المسلمين!؟ إذا كانت هذه هى معاملتها للمعارضة فى العصر الذهبى فكيف تكون معاملتها للمعارضة فى عصرها الحجرى!؟ أين سعد بن عبادة؟ ومن قتله؟ أين مالك بن نويرة؟ ومن قتله؟ أليس سعد هو سيد الخزرج وحامل لواء الأنصار فى كل زحف؟ أليس هو الصحابى الجليل الذى لم يخذل رسول الله قط؟ أليس مالك بن نويرة هو الأمير الذى عينه الرسول على قومه، ومات هو على إمارته وهو الصحابى الجليل؟ لماذا قتل سعد، ولماذا قتل مالك؟ قتلا لأنهما معارضة تلكأت عن بيعة خليفة البطون! وفى عهد معاوية فرض على رعيته مسبة على بن أبى طالب وحكم بالموت وهدم دار من أحبه أو والاه، وفى عهد يزيد ابنه هدم الكعبة التى التجأت إليها المعارضة، وفى زمن المتوكل على الله حرم على الناس أن يعينوا أهل بيت محمد، وحرم على أهل بيت محمد أن يتسولوا. يريدهم أن يموتوا جوعاً لأنهم معارضة. وأعظم من ذلك فإن الخليفة المتوكل هدم ضريح الحسين لأنه معارضة! [صفحه ۲۴۹] الحكم والمعارضة فى الأنظمة الرأسمالية فى النظام الرأسمالى تقف المعارضة على قدم المساواة مع الحكم. صحيح أن الأكثرية تحكم والأقلية تعارض، لكن حق المعارضة حق دستورى ثابت لا يملك الحكم مصادرته، بمعنى أن الأنظمة الرأسمالية والتحررية تحترم المعارضة، وتصغى لقولها، وتتقبل انتقاداتها، فمطلب الحكم هو الوقوف على الحقيقة، وقد تكون الحقيقة مع المعارضة، لذلك وجدت منابر للحكم، ومنابر للمعارضة وصحف للحكم وصحف للمعارضة، فالمعارضة واجب وطنى يهدف إلى تسليط الضوء على عمل الحكم أو السلطة ليبقى هذا العمل فى إطار الشرعية الوضعية والمشروعية بمعنى أن المعارضة ليست جرماً، والمعارضون ليسوا أشراراً، فكما يتسلح الحكم بالمشروعية الدستورية والقانون فإن المعارضة تتسلح بالسلاح نفسه، وكما يسمع الشعب أو الأمة رأى السلطة وصوتها يسمع رأى المعارضة وصوتها، وهذا حق للسلطة وللمعارضة وللشعب. وبعد أن يسمع الشعب هذه الآراء والأصوات يحكم عليها وفق مقاييس القانون السائد أو العقل أو المنطق ولا يملك أحد أن يتهم الآخر بالكفر أو الزندقة أو الخيانة... الخ لأن الأصل أن المعارضة والحكم يبحثان عن الأصوب والأقوم، ويخدمان أمة واحدة ويجتهدان فى نصحها وخدمتها! السؤال المطروح على شيعة الخلفاء إذا كان عسيراً عليكم أن تقتدوا برسول الله، وتلتزموا بالأحكام الشرعية التى تنظم العلاقة بين الحكم والمعارضة وتعالج الاختلاف فى الرأى بين أتباع الدين الواحد فهل يمكن أن تتعلموا بعض أخلاقيات الأنظمة الرأسمالية والديمقراطية المعاصرة والتى تسمونها أنظمة كفر؟ إن التزمتم الأحكام الشرعية أو تعلمتم تقاليد الأنظمة الديمقراطية يكن واجباً عليكم أن تعاملوا أهل بيت النبوة وشيعتهم معاملة أخوة لكم فى الدين اختلفوا معكم بالرأى! فإذا أردتم وحدة المسلمين حقاً فلنعد نظام الخلافة التاريخى كان حكماً وسلطة وأن أهل بيت النبوة كانوا معارضة، وأن الحكم والمعارضة قد اختلفوا فى الاجتهاد، فالاختلاف المعارضة مع حكم الخلفاء [صفحه ۲۵۰] لا يعنى أن المعارضة رافضة كافرة أو فاسقة.. الخ. من تلك الأوصاف التى تلصقونها بهم فى حالات غضبكم ورضاكم! كأنكم تفعلون ذلك ليرضى عنكم الخلفاء، ولتضمنوا استمرار الرزق والعطاء! إن الخلفاء قد ماتوا جميعاً، وأن نظام الخلافة كله قد سقط وانتهى وأنتم فى عصر جديد! نرجوكم، أيها السادة، استفيقوا على هذه الحقائق، ولكن

إن سقط نظام الخلافة فإن الدين لم ولن يسقط بإذن الله لأنه دين الله، وليس مرتبطاً بأشخاص الخلفاء، ولا بنظام الخلافة فهو سابق للخلفاء، وسابق لنظامهم، وهو دين الله وصراطه المستقيم، ومهمة المسلمين أن يتحدوا ويوحدوا جهودهم ويعتصموا بالله، ويقدموا هذا الدين للعالم كحل أوحد لمشكلاته، بالحكمة والبرهان والموعظة الحسنة. وإذا نجحنا بأخوتنا في ظلال هذا الدين فإن العالم كله سيدخل في دين الله، ويتم الوعد الحق بالاستخلاف الإلهي في الأرض. نقطتا الارتكاز: القانون والقيادة في مسيرة المسلمين لتحقيق الوحدة، ولمحاكاة النموذج الأمثل: دولة النبوة، نحتاج إلى ثقلين متكاملين لا غنى لأحدهما عن الآخر، وحتى نبتعد عن الظن الذي أوردنا موارد الهلاك والردى، وندخل في دائرة الجزم واليقين لا بد من الأخذ بهذين الثقلين، وهما: كتاب الله وبيان النبي لهذا الكتاب، هذا هو الثقل الأول والأساس الأول للوحدة والتوفيق، وهو بمثابة القانون النافذ أو المنظومة الحقوقية للأمة. وثاني الثقلين هو عترة النبي، أهل بيته، وهم بمثابة القيادة السياسية والمرجعية المؤهلة لهذا المنصب. لقد بين الرسول أن الأمة لن تدرك الهدى، ولن تتجنب الضلالة إلا إذا تمسكت بالثقلين معاً وعلى هذا أجمعت الأمة! وقد أجمعت الأمة واتفقت على الثقل الأول، كتاب الله وبيان النبي لهذا الكتاب، فالخلفاء وشيعتهم وأهل بيت النبوة وشيعتهم متفقون تماماً على الثقل الأول. واختلفت الأمة في صدد الثقل الثاني فالخلفاء وشيعتهم لا يسلمون بحق أهل بيت النبوة في قيادة الأمة، ويرون أن ذلك حق خالص لبطون قريش فهم يريدون رجلاً منها لعدة أسباب: ١ - قول الرسول: الأئمة من قريش. ٢ - لأن [صفحه ٢٥١] قريشاً عشيرة النبي. وحجة الخلفاء وشيعتهم منقوضة لأن بني هاشم وأهل بيت النبوة بالذات هم ذؤابة قريش في الجاهلية والإسلام وهم أقرب للنبي من البطون وأولى منها به. السبب الحقيقي لرفض شيعة الخلفاء قيادة أهل بيت النبوة! تعتقد شيعة الخلفاء أنها إذا سلمت الآن بحق أهل بيت النبوة بقيادة الأمة فإنها ضمناً تعيب على الخلفاء وتخطئهم، وإذا كان خلفاء البطون على الخطأ فمعنى ذلك عدم شرعية حكمهم، ومعناه أن التاريخ السياسي الإسلامي قد انهار تماماً، وانهياره يعني انهيار كافة البنى والمعتقدات السياسية لشيعة خلفاء البطون! وبانهيار هذه المعتقدات السياسية ينهار الإسلام الذي ربطوه بالتاريخ وحرصوا على تسويق الاثنين معاً لأنهما - حسب قناعاتهم - وجهان لعملة واحدة! ثم كيف يقبلون أمراً رفضه خلفاء البطون، وهم من قريش وأقرباء الرسول؟! هذا هو السبب الحقيقي الذي يدعو شيعة الخلفاء لمقاومة قيادة أهل بيت النبوة! ومن جهة ثانية، فإنهم يخافون على مكتسباتهم فقد تولوا توجيه الأكثرية الساحقة من المجتمع الإسلامي على هدى المعتقدات السابقة، فإذا تبنوا قيادة أهل بيت النبوة للأمة فإن عليهم ترك مركز توجيه المجتمع! ومن جهة ثالثة فإنهم يخشون من الإقرار بوقوع آبائهم وأجدادهم بهذا الخطأ الشنيع والحكم بإدانتهم، والإنسان بفطرته يكره ما يدينه ويحب البراءة! من القدوة والمثل الأعلى؟ تعتقد شيعة الخلفاء أن أفضل المسلمين، على الإطلاق، بعد النبي هم الخلفاء، وبالتحديد الخلفاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان، ثم ألحقوا بهم علياً بن أبي طالب بعد أن شتموه وسبوه وفرضوا ذلك على الرعية قرابة ألف شهر، ولم يدرج على في قائمة (أفضل المسلمين) لا لأنه من أهل بيت النبوة! ولا لأنه مولى وولي من كان النبي وليه! ولا لأنه فارس الإسلام ومستودع علم النبوة! ولا لأنه ابن عم النبي ومن تربى في حجره أو زوج ابنته ووالد سبطيه!! كل ذلك لم يكن وارداً. [صفحه ٢٥٢] لكن علياً ألحق بقائمة (أفضل المسلمين) صار خليفة بمواصفات الخلفاء الثلاثة الأول أغلقت دائرة الفضل العليا. لذلك سموا مرحلة حكم هؤلاء الخلفاء الأربعة بالخلافة الراشدة. ما يعني ضمناً أن خلافة الخلفاء اللاحقين لم تكن راشدة. هذه حقيقة ما وصلوا إليه، وإن لم يصرحوا بعدم رشد الخلافة اللاحقة. والخلاصة أن تصرفات الخلفاء وبخاصة الأول والثاني صارت بمثابة سوابق دستورية أو أعراف واجبة الإتباع، أو سنن تقف على قدم المساواة مع سنة الرسول! فولاية العهد سنها أبو بكر، فصارت سنة لكل الخلفاء، واختيار أو ترشيح سنة سنها عمر، وتقسيم الأموال بين الناس حسب منازلهم عند الخليفة سنة سنها عمر، وهي مناقضة لسنة الرسول الذي كان يوزع المال بين الناس بالسوية، فماتت سنة الرسول وعاشت سنة عمر وقد قالت شيعة الخلفاء إن هذا من قبيل الاجتهاد، فالرسول مجتهد وعمر مجتهد، ومن حق المجتهد أن يخالف مجتهداً آخر، وصلاة التراويح سنة سنها عمر ولم يسنها رسول الله، ومع هذا فشيعة الخلفاء تلتزم بها بدقة. الاعتقاد بمرجعية جميع الصحابة يعتقد شيعة الخلفاء أن الصحابة جميعاً، وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة الأول، مراجع من بعد النبي! بمعنى أن مراجع

المسلمين من بعد النبى بعدد أفراد الصحابة، فإذا كان الصحابة مليون صحابى فمعنى ذلك أن المسلمين من بعد النبى مليون مرجع، وبوسع المسلم أن يأخذ أحكام دينه من أى مرجع منهم!! وبالتالى فإن أهل بيت النبوة ليسوا المرجع الوحيد، فما هم وفى أحسن الأحوال إلا بضعة عشر صحابياً من جملة مليون صحابى! قال أبو حنيفة: (إن لم أجد فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه، فإذا اختلفت آراؤهم فى حكم الواقعة آخذ بقول من شئت وأدع من شئت...) [۲۰۹] . وجاء فى أعلام الموقعين لابن القيم الجوزية: (أن أصول الأحكام عند [صفحه ۲۵۳] الإمام أحمد خمسة: الأول النص، والثانى فتوى الصحابة، وأن الأحناف قد ذهبوا إلى تخصيص كتاب الله بعمل الصحابى لأن عمل الصحابى كقوله) [۲۱۰] . عدالة الصحابة وقداستهم وطهارة أهل بيت النبوة تعتقد شيعة الخلفاء أن كل من شاهد الرسول أو سمع منه أو جالسه عادل وصادق، ومن المستحيل أن يكذب أو يعصى أو يخطئ. قال ابن حجر العسقلانى، فى ترجمة مروان: (إذا ثبتت صحبته لم يؤثر الطعن فيه). فكل طعن بأى صحابى على الإطلاق مردود لأنه محصن إلهياً ضد الطعن، ومن يطعن بأى صحابى لا يجوز للمسلمين مؤاكلته أو مشاربته، ولا يجوز لهم أن يدفنوه فى مقابر المسلمين [۲۱۱] ومع أن أهل بيت النبوة صحابة، بالمعنى الذى يقصده الخلفاء وشيعتهم، فإنه، من الناحية العملية، لم تكن لصحبتهم قيمة تذكر. ولم تكن لرواياتهم قيمة خاصة تصل إلى مستوى قيمة روايات بقية الصحابة! إلا إذا كانت هذه الروايات تدعم هذا الخليفة أو ذاك، أو تسوغ بعض أعماله! حتى أن بعض الخلفاء لم يجدوا حرجاً ولا غضاضة فى أن يفرضوا على الرعية مسبة عميد أهل بيت النبوة على بن أبى طالب وتكذيبه ولعنه مع أنه – على الأقل – صحابى! ورأت الأكثرية الساحقة من الرعية أن من واجبها تنفيذ أمر الخليفة، وبالفعل لعنت الإمام على بالعشى والإبكار، وبقيت ملتزمة بذلك حتى أمر عمر بن عبد العزيز بوقف ذلك. فباركت الرعية هذا القرار وعدته فى غاية الحكمة! موالاة الخلفاء وموالاة أهل بيت النبوة صارت موالاة الخلفاء وأعوانهم واجباً مفروضاً على كل مسلم بحكم الدين، وذلك لأن الخليفة هو ولى الأمر واقعياً، ولا ينبغى أن يعلو على صوته صوت، أو أن يعكر الولاء له معكر! فكل الولاءات يتوجب أن تصب بالولاء للخليفة وأعوانه، وأن تمر من خلاله! وهذه القاعدة حاكمة على كل القواعد! ومن [صفحه ۲۵۴] هنا لم يكن مشروعاً تولى أهل بيت النبوة وموالاتهم، واعتبر بعض الخلفاء هذا التولى والموالاة جريمة من جرائم الخيانة العظمى يعاقب مرتكبها بالموت حتى ولو كان صحابياً، فهذا حجر بن عدى وجماعته من كبار الصحابة، وهذا عمرو بن الحمق من شيوخ الصحابة، ومع هذا قتلهم الخليفة معاوية بتهمة موالاة أهل بيت النبوة! حتى أن حب أهل بيت النبوة كان من جرائم الخيانة العظمى، يعاقب مرتكبها بالموت، وهدم الدار وشطب الاسم من ديوان العطاء والأرزاق، تجريده من حقوقه المدنية! بحيث لا تقبل شهادة أبداً [۲۱۲] وذلك فى الوقت الذى كان يتمتع فيه موالى الخليفة ومحبيه بكل أنواع الحرية والنعيم! ففكرة عدالة الصحابة كانت ستاراً لإكفاء إناء أهل بيت النبوة، وللقضاء على منزلتهم الدينية، ولتمييع مرجعيتهم، وتجييرها للخليفة الغالب ولتوطيد سلطانه. ألم تر أن علياً بن أبى طالب كان صحابياً، ومع هذا كانت لعنته واجباً دينياً فرضه الخليفة على كل أفراد رعيته وجماعاتها! ثم قتل الصحابى على! ألم يكن حجر بن عدى صحابياً ومن أجلاء الصحابة؟! ألم يكن أصحابه كذلك؟! ألم يكن عمرو بن الحمق صحابياً؟ لقد كانوا، ولكنهم قتلوا بجرم عدم موالاة الخليفة وموالاة آل محمد! فمن لا يوالى الخليفة الغالب – أياً كان – (ليس له بر يقيه ولا بحر) ومصيره الموت حتى لو التجأ إلى الكعبة! ألم يهدم الخليفة يزيد بن معاوية الكعبة على رؤوس معارضيه الذين احتموا بها؟! ألم يهدم عبد الملك بن مروان الكعبة، أيضاً، على رؤوس الذين عارضوه واستجاروا بها؟! ألم يربط مسلم بن عقبة خيله فى مسجد الرسول نفسه!؟ ألم يستبح مدينة الرسول ثلاثاً، ويولد جيشه ألف عذراء من غير زواج؟! ألم يختم أعناق الصحابة، ويأخذ منهم البيعة على أنهم خول وعبيد لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية؟! وهذا معنى أن الولاء للخليفة وعدم الولاء لغيره – أهل البيت أو سواهم – يشكل القاعدة الحاكمة بجميع القواعد النافذة فى مجتمع دولة الخلافة. وأى مكانة مقدسة لا تنجى أياً كان، فلا شئ يمنع من سم الحسن سبط الرسول ومن قتل الحسين سبط الرسول، ومن قتل أبناء الرسول وأحفاده، [صفحه ۲۵۵] ومن سبى بنات الرسول، إذا وجد الظن بعدم موالاتهم أو خطرهم على نظام الخليفة! تلك حقائق من الوضوح بحيث يتعذر إنكارها أو الإعتذار عنها. من الثقة عند الخلفاء؟ حجر بن عدى وأصحابه صحابة، وعمرو بن الحمق

من الصحابة، ومن المفترض حسب القواعد التى وضعها الخلفاء وأعوانهم أن يكونوا عدولاً وثقة! وأن يروى الناس عنهم أحكام دينهم. وسعد بن عبادة سيد الخزرج وحامل لواء الأنصار، فى كل المواقع من سادات الصحابة، ومالك بن نويرة صحابى جليل وأحد الأمراء الذى عينهم النبى ومات النبى وهو على ولايته ومع هذا لا أحد من شيعة الخلفاء يروى عن هؤلاء الصحابة الكرام. لقد قتلوا جميعاً بجرم الخيانة العظمى - عدم موالاة الخليفة - أو بتعبير أدق: موالاة أهل بيت النبوة، لم يقتصر هذا الأمر على عهد الصحابة، فالإمام الشافعى كان يحب أهل بيت النبوة، ويتستر على هذا الحب، وعندما اكتشف ذلك بعض أئمة الجرح والتعديل قالوا: إن الشافعى ليس بثقة! قال ابن عبد البر: روينا عن محمد بن وضاح قال: سألت يحيى بن معن عن الشافعى فقال: (ليس بثقة). ويحيى بن معين هذا من كبار رجال الجرح والتعديل الذى اعتبر قوله بالرجال حجة قاطعة. قال يحيى بن معين أن سعيد بن خالد البجلى ثقة! فقال له بعض أصحابه: إن خالداً هذا من موالى أهل بيت النبوة وشيعتهم! فدهش يحيى بن معين وقال مستغرباً: (وشيعى ثقة)! فعلم الرجال لم يكن يعلم أن رجلاً من شيعة أهل بيت النبوة يمكن أن يكون ثقة! فكل قناعاته منصبة على أن كافة موالى أهل بيت النبوة غير ثقة! أما إذا كان الرجل يوالى الخلفاء فهو ثقة، فالوليد بن عقبة ثقة مع أنه الفاسق بنص القرآن، ومع أنه شارب للخمر، وقد صلى وهو سكران بإجماع المؤرخين! ومروان بن الحكم ثقة مع أنه الملعون ابن الملعون كما ذكر رسول الله! وعمر بن سعد بن أبى وقاص ثقة مع أنه قتل الحسين وأحفاد الرسول فى كربلاء. وباختصار هم يروون ويعتمدون جميع الروايات التى يرويها الذين يوالون الخلفاء أو يقال إنهم من موالى الخلفاء ويروون عمن لا يعرف له حال، وعمن لا يعرف له عين، ولكنهم لا يروون عن أهل بيت [صفحه ۲۵۶] النبوة، أو عن أناس يوالون أهل البيت إلا إذا كانت هذه الروايات تخدم منهاجهم التربوى والتعليمى! الطريقان الأيسر والأصعب واختيار الأصعب! كان الإمام جعفر الصادق (ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (يقول: (حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدى وحديث جدى حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله). كان يقول ذلك علناً وعلى رؤوس الأشهاد، وقد سماه أهل زمانه بالصادق لأنه لم يكذب قط! فمن الذى منع الخلفاء وعلماءهم من أن يأخذوا دينهم عن هذا الرجل الإمام طالما أن طريقه هو الطريق الموثوق والسهل! لكن الخلفاء كرهوا طريق أهل بيت النبوة وسلكوا الطريق الصعب، فقالوا عن فلان من أهل البادية، عن علامة من أهل مكة، عن زيد من الطائف، عن عمرو من الحديبية عن فلان من أهل المدينة، عن كعب الأحبار يهودى قد أسلم ولم يصحب الرسول أنه قال، سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا... قولوا بربكم أى الطريقين أسلم وأوثق وأضمن، طريق الإمام جعفر الصادق أو الطريق التى اخترعها الخلفاء وأولياؤهم!؟ [صفحه ۲۵۷]

من هم المراجع بعد الصحابة و سقوط دولة البطون

عودة الحق أمر طبيعى على فرض إمكانية تعدد المراجع فى الدين الإسلامى مع أن هذا الفرض ساقط، فلم يكن للمسلمين أثناء حياة الرسول إلا مرجع واحد وهو الرسول، إذ لو تعددت المراجع لاختلفت الآراء وتعددت، وادعى كل مرجع بصواب ما ذهب إليه، مع ما تجره هذه الادعاءات من اختلاف كلمة الأمة وتشتتها وانقسامها إلى شيع وأحزاب، تناصر كل شيعة من هذه الشيع مرجعاً من المراجع الموجودة على الساحة!! وعلى فرض أن هذه المرجعيات مشروعة، وأن كل واحد من الصحابة يشكل مرجعاً كما أشيع (وبأيهم اهتديتم اقتديتم)! فالسؤال الذى يطرح نفسه هو: بعد موت الصحابة، من هو المرجع، أو من هم المراجع؟ وبتعبير أدق هل يسترد أهل بيت النبوة حقهم بالقيادة والمرجعية من بعد موت جميع الصحابة؟ أو بمعنى آخر: إذا كان ليس من حق أهل بيت النبوة أن يكونوا مرجعاً وقيادة للأمة مع وجود الصحابة أفليس من حقهم أن يتولوا المرجعية والقيادة بعد موت الصحابة؟ أهل بيت النبوة يرون أن طالما أن بطون قريش قد اتحدت، خلال حياة الصحابة الكرام، للحيلولة بينهم وبين حقهم بالقيادة والمرجعية، وطالما أنهم قد قبلوا بالواقع المفروض عليهم حرصاً منهم على مصلحة الإسلام، فمن الطبيعى أن يعود لهم حقهم بالقيادة والمرجعية بعد موت الصحابة لأنهم الجامع المشترك بين جميع المسلمين، وهم الرمز الشخصى لامتداد الوجود المحمدى، فضلاً عن مئات النصوص الصريحة الواردة فى

القرآن والسنة والتى أعطتهم مكانة مميزة وخاصة فضلاً عن الممارسات التعبدية لكل مسلم، فيومياً، وفى كل صلاة، يتوجب على المسلم أن يصلى على محمد وعلى آل محمد (أهل البيت)، وإن لم يفعل فصلاته غير جائزة! فلو صلى أبو بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو السلطان [صفحه ۲۵۸] عبد العزيز، أو أى مسلم على الإطلاق، وتعمد عدم الصلاة على محمد وآله فصلاته باطلة! وهذا قمة الإلزام، وانتزاع الاعتراف الفردى والجماعى بتميز أهل بيت النبوة! لذلك فإن عودة حق القيادة والمرجعية لأهل بيت النبوة بعد موت الصحابة أمر طبيعى جداً! ولا شئ يبقى أن يحول دون هذه العودة، أو على الأقل تجربة حالة الأمة بعد أن تعود إلى الطريق التى إليها أرشد الله ورسوله عباده! أما خلفاء بطون قريش ومن والاهم، فيرون أن تجريد أهل بيت النبوة من حقهم بالقيادة والمرجعية نهائى ولا رجعة عنه، سواء أخلد الصحابة أم ماتوا جميعاً لأن الهاشميين، ومنهم أهل بيت النبوة، قد أخذوا النبوة واختصوا بها، فمحمد الهاشمى قد صار نبياً، وسلمت له بطون قريش والعرب والمسلمون بهذه النبوة، فليس من المعقول أن تكون النبوة والخلافة من بعد النبوة أو الملك لبنى هاشم!! فتجتمع لهم النبوة والخلافة، وتحرم بطون قريش، ويحرم العرب، ويحرم المسلمون من هذين الشرفين معاً! والأوفق والأصوب على حد تعبير عمر بن الخطاب أن تكون النبوة لبنى هاشم خالصة لا يشاركهم فيها أى رجل من البطون أو العرب أو المسلمين وأن تكون الخلافة أو الملك من بعد النبى لبطون قريش لأنهم أقرباء النبى ثم للعرب، ثم للمسلمين عند الاقتضاء لا يشاركهم بهذه الخلافة أو الملك أى هاشمى قط من أهل البيت أو من غيرهم، وهذه هى القسمة المثلى التى تحصن الناس المسلمين ضد الإجحاف الهاشمى! على حد تعبير عمر بن الخطاب [۲۱۳] . وهذا يعنى أن قرار تجريد أهل بيت النبوة من حقهم الإلهى بالقيادة والمرجعية من بعد النبى، صار سنة من سنن خلفاء البطون، التى تولت دولة البطون خلال حكمها التاريخى جعلها منهاجاً تربوياً وتعليمياً، سخرت كل موارد دولة البطون وإمكانياتها لغرسه فى نفوس الرعية الإسلامية، بحيث لا يمكن [صفحه ۲۵۹] اقتلاعه إلا بعملية (جراحية)، بمعنى أن المنهاج التربوى والتعليمى الذى فرضته البطون بقوة دولتها ونفوذها كان بمثابة عملية (غسل دماغ) استمرت قرابة ألف عام. والقيام بعملية (غسل دماغ مضادة) تحتاج إلى جهد استثنائى، لا طاقة لأى فرد أو جماعة عليه! ويمكنك القول إن إعادة حق القيادة والمرجعية لأهل بيت النبوة يعنى مخالفة لسنة خلفاء الدولة التاريخية الإسلامية، تلك السنة التى دامت ألف عام على الأقل، وهى تعمل وتترسخ فى النفوس، ومن جهة ثانية، فأن إعادة حق أهل بيت النبوة بالقيادة والمرجعية يتعارض مع أهواء الطامعين بهذه القيادة والمرجعية ويتعارض مع ميول أصحاب الثروة والطبقات المترفة التى تخشى العدل الإلهى المتمثل بقيادة أهل بيت النبوة ومرجعيتهم! فعلى سبيل المثال، كان خلفاء البطون يعطون الناس بنسب متفاوتة وحسب منازلهم عندهم، وحسب ولائهم لنظام الخلافة وتوجهاته، أى أنهم كانوا لا يساوون بين الناس بالعطاء كما قضت سنة النبى! بل كانوا يعطون القرشى أكثر من غيره، ويعطون العربى أكثر من المولى، حتى زوجات الرجل الواحد كانوا لا يساوون بينهم فى العطاء، فكان عمر يعطى كل واحدة من زوجات الرسول عشرة آلاف ويعطى كلا من عائشة وحفصة اثنى عشر ألفاً. وعند ما آلت الخلافة إلى على بن أبى طالب، وفق النمط الذى اخترعه الخلفاء، أعاد سنة الرسول، فكان يعطى الناس بالسوية لا فرق بين عربى وعجمى. وكان يأخذ عطاءه مثل أى واحد من الناس! هذه السياسة العادلة التى اتبعها الإمام أكدت وساوس الطبقة المترفة وشكوكها، ووجاهة تحالفها مع قادة بطون قريش. وبينت أن قيادة أهل بيت النبوة ومرجعيتهم ليست لمصلحة التحالف الحاكم بل هى لمصلحة الأغلبية الساحقة من أفراد الأمة! وبما أن خلفاء البطون وقادتها، وأبناء الطبقة الفنية المترفة كانوا يشكلون فريقاً واحداً يملك السلطة والمال والإعلام فقد كرسوا، بشكل نهائى، وبوسائل [صفحه ۲۶۰] ملتوية، استبعاد أهل بيت النبوة عن القيادة والمرجعية إلى الأبد، وذلك عبر المنهاج التربوى والتعليمى الذى غذت به دولة البطون العامة والخاصة من المسلمين، ونجا منه أهل بيت النبوة والقلة التى تشيعت لهم، وآمنت بحقهم بالقيادة والمرجعية! وهذه القلة تنمو لأنها مرتبطة بالدين والعقل والآخر بينما ترث الكثرة الساحقة من المسلمين قناعات المنهاج التربوى والتعليمى لدولة البطون كما ترث الممتلكات، وتتمسك بهذا المنهاج تمسكها بالذهب والفضة لأنه جزء من ممتلكاتها، وجزء من تركة الأباء والأجداد، فضلاً عن كونه يمثل سنن الخلفاء التى صارت، بقدرة قادر، سناً شرعية إسلامية، فى الوقت الذى عطلت فيه

السنن الشرعية التى سنها الله ورسوله! القيادة التى يقبلها شيعة الخلفاء يقبل الخلفاء وشيعتهم قيادة أى رجل من بطون قريش لأنهم أقارب النبى، شريطة ألا يكون من أهل بيت النبوة، أو من بنى هاشم أو بنى المطلب! (لأن الهاشميين والمطلبيين هم الذين احتضنوا النبى ووقفوا معه أثناء صراعه مع بطون قريش)! ويقبل الخلفاء وشيعتهم قيادة رجل من الأنصار، ولكنهم لا يقبلون قيادة أهل بيت النبوة! انظر إلى قول عمر، مع وجود على بن أبى طالب: (لو كان معاذ بن جبل حياً لوليته واستخلفته)، بحجة أنه عالم! يقول هذا مع وجود عالم العلماء على! ويقبل الخلفاء وشيعتهم قيادة رجل من الموالى. أنظر إلى قول عمر، وهو على فراش الموت: (لو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً لوليته واستخلفته). وسالم هذا من الموالى ولا يعرف له نسب فى العرب، ومع هذا يقدمه على على بن أبى طالب ابن سيد قريش وابن عم النبى، وزوج ابنته ووالد سبطيه، وفارس الإسلام وولى من كان النبى وليه بالنص! ويقبل الخلفاء وشيعتهم قيادة رجل من الترك فقد قبلوا خلافة العثمانيين، واعتبروا الخلفاء العثمانيين خلفاء لرسول رب العالمين! مع وجود أهل البيت ويقبلون قيادة الشركس، وغيرهم ممن لا يعرفون لهم أصلاً، فقد قبلوا قيادة [صفحه ۲۶۱] المماليك. مع وجود أهل البيت! ويقبلون قيادة أى رجل متغلب كائناً من كان، إذا تمكن من هزيمة الطامعين بالقيادة والقبض على مقاليد الأمور بالقوة والقهر والغلبة! حتى صار هذا القبول مبدأً دستورياً إسلامياً وقاعدة شرعية دينية، تستند إلى قول أحد الصحابة: (نحن مع من غلب). وحيث أن هذا القول قد صدر عن صحابى ; فمعنى ذلك أن حكم المتغلبين والانقلابيين قد أصبح شرعياً من جميع الوجوه! ويجرى كل هذا مع وجود أهل بيت النبوة، وبرضى الأكثرية الساحقة من الأمة التى تعتقد بشرعية ما يجرى وإسلاميته لأنه ليس أكثر من سنة عملية من سنن خلفاء البطون. تلك السنن التى اندمجت عملياً بالسنن الدينية. وصارت تلك المجموعة المختلطة من السنن وجهين لعملة واحدة، فالدين الإسلامى السياسى هو تاريخ الخلفاء، وتاريخ الخلفاء هو الدين! وليست هنالك ضرورة - برأيهم - للفصل بين هذين المفهومين، ولا حاجة لإعادة دراسة الدين، أو إعادة قراءة التاريخ! مع أن الخلفاء وشيعتهم يقرون إقراراً قضائياً بأن الدين السياسى الإسلامى من عند الله، وأن التاريخ واقع صفة الخلفاء بكل أطره ومبانيه ومفاهيمه! مطاردة أهل بيت النبوة وشيعتهم حتى على الصعيد الفقهى الخلفاء وشيعتهم أحرار بما يفعلون، فقد يجتهدون ويعملون وفق هذه الاجتهادات، وقد يقلدون أى عالم من علماء الأمة أو صاحب رأى من أصحاب الرأى فيها، ويتبعون هذا التقليد ويأخذون بهذا الرأى فى أمورهم الدينية والدنيوية على السواء! ولكن لا الخلفاء ولا شيعتهم، يقبلون بتقليد أهل بيت النبوة أو أى عالم من علماء شيعة أهل البيت! ولا يعتدون على الإطلاق بفهم أهل بيت النبوة أو برأيهم فى أى أمر من الأمور الدينية أو الدنيوية. وزيادة فى الاحتياط فإنهم لا يأخذون برأى أى عالم من علماء شيعة أهل بيت النبوة، إلا إذا كان رأيه يتفق مع ما علمه الخلفاء، أو ما أوجدوه من سنن. ففى هذه الحالة يتبعون رأى أهل بيت النبوة ضمناً، ولكن ليس لأنه شرعى أو غير شرعى بل لأنه متفق مع عمل الخلفاء وسننهم فسنده ليس أهل البيت بل عمل الخلفاء وسنتهم ويستدل بفهم أهل البيت وشيعتهم لإثبات شرعية عملهم وسنتهم! قد يقال إن خلفاء البطون كانوا يستشيرون [صفحه ۲۶۲] الإمام على، ويأخذون برأيه وبعضهم كان يقول (اللهم إنى أعوذ بك من معضلة ليس فيها أبو حسن)، كما هو مشهور. لكنهم كانوا يستشيرونه فى المعضلات النادرة التى لم تقو علومهم واجتهاداتهم على إيجاد حل لها، وبالصدفة. ومع هذا، فإن المسند الشرعى لقبول حلول الإمام على لتلك المعضلات ليس هو فهمه أو رأيه وإنما تبنى الخليفة له، فمن دون هذا التبنى يصبح عديم الفائدة والجدوى! وقد سار موكب الأمة بقيادة الخلفاء عبر التاريخ متجاهلاً- بالكامل وجود أهل بيت النبوة، ووجود علمهم الخاص المميز، ووجود فقههم! ولم يستشهد بهذا العلم إلا- لغاية محددة هى إثبات شرعية عمل الخلفاء وسننهم. خذ على سبيل المثال (القبض على اليدين) فى الصلاة. الشافعى وأبو حنيفة وابن حنبل وأتباعهم يقبض كل واحد منهم على يديه أثناء الصلاة (أى يمسك رسغ اليسرى باليد اليمنى). بينما مالك وأهل البيت وشيعتهم يرسلون اليدين أثناء الصلاة! فشرعية عدم القبض على اليدين وإرسالهما لا تستمد من فعل أهل بيت النبوة بل من فعل مالك صاحب المذهب المشهور ومن فعل أتباعه! ويستدل الإمام مالك على صواب فعله بفعل أهل بيت النبوة ; فلو أن مسلماً من أتباع مالك صلى فى مسجد من مساجد المسلمين، وهو مرسل يديه وغير قابض عليهما للفت أنظار الجميع، ولانهالوا عليه بالسؤال بعد انتهاء صلاته، فإذا

قال إنه مالكى (من أتباع مالك) نجا، وصار فعله أمراً طبيعياً! أما إذا قال إنه من شيعة أهل بيت النبوة ومن أتباع مذهبهم يجن جنون الجميع ويستنكرون بشدة دخوله إلى المسجد وصلاته فيه! ومن الممكن أن يطردوه بحجة أنه من الروافض (الذين رفضوا قيادة الخلفاء ومرجعيتهم)، أو بحجة أنه من الملاحدة المشركين! مع أن هذا المسلم يتلو القرآن الذين يتلونه، ويؤدى العبادات نفسها كم يقرونها يفردونها؟؟؟. ومع أنه مسلم مثلهم، والفرق بينهم وبينه أنهم يتبعون أحد المذاهب الأربعة وهو يتبع مذهب أهل بيت النبوة! أو هم يقتدون بأصحاب المذاهب الأربعة التى اعتمدها متأخرو الخلفاء، وصاحبنا يقتدى بأهل بيت النبوة ; هذا هو الفارق الدقيق. واستطراداً فقد رأت دولة الخلفاء أن ترك الباب مفتوحاً أمام تعدد المذاهب والمراجع أمر غير عملى، والأنسب أن تختار عدداً منها وتفرضه بالقوة على [صفحه ۲۶۳] الرعية، وتلغى ما عداه. هكذا كان، فاختارت دولة الخلافة أربعة مذاهب، وأمرت أفراد الرعية بالتمذهب بواحد منها. ولم تقبل شهادة أى إن لم يفعل ذلك كما ذكر المقريزى فى خططه. ومع ضغط الدولة ونفوذها، تحولت هذه المذاهب الأربعة إلى مذهب رسمى لدولة البطون له أربعة وجوه، وتحول أصحاب هذه المذاهب إلى مراجع فقهية لدولة البطون ورعيتها وتلاشت المذاهب الأخرى التى كانت موجودة، أو احتفظت ببقائها بصعوبة وسراً، وعتمت وسائل أعلام دولة الخلافة على المراجع الفقهية الأخرى، فنسيهم الناس، أو تناسوهم ومن جملة هذه المذاهب التى نسيها الناس أو تناسوها مذهب أهل بيت النبوة، ومرجعية أهل البيت الفقهية! فقد صار هذا المذاهب محظوراً شأنه شأن غيره من المذاهب التى حظرت، وصارت مرجعية أهل البيت مغمورة شأنها شأن غيرها من المراجع التى غمرت. المذاهب التى اعتمدتها دولة الخلفاء اعتمدت دولة الخلافة أربعة مذاهب، وأقرت بمرجعية واضعيها وهى: ۱ - المذهب الحنفى، وقد سمى باسم صاحبه أبو حنيفة، عتيك بن زوطى المعروف بالنعمان بن ثابت، المتوفى سنة ۱۵۰ ه / ۷۶۷ م. ۲ - المذاهب المالكى نسبة إلى مالك بن أنس، المتوفى سنة ۱۷۹ ه / ۷۹۵ م. ۳ - المذهب الشافعى نسبة إلى محمد بن إدريس الشافعى، المتوفى سنة ۲۰۴ ه / ۸۲۰ م. ۴ - المذهب الحنبلى نسبة إلى أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ۲۴۱ ه / ۸۵۵ م. وتفرعت عن الحنابلة فرقة تبعت أحمد بن عبد الحليم، المتوفى سنة ۷۲۶ ه / ۱۳۲۵ م، وهو المعروف بابن تيمية، وعرفت بالسلفية. وتفرعت عن السلفية فرقة عرفت بالوهابية نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب المتوفى سنة ۱۲۰۶ ه / ۱۷۹۱ م. وصارت هذه المذاهب مذهباً رسمياً لدولة الخلافة، وصار أصحابها مرجعيات معتمدة من قبل هذه الدولة التى طلبت من الناس، رسمياً، أن يقلدوا [صفحه ۲۶۴] هؤلاء المراجع الأربعة وأن يعتمدوا فقههم فى الأمور الدينية والدنيوية. ثم أغلق باب الاجتهاد رسمياً، وعلى العقل المسلم أن يبقى دائماً ضمن الدوائر الفقهية والعقلية التى رسمها أصحاب المذاهب الأربعة. ومع مرور الزمن دخل المسلمون فى هذه المذاهب الأربعة زرافات ووحداناً، ولم يبق خارجها إلا أهل بيت النبوة وشيعتهم الذين بقوا على مذهب أهل بيت النبوة الذى تعلموه من أهل البيت، وهو الإسلام أو مذهب النبوة الذى ورثوه من رسول الله [۲۱۴] . أهل بيت النبوة وأصحاب المذاهب الأربعة أصحاب المذاهب الأربعة علماء أفاضل حقيقة، ولكنهم لا يقاسون بأهل بيت النبوة لا نسباً ولا شرفاً ولا علماً ولا ديناً، لأنهم باختصار شديد ليسوا أحد الثقلين، وليسوا ذوى القربى الذين فرض الله مودتهم فى الكتاب، ولم يشهد الله لهم بالطهارة وذهاب الرجس عنهم، ثم إنهم ليسوا ورثة العلم والبيان النبوى، ولم ينتقل هذان إليهم بالطرق اليقينية الموثوقة التى انتقلا فيها إلى أهل بيت النبوة. إضافة إلى ذلك، فإن أهل بيت النبوة أساتذة أصحاب المذاهب الأربعة، فقد انقطع أبو حنيفة إلى مجلس الإمام جعفر الصادق طوال عامين، وطالما ردد جملته المشهورة: (لو لا السنتان لهلك النعمان). يقول ابن طلحة الشافعى: (واستفاد من الإمام جعفر الصادق جماعة من أعيان الأمة وأعلامها مثل مالك بن أنس وأبو حنيفة). وقال ابن حجر [۲۱۵] : وروى عن الإمام جعفر الصادق جماعة من الأئمة الكبار (كيحيى بن سعيد، وابن جريج ومالك، والسفيانى وأبى حنيفة). وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الشافعى من تلاميذ مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل من تلاميذ الشافعى فمعنى ذلك أن الإمام جعفر الصادق هو أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة الذين اقتدى بهم أهل السنة أو شيعة الخلفاء. وإذا جاز لنا أن نسأل دولة البطون: بأى مسوغ تقدمون التلاميذ على [صفحه ۲۶۵] الأستاذ، وتقدمون العلماء العاديين على أئمة أهل بيت النبوة؟ لكان جوابهم جاهزاً: تلك سنة سنها الخلفاء، فى الأمور السياسية والفقهية، فلقد قدموا على أهل بيت النبوة

من هم دونهم مرتبة وعلماً وشرفاً ونسباً، لمصلحة رأوها فى هذا التقديم. فإذا سألتهم: ما هى هذه المصلحة رعاكم الله؟ أغلقوا باب الحوار وظنوا بك الظنون! مذهب أهل بيت النبوة مذهب أهل بيت النبوة هو الإسلام اليقينى كما تلقوه عن جدهم رسول الله الذى عاشوا وإياه طوال حياته المباركة فى بيت واحد وتحت سقف واحد. وقد سمى بالمذهب الجعفرى نسبة إلى جعفر الصادق، الإمام الذى آل إليه علم أهل بيت النبوة، وتمشياً مع العرف الذى ساد آنذاك بنسبة المذهب إلى أستاذه ومرجعه المعاصر. ولم يتوقف الإمام جعفر الصادق يوماً عن القول: (حديثى حديث أبى، وحديث أبى حديث جدى وحديث جدى حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله). كان يقول ذلك علناً على رؤوس الأشهاد! ومع هذا فإن دولة الخلافة حظرت هذا المذهب رسمياً مع علمها بأنه مذهب أهل بيت النبوة ومذهب النبى يقيناً، ومع علمها بأن جعفر الصادق هو أستاذ أصحاب المذاهب الأربعة التى اختارتها مذهباً رسمياً للدولة! وذلك تنفيذاً لسنة الخلفاء بتقديم المفضول على الأفضل ومراعاة لمصلحة المسلمين! وهكذا صار مذهب أهل بيت النبوة ممنوعاً، وصارت مرجعيتهم غير معتبرة، وصار الذين يتمذهبون بمذهبهم شذاذاً ومبتدعة على حد تعبير ابن خلدون! علم النبوة والبيان النبوى الأمثل لم تكتف دولة البطون بحصر المراجع بأربعة ولا بحصر المذاهب الفقهية بالمذاهب الأربعة، وحظر ما سواها وعدم اعتباره، بل زكت الأحاديث النبوية التى رواها ستة من العلماء وباركتها، وشهدت بأن الأحاديث الواردة فى مؤلفات أولئك العلماء الستة هى الأحاديث الصحيحة والموثوقة، وهى قمة ما وصل إلينا من علم النبوة ومن البيان النبوى. ولا تخفى أهمية شهادة دولة الخلافة وعلمائها، فى ثبيت كتب السنة الستة التى عرفت فيما بعد بالصحاح واعتبارها، وهى: [صفحه ۲۶۶] ۱ - صحيح البخارى لمؤلفه محمد بن إسماعيل، المتوفى سنة ۲۵۶ ه / ۸۶۹ م. ۲ - صحيح مسلم، لمؤلفه مسلم بن الحجاج النيسابورى، المتوفى سنة ۲۶۱ ه / ۸۷۴ م. ۳ - سنن ابن ماجه، لمؤلفه محمد بن يزيد القزوينى، المتوفى سنة ۲۷۳ ه / ۸۸۶ م. ۴ - سنن أبى داود، لمؤلفه سليمان بن الأشعث السجستانى، المتوفى سنة ۲۷۵ ه / ۸۸۸ م. ۵ - سنن الترمذى، لمؤلفه محمد بن عيسى الترمذى، المتوفى سنة ۲۷۹ ه / ۸۹۲ م. ۶ - سنن النسائى، لمؤلفه أحمد بن شعيب النسائى، المتوفى سنة ۲۰۳ ه / ۸۱۸ م. وبعضهم يقدم سنن الدارمى لمؤلفه عبد الله بن عبد الرحمن، المتوفى سنة ۲۵۵ ه / ۸۶۸ م على سنن النسائى. وقام علماء شيعة الدولة بتقليد هؤلاء الستة فى تقويم أحاديث الرسول، وأوصدوا باب البحث وإعمال العقل فيها. وقد أثبتنا، فى كتابنا: (الخطط السياسية)، أن دولة الخلافة، بعد وفاة النبى، وحتى من عمر بن عبد العزيز، قررت محاصرة أحاديث الرسول ومنع كتابتها وروايتها. وعملياً، وبعد ۹۵ عاماً، من الشد والإرخاء، ومن الحصار، رفعت الحظر عن أحاديث الرسول بعد أن ثبتت منهاجها التربوى والتعليمى. عندئذ، بدأ علماء الدولة يتسابقون على رواية ما كان متداولاً من أحاديث الرسول وكتابته. وقد جمعوها بطرقهم الخاصة، واعتبروا المؤلفات الستة السابقة بمثابة عنوان الكمال فى علم النبوة وبيان النبى! أما علم النبوة وبيان النبى المروى عن طريق أهل بيت النبوة وشيعتهم فلم يكن له اعتبار، وعتم عليه وأهمل إلا تندراً أو لغايات الاحتجاج به لإثبات شرعية الخلفاء وعلمهم وعملهم وسننهم أو سعة صدورهم. وبلغ حذر شيعة الخلفاء حداً أنهم كانوا يرفضون أى رواية إذا كان أحد رواتها من شيعة أهل بيت النبوة أو محبيهم على اعتبار أنه غير ثقة لأن التشيع لأهل بيت النبوة ومحبتهم ينفيان ثقة الرواى! [صفحه ۲۶۷] شرعية التحزب والتشيع ليس على المسلم من حرج لو تشيع لأبى بكر أو لعمر أو لعثمان أو لمعاوية أو لمروان بن الحكم، أو حتى ليزيد بن معاوية، أو لسالم مولى أبى حذيفة، أو لأبى حنيفة أو الشافعى أو مالك أو ابن حنبل أو لأية شخصية بارزة، أو شخص عادى، فلا يلام المسلم على هذا التشيع أو التحزب. وقد أثبتنا فى الفصول السابقة أنه كان لكل واحد ممن ذكرنا شيعة خاصة به، ترى فضله وتفوقه، وتعمل على دعمه لكن ليس مباحاً ولا مشروعاً لأى واحد من المسلمين أن يتشيع لعلى بن أبى طالب، أو ابنه الإمام الحسين أو ابنه الإمام على، أو ابنه محمد الباقر، أو ابنه جعفر الصادق أو أية شخصية من شخصيات أهل بيت النبوة، لأن التشيع لأى إمام من أئمة أهل بيت النبوة يؤدى إلى تفريق المسلمين، وتشتيت جماعتهم! ويقع المحظور نفسه فى حالة التشيع لأى عالم أو فقيه من شيعتهم. وعلى مستوى الفئات والجماعات، يمكن للمسلم، وبكل احترام، أن يتشيع لبنى تيم، أو لبنى عدى، أو لبنى أمية، أو لبنى مخزوم أو لأى بطن من بطون قريش، أو لأية قبيلة من قبائل العرب أو العجم ولكن من غير الجائز، حسب

شريعة دولة الخلافة، أن يتحزب المسلم أو يتشيع لأهل بيت النبوة، أو لبنى هاشم، لأن هذا التحزب أو التشيع لهؤلاء، شق لعصا الطاعة، وتفريق للجمعة والجماعة! ولقد تكرست هذه المفاهيم فى أذهان العامة والخاصة، وتوارثوها كما يتوارثون المتاع، ولعمرى إن هذا الدليل قاطع على عبقرية كيد خلفاء البطون وعظمته، فهم الذين أسسوا قواعد منهاجهم التربوى والتعليمى! ولم يختلف الأمر فى العصر الحديث، فمن حق أى مسلم - أى مواطن - أن يتشيع لهذا الحاكم أو ذاك، لهذا العالم أو ذاك، لهذا المفكر أو ذاك. يمكن للمواطن أن يتشيع، أو يتحزب، لكارل ماركس، أو لميشيل عفلق، أو لأنطوان سعادة، أو لحسن البنا، أو لتقى الدين النبهانى، أو لابن تيمية، أو لمحمد عبد الوهاب، وأن ينشر أفكاره، فلا تثريب عليه، لأنه مواطن حر فى بلد حر، ولأن الناس يعيشون حياة ديمقراطية، وينصحون بالحرية، ولكن محظور على أى مسلم [صفحه ۲۶۸] أو مواطن أن يتشيع لأهل بيت النبوة، أو لبنى هاشم، ومحظور عليه أن ينشر فكرهم وآراءهم، كما تنشر أفكار الفئات والجماعات الأخرى وآراؤها! لماذا؟ لأن هذا النشر يعد إثارة للنعرات الطائفية، ما يعرض الوحدة الوطنية الداخلية للخطر! وأتباع جميع المذاهب، والمتشيعون والمتحزبون لكل الرجالات والفئات، وأتباع كل الديانات، يمارسون جميع نشاطاتهم وشعائرهم، ويجهرون بمعتقداتهم بكل حرية من دون مضايقة من أحد، ومن دون استغراب أحد! الحزبى القومى، الحزبى الدينى، المسيحى، اليهودى، البوذى جميعهم أحرار فى ممارسة معتقداتهم والجهر بها، ولا تشكل ممارساتهم أو جهرهم أى خطر على الأمن الداخلى أو الخارجى للمجتمع، والمكبوت الوحيد والمضطهد الوحيد هو الذى يتشيع لأهل بيت النبوة، أو يسير على مذهبهم، أو يحاول أن يهجر بفكرهم! لأن هذا يثير الاستغراب، ويولد الحساسية والنفور! والملفت للانتباه أن هذا الكبت والاضطهاد والحجر على حريات أتباع مذهب أهل بيت النبوة لم يكن نتيجة لعمل السلطة الحاكمة فى أى بلد إسلامى، وإنما هو نتيجة تعصب وحساسية المتدينين من شيعة الخلفاء أو أهل السنة، فما زالت نفوسهم مسكونة بالمنهاج التربوى والتعليمى الذى أشربهم إياه الخلفاء، وهم يعتقدون حتى الآن فى (عالم لا وعيهم) أن أهل بيت النبوة وشيعتهم يشكلون خطراً على خلفاء البطون! وهم فى عالم (اللاوعى) ما زالوا يعتقدون أن نظام الخلافة ما زال قائماً! وهذا برهان قاطع على عمق استيعابهم للمنهاج التربوى والتعليمى الذى أو دعته دولة البطون كل عبقريتها وكيدها، وكل قدرتها على التخطيط، فأظهرت أصحاب الحق الشرعى (أهل بيت النبوة) بمظهر من ينازع الأمر أهله! وبمظهر الجائعين للسلطة والجاه! والساعين لشق عصا الله، وتفريق الجماعة، وخراب الدين! وأظهرت شيعة أهل بيت النبوة والمتعاطفين مع قضيتهم العادلة بمظهر أعداء الإسلام الذين لا هم لهم إلا هدمه متسترين بالتشيع والتحزب والتعاطف مع أهل بيت النبوة! [صفحه ۲۶۹] النجاح المنقطع النظير نجحت دولة البطون نجاحاً منقطع النظير فى جعل المنهاج التربوى والتعليمى الذى اخترعه خلفاؤها عقيدة خاصة للأكثرية الساحقة من أفراد الرعية الإسلامية، مثلما نجحت فى إظهار أهل بيت النبوة وشيعتهم القلة بمظهر الشواذ المبتدعة، على حد تعبير ابن خلدون! وصار هذا المنهاج مفتاح الدنيا والآخرة، فإذا أردت الدارين فعليك بمنهاج دولة البطون! ونجحت دولة البطون فى مزج منهاجها التربوى والتعليمى بالدين الإسلامى، وألقت فى روع المسلمين أنه المنهاج الدينى الإسلامى، وأنه لا يوجد للإسلام سواه. ونجحت فى إقناع الرعية والعالم بأنه دين الإسلام الذى جاء به محمد رسول الله وجهان لعملة واحدة! ونجحت فى تسويق الاثنين معاً ; فإما أن تأخذ دين الإسلام ومنهاج دولة البطون معاً فتكون مسلماً ومن أهل الجنة، أو تترك الاثنين معاً فتكون مجرماً أو من أهل النار! ونجحت دولة البطون فى إقناع الأكثرية الساحقة من المسلمين بأن خلفاءها هم خلفاء رسول رب العالمين طاعتهم كطاعة الرسول، ومعصيتهم كمعصية الرسول! وأن الله قد اختارهم لقيادة الأمة وخلافة الرسول، فهم ثمرة الإرادة الإلهية والقضاء الإلهى، ولا راد لقضائه على حد تعبير معاوية! فما كان للخلفاء أن يخلفوا الرسول لولا إرادة الله وقضاؤه! ونجحت دولة البطون فى إقناع الأكثرية الساحقة من الأمة بأن خلفاءها هم أقرباء النبى وأبناء عشيرته قريش، وأن الهاشميين ليسوا سوى بطن من بطون قريش ال ۲۵، ونصيبهم بمحمد ليس أكثر من نصيب أى بطن من بطون قريش وأن الخلاف مع الهاشميين قد حسمه الله تعالى لصالح البطون فأعطى البطون الملك وحرم الهاشميين! ثم إنه تعالى قد خص الهاشميين بالنبوة، والنبوة شرف عظيم، وحرم بقية البطون من هذا الشرف، فهل من العدل أن يأخذ الهاشميون النبوة والخلافة معاً وأن يحرموا البطون من هذين الشرفين معاً، وهم أبناء

عمومـة؟ ونجحت دولة البطون فى إقناع الأكثرية الساحقة من الأمة بأن أهل بيت [صـفحه ۲۷۰] النبوة خطر مشترك على الجميع لأـن همهم منصب على استرجاع منصب الخلافة من المسلمين، والاستحواذ عليه والتفرد به من دون الناس! لذلك يتوجب على الأمة الحذر الشديـد من مطـامعهم، والحـذر كـل الحـذر من شـيعتهم ; لأـن أهـل البيت من دون شـيعة تلتف حولهم لن يشـكلوا خطراً على الأـمة الإسـلامية، فمصدر الحظر هو الشـيعة، لإن الأمر مستقر، والفتنة نائمة والشيعة يريدون أن يوقظوها من نومها العميق! وقد لعن رسول الله مـن أيقـظ الفتنـة وهى نائمـة. إذاً فشـيعة أهـل الـبيت ملعونـة! ومن واجب الرعيـة أن تقاومهـا وتلعنهـا حـتى يرضـى الله ورسـوله عنهـا. واسـتجابت الأكثريـة الساحقـة من الأمة فلعنت الشـيعة وعدتها العدو اللدود للأمة بجرم التعاطف مع أهل بيت النبوة! وقد تسامح خلفاء البطون وأولياؤهم مع اليهود والنصـارى وعـاملوهم برفق ورحمـة بـدعوى أنهم أهـل الكتـاب، وعـاملوا إخوانهم من المسـلمين الـذين تعاطفوا مع أهل بيت النبوة بمنتهى القسوة والفظاظة، فصار النصـرانى، أو اليهودى، أحب إلى قلوب العامـة من رجل يتشـيع لأهل بيت محمـد! أسـباب هـذا النجـاح المنقطع النظير دولـة البطون، كأى دولـة أخرى، لها رئيسـها ووزراؤها، ولها حكام أقاليمها، بيـدها المالية ومواردهـا ومختلف الإمكانيـات، ولهـا جيشـها الكبير الـذى يتقاضـى رواتبه من خزانتها، ويخضع تماماً لأوامر قيادتها فينفـذها من دون إبطاء، ولها أيضاً مدارسها وجامعاتها ومعاهدها التى تتولى الإشراف الكامل عليها، ولها جهازها الإعلامى الخاص بها الذى يعمل تماماً وفق توجيهاتها. وتتميز دولـة البطون من رأى دولـة أخرى بأنها كانت دولـة عائليـة أو قبليـة من جميع الوجوه، فقائـدها وكبار رجالاتها وولاتهـا من قريش، أو من أبنـاء قبائل أخرى أثبتوا ولاءهم لدولـة البطون واقتناعهم بعقيـدتها السياسـية. فكانت دولـة البطون منسـجمة باللحمـة القبليـة ومسـلحة بالـدين، ما يجعل من طاعتها واجباً دينياً! ثم إنها كانت دولـة فتيـة ومنظمـة، فطرق جباية المال معروفة وطرق إنفاقه معروفـة. وكان المال عصب الحياة عملياً، وكانت الأكثريـة الساحقـة من الرعية تأخذ أرزاقاً أو عطاء من الدولة، وكان هذا الرزق أو العطاء حقاً خالصاً للمسـلم يأخـذه من رسول الله من [صـفحه ۲۷۱] دون أن يفتش الرسول عمـا فى قلبه. ولما اسـتولت البطون على منصب الخلافة تحول هذا المال إلى سـلاح جبار بيدها فتوغلت إلى ضـمائر الأفراد ونفوسـهم فصار من واجب المسـلم أن يثبت ولاءه لهـا وأن يثبت نفوره من أعـدائها، وعلى رأسـهم أهـل بيت النبوة ومن يتشـيع لهم أو يتعاطف مع قضـيتهم، وأن يلتزم ببرنامجهما ومنها جهما التربوى والتعليمى، فإن فعل ذلك يأخـذ رزقه وعطاءه ويأخذ نصـيبه من المغانم والمكاسب. وإن لم يفعل ذلك فلا رزق له ولا عطاء ولا نصـيب، ويوضع فى قائمـة المشـبوهين الـذين يريدون تفريق الجماعة وشق عصا الطاعة، ومن الطامعين بغصب الأمر من الأمة وإيقاظ الفتنة من نومتها، وجزاؤهم على المسـتوى الاقتصادى أن يموتوا جوعاً وحرماناً، وعلى المسـتوى الدينى أن يموتوا ميتة جاهلية. وقد تعجل دولة البطون بمنية بعضهم فتقتله إذا أو جست منه خطراً كما قتلت سعد بن عبادة، والحسن بن على وحجر بن عدى، وعمرو بن الحمق وهم من أجلاء الصـحابة وغيرهم! فى هـذا المناخ، وبهذه الطرق، رعت دولة البطون منهاجها التربوى والتعليمى وغرسـته فى النفوس خلال مـدة تزيـد على مئة عام! وماتت الأجيال التى عرفت الحقيقـة وشـهدت عصـر التحول الأعظم، وجاءت أجيال جديـدة، فوجـدت كـل شـئ جاهزاً ومكتوباً، ووجـدت كامل المنهاج فتقبلتها بقبول حسن، واعتبرتها ثمرة إجماع الأكثريـة الساحقـة من الأمـة، واعتبرتها عين الدين الذى جاء به محمد رسول الله! فصار تمسكها بالمنهاج التربوى والتعليمى لدولة البطون رمزاً لتمسكها بالدين! ولو عرفت بطلان هـذا المنهاج، وظروف فرضه وأيلولته إليهم لما تمسـكت به، ولكنها تجهل كل ذلك. ومن هنا تعاملت مع هـذا المنهاج وثمراته تعاملهـا مع حقـائق دينيـة لاـ تقبـل التبـديل أو التغيير أو المناقشـة! أو على أنها عبادات لا تعلل! وبمعنى آخر، إن دولـة البطون فرضت منهاجها التربوى والتعليمى بقوة الدولة وإمكانياتها الهائلة، ووثقت هذا المنهاج بالأسـلوب نفسه. وبعد موت الذين شهدوا حالة التحول الكبرى جاءت الأجيال اللاحقة واعتبرت هذا المنهاج ثمرة رضـى الأغلبية الساحقة من الأمة وإجماعها فتمسـكت بوصفه الحق المبين والدين الذى جاء به سـيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم. واقتصر دور أهل القرون اللاحقة على تمجيد [صفحه ۲۷۲] سنن القرن الأـول وأعرافه وسوابقه وعلى إثبـات شـرعية تلـك السـنن والأـعراف والسوابق، واختراع المسوغات لما اعتبره بعض معارضـيهم أخطاء وهنات. القـدرة العجيبـة لإعلام دولـة البطون برع إعلام دولة البطون أيما براعة، وكان من أقوى الأسـباب التى رسـخت مفاهيم

المنهاج التربوی والتعلیمی للدولة وأعظمها فجعل منه عقیدة دینیة بکل ما للکلمة من معنی، وکانت له القدرة علی تقدیم الباطل وتصویره بصورة الحق وتقدیم أعداء الله ورسوله وتصویرهم بصورة أولیاء الله وملائکة الرحمة ورسل الهدایة الربانیة! مثلما کانت له القدرة علی التنفیر من أولیاء الله ورسوله وتقدیمهم للناس وإبرازهم بصورة مردة الشیاطین! ونسوق مثلاً، علی مستوی الأشخاص، علی بن أبی طالب ومعاویة بن أبی سفیان. فوالد علی بن أبی طالب هو عم النبی وهو الذی احتضن النبی ورباه حتی بلغ أشده، ولما أعلن النبی أنباء النبوة والرسالة جمع أبو طالب الهاشمیین ووحدهم وأعلن حمایته للنبی، وأعلن أمام بطون قریش أنها إذا مست شعرة واحدة من محمد فسیقاتلهما ومعه الهاشمیون حتی الفناء التام. ولما مات أبو طالب قال الرسول: الآن نالت منی قریش، وسمی عام موته بعام الحزن. أما أبو سفیان، والد معاویة، فقد وحد البطون ضد محمد وبنی هاشم وتآمر علی قتل النبی، وصد عن سبیل الله ۱۵ عاماً (الآونة التی قضاها النبی فی مکة قبل الهجرة)، ولما تمت الهجرة جیش أبو سفیان الجیوش وقاد بطون قریش فی حربها العدوانیة علی الرسول ثم جمع العرب فی غزوة الأحزاب، وقادها بنفسه للقضاء علی رسول الله، وظل یحارب بکل قواه حتی فوجئ بجیش الإسلام یدخل مکة فاضطر اضطراراً لإعلان إسلامه! وبقدرة إعلام دولة البطون صار أبو سفیان صحابیاً جلیلاً ومن أهل الجنة دفعة واحدة! وصار أبو طالب مشرکاً ومن أهل النار! ومن أجل عیون النبی سیجعل الله أبا طالب فی جهنم وفی ضحضاح من النار حسب روایة المغیرة بن شعبة المعروف بحقده علی آل محمد! هذه هی القناعة العامة للأکثریة الساحقة من المسلمین، وهم شیعة الخلفاء أو أهل السنة! وهذه القناعة جزء لا یتجزأ من [صفحه ۲۷۳] العقیدة الدینیة لتلک الأکثریة، فأی شخص فی الدنیا یصدق هذه النتائج التی توصل إلیها إعلام البطون؟ وأی عدالة وضعیة أو سماویة یمکن أن تتوصل إلی هذین الحکمین؟! فتعالی الله لا إله إلا هو رب العرش الکریم عما یصفون! کذلک نسوق مثالاً آخر عن علی ومعاویة، فعلی هو ابن عم النبی، اصطفاه النبی وهو فطیم ورباه فی حجره، واتبعه فی حله وترحاله، فکان بمثابة ابن له، ولما أعلن الرسول النبوة کان علی أول من اتبعه، ثم زوجه بأمر من ربه ابنته الزهراء، وبقی معه فی بیته طوال حیاته المبارکة وکان علی فارس الإسلام وحامل لواء النبی فی کل زحف وهو الذی قتل صنادید قریش علی الإسلام، وممن قتل حنظلة شقیق معاویة وعتبة جده وشیبة خاله.. الخ. ثم أعلن الرسول بأمر من ربه أن علیاً هو الإمام وهو الخلیفة وهو الولی من بعد النبی للمسلمین عامة ولکل مؤمن ومؤمنة خاصة.. الخ. أما معاویة فقد اشترک مع أبیه فی مقاومة الرسول وفی التآمر علیه، واشترک مع أبیه فی حرب الرسول وقیادة البطون والأحزاب، ولم یترک وسیلة من وسائل المقاومة، ولا فناً من فنون الحرب، إلا استعمله ضد الرسول حتی إذا تم فتح مکة، وأحیط بمعاویة اضطر لإعلان إسلامه مکرهاً، فصار کأبیه طلیقاً، ومن المؤلفة قلوبهم وصحب الرسول سنة وهو علی حاله! ومات الرسول وهو علی حاله! وبقدرة إعلام دولة البطون، وحسب تقدیم خلفائها، صار معاویة المؤهل الوحید لولایة بلاد الشام کلها، والوالی الوحید الذی لا یسأل عما یفعل بولایته طوال عشرین عاماً، وصار الصحابی الجلیل، وکاتب الوحی الأمین وأمیر المؤمنین حبه دین، والخروج علیه فسوق وکفر، وموالاته إیمان وکرهه عصیان. وصار علی بن أبی طالب، حاشا له، یستحق السب والشتم واللعن فی العشی والإبکار، تنفیذاً لأمر معاویة وأرکان دولة البطون! واقتنعت الأکثریة الساحقة من المسلمین بأن سب علی ولعنه وشتمه، تنفیذاً لأمر معاویة، أمور تقربها من الله زلفی فلعنته بالفعل فی جمیع الأوقات، وصار ذلک جزءاً من العقیدة [صفحه ۲۷۴] الدینیة للأکثریة الساحقة من أبناء الأمة الإسلامیة! فتعجب لا أراک الدهر عجباً، ولکن عجبک یزول إذا عرفت قدرة إعلام البطون، تلک القدرة القادرة علی تحویل الأسود إلی أبیض فاقعاً والأبیض إلی أسود قاتماً! وبقدرة قادر، صار الذی یحب معاویة ویتشیع له ثقة مؤتمناً علی نقل أحادیث الرسول والمشارکة فی إدارة دولة المسلمین، وصار عاشقاً لوحدة المسلمین ومشفقاً علیها! أما الذی یحب علیاً بن أبی طالب ویتشیع له فهو لیس بثقة، ولا یؤتمن علی نقل أحادیث الرسول، وینبغی أن یجرد من حقوقه المدنیة فلا تقبل له شهادة. ومن باب سد الذرائع یجب أن یقتل کل أولئک الذین یوالون علیاً وأهل بیت النبوة حتی لا یفرقوا الأمة بعد اجتماع کلمتها علی أمیر المؤمنین معاویة! لیس فی الدنیا کلها عاقل واحد یمکن أن یقبل هذا المنطق أو یستسیغه أو یرتاح ضمیره إلی تلک الأحکام الجائرة! فتعالی الله عما یصفون. وأخیراً، فإننا نسوق مثلاً لجماعتین لنری قدرة إعلام دولة البطون علی قلب الحقائق:

۱ – الجماعة الأولى: الهاشميون هم بطن النبى الأدنون، وهم الذين احتضنوه وحموه من بطون قريش، ولولاهم لقتلته هذه البطون وهم الذين قاطعتهم جميع بطون قريش وحاصرتهم فى شعب أبى طالب ثلاث سنين حتى اضطرتهم إلى أن يأكلوا ورق الشجرة من الجوع وأن يمصوا الرمال من العطش. وقادة الهاشميين كانوا قادة جيش النبى خلال حروب البطون العدوانية على رسول الله، ومن الهاشميين أهل بيت النبوة الذين أذهب الله عنهم الرجس، وأهل المودة الذين فرض الله مودتهم، وأحد الثقلين، والآل الكرام الذين لا تجوز صلاة مسلم إن لم يصل عليهم! ۲ – الجماعة الثانية: بطون قريش ال ۲۳، وهى البطون التى كذبت النبى وقاومته ۱۵ سنة قبل الهجرة، وتآمرت على قتله وحاصرته مع الهاشميين فى شعب أبى طالب، ثم جيشت الجيوش وحاربته واستعدت عليه العرب، وصدته عن سبيل [صفحه ۲۷۵] الله ۲۱ عاماً حتى أحيط بها ودخل الجيش الإسلامى مكة، فاستسلمت ثم أعلنت إسلامها مضطرة! وجاء المنهاج التربوى والتعليمى للبطون، وجاء إعلامها الخارق، فأقنع الأكثرية الساحقة من المسلمين بأن أبناءها أقارب النبى، وهم أولى به من بنى هاشم، وأن مصلحة الإسلام تقتضى أن يقدموا ويؤخر الهاشميون، وأن محبتهم واجب دينى على كل مسلم ومسلمة وتلزمه موالاتهم. أما موالاة أهل بيت النبوة ومحبتهم والقول بحقهم بقيادة الأمة فهى من جرائم الخيانة العظمى التى يستحق مرتكبوها القتل وهدم الدور! لماذا؟ لأنها تفرق الأمة بعدما اتحدت خلف أمير المؤمنين، وتشق عصا الطاعة لمن أوجب الرسول طاعته! واقتضت الأكثرية الساحقة من الأمة، بالفعل، بإعلام دولة البطون، فوالت الأبعد، وحاربت الأقرب، وقدمت أعداء الله ورسوله وأخرت أولياء الله ورسوله، وأصبحت هذه القناعة جزءاً من دينها ومعتقدها، فتعالى الله الحق عما يصفون! حصانة الخلفاء وحصانة منهاجهم التربوى والتعليمى لأن شيعة خلفاء البطون آمنوا بأن الدين الإسلامى والمنهاج التربوى للبطون مظهران لشئ واحد، أو وجهان لعملة واحدة، فقد استماتوا حقاً بالدفاع عن الخلفاء والمنهاج الذى اخترعوه، وهم يعتقدون حقاً أن دفاعهم هذا هو دفاع عن الدين نفسه. ومع انتشار العلوم، واستعادة العقل البشرى لدوره، وتخفيف قبضة الخلفاء وأوليائهم، واسترداد الناس لمزيد من الحريات، بدأ العقلاء يكتشفون عدم منطقية الكثير الكثير من مبادئ منهاج البطون، واستحالة الدفاع عنه وعن سلوك واضعيه، ويصفون أعمال الخلفاء بالصواب والخطأ، ويخصصون منهاجهم للدراسة العلمية بغية الاستفادة من تجارب الماضى لتجنب أخطائه وهناته. ولم يكن هنالك ما يمنع من ذلك عند شيعة الخلفاء إذا كان القصد من البحث والدراسة إضفاء صفة الكمال على المنهاج التربوى والتعليمى لدولة البطون وكيل المديح له! ولكنها تفاجأ بمن يقول: لقد أخطأ الخليفة الأول بكذا وأخطأ الخليفة الثانى بكذا، وأخطأ الخليفة الثالث بكذا وكذا، وأخطأ معاوية بكذا وكذا وكذا، وأخطأ (أمير [صفحه ۲۷۶] المؤمنين) يزيد! عندما هدم الكعبة وقتل ابن الرسول وأحفاده فى كربلاء.. الخ وأخطأ عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة بكيت وكيت.. وجن جنونها، فالقول بأن النبى الأعظم، حاشا له، قد أخطأ أخف وطأة على نفوسهم ومسامعهم من القول بأن الخليفة الأول أو الثانى أو الثالث قد أخطأ! ذلك فكروا وقدروا وخرجوا بحل مضمون يقضى بعقوبات صارمة بحق الباحثين، فصار الطعن فى أى واحد من الخلفاء أو فى أى واحد من الصحابة الكرام كفراً بواحاً! فمن طعن بأبى بكر أو بعمر أو بعثمان أو بمعاوية أو بمروان بن الحكم الذى لعنه الرسول أو بعمرو بن العاص أو بالمغيرة بن شعبة، أو بأى صحابى على الإطلاق، فهو كافر من جميع الوجوه لا يواكل ولا يشارب، ولا يعلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين! ولاح للقوم أنهم قد أضفوا الحصانة التامة على الخلفاء وعلى منهاجهم التربوى والتعليمى! وقال بعضهم بضرورة قتل الطاعن، وقال آخرون: يستتاب فإن لم يتب يقتل، وقال آخرون بعدم جواز لمسه إذا مات بل يدفع بخشبة ويوارى فى حفرته [۲۱۶] . وغنى عن البيان أن هذه الحصانة التى أضيفت على الخلفاء وعلى أعوانهم وعلى منهاجهم التربوى والتعليمى، وتلك العقوبات التى اخترعت لمعاقبة منتهكى تلك الحصانة لم ترد فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله، إنما اخترعها علماء أو موالون الدولة البطون حسب عقلهم ومبلغهم من العلم، وهى خارجة تماماً عن إطار التشريع الإلهى! فعبد الله بن أبى يقول علناً: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)، وهو يقصد بالأذل رسول الله، ومع هذا لم يقتله النبى، وقال للذى اقترح عليه قتله: (كيف يقال بأن محمداً يقتل أصحابه؟) وعند عودة النبى من غزوة تبوك، واكتشافه للمتآمرين على قتله، قال بعض أصحابه: لماذا لا تقتلهم يا رسول الله؟ فقال: إنى أكره أن تقول العرب أن محمداً بعد

أن انتهت حربه مع المشركين أخذ يقتل أصحابه! بل ماذا قال الرسول لعمر بن الخطاب يوم قال له عمر وجهاً لوجه: (أنت تهجر ولا حاجة لنا بوصيتك) فهل عدة الرسول كافراً؟ هل [صفحه ۲۷۷] أمر بألا يدفن فى مدافن المسلمين؟ أو أن لا يؤاكل ولا يشارب؟ ولكن لا تعجب، فمحمد يمثل الدين الحنيف بكل سماحة وروحه ومعانيه ; وشيعة البطون ومخترعو الحصانة والعقوبات يمثلون الميول الإنسانية والعواطف البشرية المتناقضة، وهم يريدون أن يجعلوا الإسلام العظيم فى حجم عقولهم ومبلغهم من العلم وأن يمرروا هذا الدين من خلالها تماماً كمن يريد أن يدخل الجمل فى سم الخياط، فتعالى الله عما يصفون! إنها لكبيرة حقاً أن يخترع العالم أو المحب، أو الإنسان أحكاماً من عند الله ثم يلحقها بشرع الله، ويدعى أنها جزء من دين الله ليرغم أنوف الذين يختلفون معه فى الرأى، وليخضع الجنس البشرى لعقله وفهمه، وليجبرهم على التفكير بطريقته والوصول إلى ما وصل إليه! والسؤال الذى يطرح نفسه: هل هذه الحصانات جائزة حقاً؟ وهل يملك العلماء الذين اخترعوا هذه الحصانات والعقوبات سلطة فرضها وصلاحية ذلك؟ وعلى فرض أنهم ملكوا السلطة والصلاحية فهل يحق لهم ضم القوانين التى اخترعوها إلى القانون الإلهى؟ والإيجاد للناس بأن قوانينهم تلك قوانين إسلامية؟ فتعالى الله عما يصفون! تسمية الأمور بأسمائها هى الطريق الأوحد لوحدة المسلمين وحدة المسلمين فرض على جميع المسلمين، والعمل على تحقيقها واجب دينى على كل مسلم ومسلمة. وشيعة الخلفاء هم الأكثرية الساحقة من المسلمين، فإذا أرادوا حقاً العمل على أداء فريضة وحدة المسلمين، والقيام بهذا الواجب الدينى، فعليهم أن يسموا الأمور بأسمائها الحقيقية ويتوجب عليهم أن يسلموا: ۱ - بأن نظام دولة الخلافة التاريخية قد سقط نهائياً بسقوط آخر سلاطين بنى عثمان، ومن المشكوك فيه تمكن هذا النظام من العودة إلى المسرح السياسى العالمى ثانية. والأهم أنه ليس لأحد من الخلفاء سلطان على معاش أى مسلم أو رزقه، ما يجعل الشعور بالخوف والرهبة من الخلفاء ضرباً من ضروب الأوهام الكامنة فى اللاوعى! [صفحه ۲۷۸] ۲ - بأن النظام السياسى الإسلامى الذى أنزله الله على عبده وطبقه، خلال عهد دولة النبوة المبارك، ليس هو نظام الخلافة التاريخى، فالخلافة تعنى خلافة النبى، فإذا كان نظام الخلافة هو النظام السياسى الإسلامى كما تزعم شيعة الخلفاء، فما هو النظام السياسى الذى طبقه النبى؟ وهل يجوز للمسلمين أن يتجاهلوا عصر دولة النبى، ومفاهيمها وبناها الدستورية، وأن يتمسكوا بمفاهيم دولة الخلافة وبناها؟ وهل يجوز لهم أن يقتدوا بالخلفاء ويتخذونهم قدوة لهم، ويتركوا رسول الله وقد أمروا بأن يجعلوه قدوتهم وأسوتهم الحسنة؟ فهذه مخالفات صريحة للنصوص الشرعية القاطعة! قد يقال إن الخلفاء قد اقتدوا برسول الله ونحن نقتدى بهم! والجواب إنه لو كان جميع الخلفاء قد اقتدوا حقاً برسول الله لما آلت الأمور الإسلامية إلى ما آلت إليه!! ثم إن الرسول والخلفاء قد انتقلوا إلى جوار ربهم، فبدلاً من تقليد الخلفاء والاقتداء بهم لماذا لا نقلد الرسول ونقتدى به أليس هو الأولى؟ أليس هو الأصل؟ نحن لا ندعو إلى تجاهل تجربة دولة الخلافة، لكن هذه التجربة لا ينبغى أن تغنى عن (تجربة النبوة) أو تحل محلها! فليس هنالك ما يمنع من دراسة تجربة الخلفاء، والاستفادة مما كان صالحاً منها ونبذ ما كان طالحا على ضوء المعارف التى اتضحت، وبالمقاييس الشرعية المجردة ومن دون مواقف وأفكار وميول مسبقة! وفى هذا السياق فإننا نطلب من شيعة الخلفاء أن يفرقوا بين دولة النبوة ودولة الخلافة، وأن يتوقفوا عن تسويق الدولتين معاً، واعتبار هما وجهين لشئ واحد مع أن دولة النبوة شئ ودولة الخلافة شئ آخر! ۳ - لم يعد مقبولاً قول شيعة الخلفاء: إن المنهاج التربوى والتعليمى الذى اخترعته دولة البطون، وسخرت جميع مواردها لجعله عقيدة للرعية هو نفسه دين الإسلام الذى أوحاه الله لعبده. ولم يعد مقبولاً لتسويق الاثنين معاً وإظهارهما بمظهر الوجهين للشئ نفسه، مع أن منهاج دولة البطون شئ ودين الله الحنيف شئ آخر. ۴ - كذلك لم يعد مقبولاً قول شيعة الخلفاء: إن النصوص الشرعية التى أنزلها الله تعالى وأوحاها لعبده وتفسير الخلفاء وشيعتهم وفهمهم لهذه النصوص [صفحه ۲۷۹] شئ واحد، وأن لهما القداسة نفسها، أو أنهما وجهان لشئ واحد، فالنصوص الشرعية مقدسة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها لأنها من وحى الله تعالى، أما فهم الخلفاء وشيعتهم لهذه النصوص فشئ آخر يحتمل الصواب مثلما يحتمل الخطأ، وليس من حق الخلفاء ولا من شيعتهم أن يسوقوا النص الشرعى وفهمهم لهذا النص معاً. وليس من حقهم أن يكلفوا الآخرين بأن يتعاملوا مع النص الشرعى وفهم الخلفاء وشيعتهم لهذا النص بالقدر نفسه من التقديس والمساواة! وبتعبير أدق ليس من حق الخلفاء ولا

من حق شيعتهم أن يدعوا امتلاكك الحقيقة الشرعية، وأن يفرضوا فهمهم على الناس، أو أن يحولوا بين غيرهم وبين محاولة فهم الحقائق الشرعية. ۵ - لم يعد مقبولاً التقول بمقولات منها مقولة إن الذين يوالون الخلفاء ويتشيعون لهم ثقة وأمناء على الدين، وإن الذين يوالون أهل بيت النبوة ويتشيعون لهم ليسوا بثقة ولا أمناء على الدين! هذا المقولة جزء لا يتجزأ من المنهاج التربوى والتعليمى لدولة البطون! هذا المنهاج الذى صار عقيدة للأكثرية الساحقة من المسلمين الذين تشيعوا للخلفاء، والذين تشيعوا لأهل بيت النبوة ينتمون إلى دين واحد هو الإسلام، ولهم كتاب واحد هو القرآن، ولهم نبى واحد هو محمد رسول الله، فكيف صارت هذه الفئة ثقة وأمينة على الدين، وتلك الفئة ليست بثقة ولا بأمينة على الدين؟ وأنكى من ذلك أن العامة وبعض المنحرفين من شيعة الخلفاء يزعمون أن شيعة أهل بيت النبوة ملاحدة، أو كفرة أو زنادقة، أو خارجون على الجماعة إلى آخره من أقوال ترددها أسطوانة تلك التهم الفارغة المختلفة. وإذا كان التقول بهذه التهم مفيداً لمن يتقولون به فى عهد الخلفاء، طمعاً بمرضاة الخليفة أو استزادة لعطائه، أو لاستمرارية هذا العطاء، فليس له الآن من ضرورة بعد أن سقط نظام الخلافة، وفقدت مفاتيح بيوت الأموال! وأقصى ما يقال إن شيعة الخلفاء تتلمذوا على أيدى الخلفاء أو تبنوا مواقفهم رغبة أو رهبة، وشيعة أهل بيت النبوة تتلمذوا على يدى أئمة أهل بيت النبوة، وتبنوا مواقفهم. ولنقل إن للخلفاء وشيعتهم رأياً، وأن لأهل بيت النبوة وشيعتهم [صفحه ۲۸۰] رأياً آخر ضمن إطار الإسلام العظيم، فللاختلاف فى الرأى يسوغ هذا الكم المذهل من الحقد والعداء الذى تكنه شيعة الخلفاء لشيعة أهل بيت النبوة! فشيعة الخلفاء أغلقت قلوبها وأسماعها تماماً عن كل ما هو صادر عن شيعة أهل بيت النبوة بينما هذه القلوب والأسماع مفتوحة على مصراعيها لكل ما يصدر عن الملل والمعتقدات الأخرى! وقد آن الأوان لشيعة الخلفاء لتسمع وجهة نظر شيعة أهل بيت النبوة، وبسعة صدر، على الأقل كما تسمع من أبناء الملل الأخرى، وآن لها أن تتوقف عن التقول بالتهم الجزافية الفارغة، وأن تتقى الله فى ما تتقول على إخوان لها فى الدين الإسلامى الحنيف. ۶ - وأخيراً فقد آن الأوان لشيعة الخلفاء لتدرك مدى الظلم الذى ألحقته بأهل بيت النبوة، ولتدرك هزالة تأويلاتها للنصوص الشرعية التى خصت أهل بيت النبوة بمكانة خاصة ومميزة فى الأمة وعدم منطقيتها. فإذا قيل لشيعة الخلفاء إن ما تواتر عن طريق علمائكم الصادقين هو قول الرسول لعلى: (أنت الولى من بعدى، أو أنت ولى المؤمنين من بعدى) عندئذ تقول شيعة الخلفاء على الفور وبمنتهى الحماس: إن الرسول قد قصد من كلمة (الولى)، وكلمة (ولى) معنى المحب والناصر ولم يقصد إطلاقاً الرئاسة العامة للمسلمين! وإذا قلت لهم: (إن أبا بكر قد ولى أمر المسلمين من بعد الرسول فكان نعم الولى، وأن عمر كان ولى المسلمين من بعد أبى بكر، وأن عثمان كان الولى من بعده، وأن يزيد بن معاوية صار ولياً للمسلمين من بعد أبيه معاوية! عندئذ تقول لك شيعة الخلفاء وبكل حماس: صدقت، صدقت! فإذا قلت لهم: لماذا دلت كلمة ولى وولى المؤمنين، فى المثال الأول، على معنى المحب والناصر، ودلت الكلمة نفسها على من يتولى الرئاسة العامة للمسلمين فى المثال الثانى؟ عندئذ تجيبك شيعة الخلفاء وبالحماس نفسه: لو كان الرسول يقصد من كلمة الولى، وولى المؤمنين، الرئاسة العامة للمسلمين لما خالفه أبو بكر وعمر والصحابة الكرام! وهكذا صار فعل الخلفاء وأوليائهم قواعد شرعية تخصص العام والخاص مما أوحى الله لعبده! وإذا قلت [صفحه ۲۸۱] لشيعة الخلفاء إن الله جعل الصلاة على آل محمد ركناً من أركان الصلاة المفروضة على العباد، وهذا وحده برهان قاطع على مكانتهم المميزة فى الدين والدنيا، عندئذ يجيبونك بحماس: ۱ - إن العبادات ولا تعلل. ۲ - إن هذه فضائل وليس أحكاماً! وإذا قلت لهم، إن أهل بيت النبوة أحد الثقلين بالنص الشرعى، فلا يدرك الهدى إلا بالاثنين، ولا يمكن تجنب الضلالة إلا بهما معاً، فكيف تقطعون جميع أمور دينكم ودنياكم فى غيابهم وتغييبهم ومن دون علمهم؟ عندئذ يجيبونك بتبرم وبفتور ظاهر: (إن الرسول بشر يتكلم فى الغضب والرضى) فلا ينبغى أن يحمل كلامه كله على محمل الجد [۲۱۷] الخ. من تكل الحجج التى لا يقبلها عقل ولا منطق ولا دين. وإذا التمسنا عذراً للمتقولين بتلك المقولات فى عهد الخلفاء، فما هو عذرهم الآن بعد أن سقط نظام الخلافة، وفقد الخلفاء القدرة على التحكم بمعاشات الناس وأرزاقهم. فهل نتابع عملية تضليل المسلمين إكراماً لذكرى الخلفاء أو نتوقف ونعيد دراسة كل شئ للوقوف على الحقائق المجردة والمقاصد الشرعية من النصوص!؟ ويمكن لهذا الجهد المبارك أن ينجح نجاحاً ساحقاً إذا تضافر العقلاء من

شیعة الخلفاء مع عقلاء شیعة أهل بیت النبوة، وإذا وعت آذان الطرفین نهج أهل بیت النبوة الذین أحاطوا بالبیان النبوی، وورثوا علم النبوة، وأهلوا للقیادة والمرجعیة معاً. ۷ - کل أفراد الأمة المتنورین یدرکون أن الأمة الإسلامیة، قد تفککت، وهی بحاجة ماسة للوحدة، وأنها سقطت ولا بد لها من النهوض، وظهرت علی المسرح الإصلاحی والثوری أعداد لا حصر لها من الإصلاحیین والثوار علی شکل [صفحه ۲۸۲] أحزاب أو شیع وکل شیعة من هذه الشیع تقدم برنامجها الخاص مع مزاعمها بأنه أکسید الحیاة، وهدف کل شیعة أن تستولی علی السلطة وأن تتفرد بها ثم تفرض برنامجها (أکسید الحیاة) علی المسلمین بالقوة والتغلب فظهرت الأحزاب الدینیة العربیة، وظهرت الأحزاب القومیة، وقدم کل حزب من هذه الأحزاب مؤسس الحزب بوصفه المنقذ الوحید للأمة، وما علی الأمة إلا أن تلتف حوله لیصل إلی السلطة ویفرض بالقوة برنامجه الإنقاذی! والمثیر للدهشة حقاً أنه لا یوجد من المنقذین رجل واحد من أهل بیت النبوة، أو من بنی هاشم! فکأن القوی السیاسیة الشعبیة ما زالت مسکونة بالعقلیة نفسها التی سادت بعد وفاة النبی، والتی أجمعت علی استبعاد أهل بیت النبوة وبنی هاشم استبعاداً کاملاً عن قیادة الأمة! وقد تحققت وحدة الهدف، فبطون قریش ومن والاها کانت تریـد القیادة لنفسها، والأحزاب الدینیة والعربیة القومیة تریـد القیادة لنفسها أیضاً، فالقیادة معشوقة الجمیع وکافة شعارات الإنقاذ والإصلاح ما هی إلا من قبیل الوسائل التی تقرب العاشقین من معشوقتهم السلطة أو القیادة! إنه برنامج دولة البطون الضاربة جذوره فی أعماق نفوس الأکثریة الساحقة من المسلمین! واقتلاع هذه الجذور یحتاج إلی جهد جهید وعون من الله کبیر ومن دون اقتلاعها، ستراوح الأمة مکانها. فلا تدرک هدی ولا تتجنب ضلالة. جلسة الحوار الحادیة عشرة والأخیرة قال صاحبنا: لقد قرأت أجوبتکم حول تساؤلاتی المتعلقة بوحدة المسلمین، ویمکننی القول، وبکل ارتیاح: إننی الآن قد وقفت علی حقیقة التشیع والشیعة من أوثق المصادر، ولا- أشعر بأی حرج الآن لو أعلنت وعلی رؤوس الأشهاد،، وبکل وسائل الإعلان، إننی مع بنی هاشم، ومع أهل بیت النبوة، وإننی من حزبهم أو من شیعتهم، لأن طریقهم هی الطریق الأصوب، ومنهاجهم هو منهاج النبوة. ثم لماذا علی أن أشعر بهذا الحرج التقلیدی؟ فلقد عرف التاریخ القدیم الکثیر من الناس الذین تشیعوا وتحزبوا لمن هم أقل مرتبة، وأدنی مقاماً من أهل [صفحه ۲۸۳] بیت النبوة وبنی هاشم، فلقد تشیعت الأکثریة الساحقة من المسلمین وتحزبت لبنی أمیة وبنی مخزوم وبنی عدی وبنی تیم ولرجالات هذه البطون ولم نشعر بالحرج، ولم یلمها أحد بل اعتبرت الأکثریة ذلک من فضائلها ومناقبها. وفی العصر الحدیث، وجدت أعداد کبیرة من المسلمین تتحزب وتتشیع لا بن تیمیة، ولمحمد عبد الوهاب، ولحسن البنا، ولتقی الدین النبهانی، وحتی لمیشیل عفلق وکارل مارکس، ولم تشعر بالحرج ولا لامها أحد لأنها تحزبت أو تشیعت لهذا الرجل أو ذاک، أو لهذا المعتقد أو ذاک تحت شعار عصر الحریة. ولأن الحریة للجمیع فإننی أعلن تشیعی وتحزبی لأهل بیت النبوة ولبنی هاشم، أسأله تعالی أن یفتح علی الأخ الکبیر الذی بذل جهداً مییزاً وأنقذنی من حیرتی..

پاورقی

[۱] راجع: المنجد فی اللغة والمعجم الوسیط: مادة شیع.

[۲] راجع: لسان العرب لابن منظور، مادة شیع.

[۳] راجع: مختار الصحاح للرازی والمنجد، مادة شیع.

[۴] راجع: المعجم الوسیط. وتمعن فی المراجع السابقة، وراجع کتابنا: (النظام السیاسی فی الإسلام)، ص ۲۹۸ وما بعدها.

[۵] الدر المنثور، ۶ / ۳۷۹.

[۶] راجع: نور الأبصار للشبلنجی، ص ۸۰.

[۷] وحول هذه المعانی نفسها وتکرر ورود کلمة شیعة فی حدیث الرسول راجع: شواهد التنزیل للحاکم الحسکانی الحنفی، ۲ / ۳۵۶ - ۳۶۶، وکفایة الطالب للکنجی الشافعی، ص ۲۴۴ - ۲۴۶، والمناقب للخوارزمی الحنفی، ص ۶۲ و ۱۸۷، والفصول لمهمة لابن

الصباغ المالکی، ص ۱۰۷، وینابیع المودة للقندوزی الحنفی ص ۱۸، وفتح القدیر للشوکانی، ۵ / ۴۷۷.

[۸] رواه الطبرانی، راجع: معالم الفتن، ۲ / ۴۰۷.

[۹] راجع: المغازی للواقدی، ۲ / ۶۰۷.]

[۱۰] راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید، تحقیق حسن تمیم، ۳ / ۷۹۰.

[۱۱] راجع: شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید، تحقیق حسن تمیم ۱ / ۴۳۷.

[۱۲] راجع نهج البلاغة خطبة ۱۳۹.

[۱۳] راجع: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، دار الأضواء بیروت ص ۷۶۷.

[۱۴] راجع البدایة والنهایة لابن الأثیر، ۸ / ۱۳۳ نقلاً عن معالم الفتن، ۲ / ۱۸۸.

[۱۵] راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبی الحدید، ۳ / ۵۹۵، کما نقلها عن المدائنی فی کتابة الأحداث.

[۱۶] راجع الکامل لابن الأثیر، ۲ / ۲۳۱.

[۱۷] راجع تاریخ الطبری، ۴ / ۱۸۸، حوادث سنة ۵۱ ه.

[۱۸] المصدر نفسه.

[۱۹] تاریخ الیعقوبی ۲ / ۲۵۸.

[۲۰] راجع الکامل لابن الأثیر، ۳ / ۴۷۷ – ۴۷۸.

[۲۱] راجع شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید ۳ / ۵۹۵ تحقیق حسن تمیم.

[۲۲] راجع: تذکرة الخواص لابن الجوزی ص ۶۲، وسر العالمین وکشف ما فی الدارین لأبی حامد الغزالی، ص ۲۱.

[۲۳] راجع، علی سبیل المثال: صحیح البخاری، ۷ / ۹، وصحیح مسلم، ۵ / ۷۵. وصحیح مسلم بشرح النووی، ۱۱ / ۹۵. ومسند الإمام أحمد، ۴ / ۳۵۶. وکتابنا نظریة عدالة الصحابة ص ۲۸۷. وما بعدها لتقف علی تفاصیل مواجهة شیع البطون مع النبی نفسه، ولتتأکد من حجم تأثیرها علی الأحداث.

[۲۴] راجع: سنن الدارمی، ۱ / ۱۲۵ وسنن أبی داود، ۲ / ۱۲۶، ومسند أحمد، ۲ / ۱۶۲ و ۲۰۷ و ۲۱۶، ومستدرک الحاکم، ۱ / ۱۰۵ و ۱۰۶. وجامع بیان العلم لابن عبد البر، ۱ / ۱۸۵، والکامل لابن الأثیر ۳ / ۲۴، وشرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید ۳ / ۱۰۷.

[۲۵] راجع: کنز العمال، ۱ / ۲۳۸.

[۲۶] راجع کنز العمال، ۱۱ / ۲۱۶ ومعالم الفتن، ۱ / ۴۰۶.

[۲۷] رواه الحاکم والطبرانی والبیهقی، راجع کنز العمال، ۱۱ / ۱۲۷ – ۱۲۸، ومعالم الفتن، ۱ / ۴۰۸.

[۲۸] راجع: صحیح مسلم، ۲ / ۲۷۹.

[۲۹] راجع: صحیح البخاری، ۲ / ۱۸۰.

[۳۰] رواه مسلم وابن ماجة والطبرانی، راجع: کنز العمال، ۲ / ۱۷۷، ومعالم الفتن ۱ / ۴۷۰.

[۳۱] راجع: صحیح البخاری، ۴ / ۲۳۰.

[۳۲] رواه الحاکم، وأبو نعیم، راجع: کنز العمال، ۱۱ / ۱۶۹.

[۳۳] راجع: الخصائص للنسائی، ص ۲۱ و ۹۳.

[۳۴] راجع: صحیح الترمذی، ۵ / ۳۲۸.

[۳۵] راجع: الدر المنثور للسیوطی، ۲ / ۶۰.

[۳۶] راجع: المناقب للخوارزمی الحنفی، ص ۲۳.

[۳۷] راجع: صحيح مسلم، ۲ / ۳۶۲ و ۱۵ / ۱۷۹ - ۱۸۰ بشرح النووى.

[۳۸] راجع: صحيح مسلم، ۲ / ۳۶۲ و ۱۵ / ۱۸۱ بشرح النووى.

[۳۹] الصواعق المحرقة، ص ۱۴۸.

[۴۰] راجع: ينابيع المودة للقندوزى، ص ۲۹۶.

[۴۱] راجع: بالترتيب، وعلى سبيل المثال: الرياض النضرة للطبرى، ۲ / ۲۳، وخصائص أمير المؤمنين للنسائى، ص ۲۱ و ۹۳، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ۲۴، والحاوى للفتاوى للسيوطى، ۱ / ۲۲، والبداية والنهاية لابن الأثير، ۵ / ۲۱۲، وينابيع المودة للقندوزى الحنفى، ص ۳۷.

[۴۲] راجع: صحيح البخارى، ۶ / ۲۶۴ ح ۲۷۶۹، وصحيح الترمذى، ۴ / ۴۲۴، وسنن أبى داود، ۴ / ۱۰۶ ح ۴۲۷۹، وكنز العمال، ۱۲ / ۲۴ ح ۲۳۸۶۱.

[۴۳] راجع: إثبات الوصية للمسعودى، ص ۱۹۰، وأعلام الورى بأعلام الهدى للطبرسى ص ۲۷، وسيرة الرسول وأهل بيته لمؤسسة البلاغ، ۲ / ۱۹۱.

[۴۴] راجع: ينابيع المودة للقندوزى الحنفى، ۲ / ۴۴۵، وكفاية الأثر للرازى ص ۱۹، وعيون الأخبار ص ۳۸، وسيرة الرسول وأهل بيته، ۲ / ۱۸۹.

[۴۵] راجع كفاية الأثر للقمى الرازى ص ۷، وسيرة الرسول وأهل بيته (لمؤسسة البلاغ) ۲ / ۱۹۰ - ۱۹۱، وأعلام الورى بإعلام الهدى للطبرى ص ۲۷، وكتابنا الوجيز فى الإمامة والولاية، ص ۲۱۴.

[۴۶] راجع كنز العمال، ۱ / ۱۵۲، ح ۵۲۱۰ (أخرجه الطبرانى)، والصواعق المحرقة لابن حجر، ص ۱۱۲، والمستدرك للحاكم، ۳ / ۱۶۴.

[۴۷] راجع المناقب للخوارزمى الحنفى.

[۴۸] راجع الصواعق المحرقة لابن حجر، ۱۴۸ و ۲۲۶، ومجمع الزوائد، ۹ / ۱۶۳، والدر المنثور للسيوطى ۲ / ۶۰، وكنز العمال، ۱ / ۱۶۸.

[۴۹] راجع تلخيص المستدرك للذهبى بذيل المستدرك والصواعق المحرقة لابن حجر ص ۱۸۴ و ۲۳۴، وتاريخ الخلفاء للسيوطى، والمعجم الصغير للطبرانى، ۲ / ۲۲، وحلية الأولياء لأبى نعيم ۴ / ۳۰۶، ومقتل الحسين للخوارزمى ص ۱۰۴.

[۵۰] راجع الصواعق المحرقة لابن حجر، ص ۹۱، وينابيع المودة للقندوزى ص ۲۹۸.

[۵۱] راجع الصواعق المحرقة لابن حجر، ص ۱۴۷، وينابيع المودة ص ۱۶۹ و ۳۰۷.

[۵۲] راجع الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ص ۸، ومجمع الزوائد للهيثمى، ۹ / ۱۷۲.

[۵۳] لسان العرب، مادة (شيع).

[۵۴] المصدر نفسه.

[۵۵] فى ج ۳، من كتابه الزينة.

[۵۶] راجع: معالم الفلسفة محمد جواد مغنية ص ۶۴، والتشيع والتصوف لهاشم معروف الحسنى ص ۹۷۵، وكتابنا النظام السياسى فى الإسلام ص ۲۹۹ - ۳۰۰.

[۵۷] راجع: شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبى الحديد، ۳ / ۵۹۵، تحقيق حسن تميم كما نقله عن المدائنى فى كتابه الأحداث.

[۵۸] المصدر نفسه: ۳ / ۵۹۵ - ۵۹۶.

[۵۹] المصدر السابق: ۳ / ۵۹۷.

[۶۰] راجع: تحف العقول للحرانی، حکم ومواعظ للإمام الباقر علیه السلام ص ۲۱۵.

[۶۱] راجع مروج الذهب للمسعودی، ۳ / ۱۱، ووقعة صفین لنصر بن مزاحم ص ۱۱۸ – ۱۱۹، وکتابنا المواجهة ص ۴۷۲.

[۶۲] راجع کتابینا: نظریة عدالة الصحابة، ص ۲۸۶ وما بعدها، والمواجهة مع رسول الله وآله، ص ۳۶۰ فتجد التفصیل ومئات المراجع المعتمدة عند أهل السنة.

[۶۳] راجع: أصل الشیعة وأصولها للإمام محمد حسین آل کاشف الغطاء، ص ۱۳۵ – ۱۳۶.

[۶۴] راجع: أصل الشیعة وأصولها للإمام الشیخ محمد حسین آل کاشف الغطاء، ص ۱۳۶.

[۶۵] راجع: فرق الشیعة للنوبختی ص ۳۹ و ۴۲.

[۶۶] راجع: أصل الشیعة وأصولها للإمام الشیخ محمد حسین آل کاشف الغطاء ص ۱۱۰.

[۶۷] راجع: الکامل لابن الأثیر ۳ / ۱۲۴، آخر سیرة عمر حوادث سنة ۲۳، وراجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبی الحدید ۳ / ۹۷ و ۱۰۷، کما نقلها عن تاریخ بغداد لأبی الفضل أحمد بن أبی الطاهر.

[۶۸] راجع: سنن الدارمی ۱ / ۱۲۵، وسنن أبی داود ۲ / ۱۲۶، ومسند أحمد ۲ / ۱۶۲ و ۲۰۷ و ۲۱۶، ومستدرک الحاکم ۱ / ۱۰۵ و ۱۰۶.

[۶۹] راجع: تذکرة الخواص لابن الجوزی ص ۶۲، وسر العالمین وکشف ما فی الدارین لأبی حامد الغزالی ص ۲۱.

[۷۰] راجع صحیح البخاری ۱ / ۳۷ و ۲ / ۱۳۲، و ۴ / ۳۱ و ۷ / ۹، وصحیح مسلم ۲ / ۱۶ و ۵ / ۷۵، وصحیح مسلم بشرح النووی ۱۱ / ۹۴ – ۹۵، وتاریخ الطبری ۲ / ۱۹۲، والکامل لابن الأثیر ۲ / ۳۲۰، ومسند الإمام أحمد ۱ / ۲ و ۳ / ۲۸۶.

[۷۱] راجع تذکرة الحفاظ للذهبی ۱ / ۲ – ۳.

[۷۲] راجع الطبقات لابن سعد ۵ / ۱۴۰.

[۷۳] ۵ / ۲۳۹، حدیث رقم ۴۸۶۵.

[۷۴] ۴ / ۶۱.

[۷۵] ۱ / ۲ – ۳.

[۷۶] راجع بیان العلم وفضله لابن عبد البر ۲ / ۱۴۷، وتذکرة الحفاظ للذهبی ۱ / ۴ – ۵.

[۷۷] راجع منتخب الکنز بهامش مسند الإمام أحمد ۴ / ۶۴.

[۷۸] راجع شرح النهج، ۳ / ۵۹۵ – ۵۹۷، تحقیق حسن تمیم.

[۷۹] راجع النص والاجتهاد، ص ۵۳۹ للإمام السید عبد الحسین شرف الدین.

[۸۰] راجع الإرشاد فی الکلام لإمام الحرمین الجوینی ص ۴۲۴، وشرح سنن الترمذی ۱۳ / ۲۲۹، لابن العربی، وأحکام القرآن للقرطبی ۱ / ۲۶۹ – ۲۷۲.

[۸۱] راجع الإمامة والسیاسیة لابن قتیبة ۱ / ۱۵.

[۸۲] ۲ / ۲۴۵.

[۸۳] ۱ / ۴۴، وصحیح مسلم والبخاری والبیهقی فی سننه وابن الجوزی فی سیرة عمر.

[۸۴] ۲ / ۲۵۳.

[۸۵] راجع تاریخ الطبری ۳ / ۲۰۷ وما بعدها، والإمامة والسیاسة لابن قتیبة ۱ / ۴ وما بعدها، وتاریخ الیعقوبی ۲ / ۱۰۰.

[۸۶] راجع الإمامة والسیاسة لابن قتیبة ۱ / ۲۴.

[۸۷] راجع حلیة الأولیاء لأبی نعیم ۱ / ۴۴، وذکرها البیهقی فی سننه ۸ / ۱۴۹، وابن الجوزی فی سیرة عمر.

[۸۸] راجع مروج الذهب للمسعودى ۲ / ۱۵۳.

[۸۹] راجع على سبيل المثال تاريخ الطبرى ۴ / ۵۲، وتاريخ ابن خلدون ۲ / ۸۵، وسيرة عمر لابن الجوزى وتيسير الوصول لابن الديبع ۲ / ۴۸.

[۹۰] أنظر إلى قول ابن خلدون ص ۱۷۷.

[۹۱] راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ۱ / ۱۶۷ و ۱۷۱.

[۹۲] راجع: صحيح مسلم بشرح النووى ۱۲ / ۲۲۹، وسنن البيهقى ۸ / ۱۵۸ – ۱۵۹.

[۹۳] راجع كتاب التمهيد لأبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى باب ذكر ما يوجب خلع الإمام.

[۹۴] وقد نقل ذلك ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ۳ / ۵۹۵ – ۵۹۷، عن المدائنى فى كتابه الأحداث.

[۹۵] جامع الجوامع ۶ / ۳۹۶.

[۹۶] راجع ترجمة الإمام على من تاريخ دمشق لابن عساكر ۱ / ۱۰۱ ح ۱۳۸، وتاريخ الخلفاء، ومقتل الخوارزمى ۱ / ۴۲، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش الإصابة ۳ / ۳۸، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۳ / ۲۱۹، وقد روى الطبرى فى تاريخه وتفسيره ووقائع هذا الاجتماع.

[۹۷] ۱ / ۲۸۸ – ۲۸۹.

[۹۸] ۱ / ۶۴۹.

[۹۹] ۲ / ۲۱۹، وأنساب الأشراف ۲ / ۱۵۰. وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ۲۳۰ تجد عشرات المراجع من مراجع أهل السنة.]

[۱۰۰] أورده الذهبى فى تلخيص المستدرك وصححه وذكره ابن حجر فى الصواعق المحرقة باب ۱۲ ص ۱۶ وأخرجه مسلم فى صحيحه ۲ / ۲۴ و ۳۳، والحاكم فى مستدركه ص ۱۰۹ وقال إن الإمام أحمد أخرجه وصححه، وراجع صحيح البخارى ۲ / ۵۸، ومسند أحمد ۲ / ۱۰۹، وذكره الطبرانى والبزار فى مسنده والترمذى فى صحيحه كما قال المتقى الهندى فى كنز العمال ۶ / حديث ۲۵۰۴ وأورده بن عبد البر فى أحوال على.

[۱۰۱] راجع مسند الإمام أحمد ۵ / ۲۵ بسند صحيح، والإستعياب لابن عبد البر بهامش الإصابة ۳ / ۲۸، والإصابة لابن حجر ۲ / ۵۰۹، وينابيع المودة للقندوزى ص ۵۵ و ۱۸۲، والخصائص للنسائى ص ۶۴ والمستدرك للحاكم ۳ / ۳۴ وتلخيص الذهبى بذيل المستدرك.

[۱۰۲] راجع صحيح الترمذى ۵ / ۲۹۶ ح ۳۷۹۶ وخصائص أمير المؤمنين للنسائى ص ۹۷، والمناقب للخوارزمى ص ۹۲، والإصابة لابن حجر ۲ / ۵۰۹، وحلية الأولياء لأبى نعيم ۶ / ۲۹۴، وكنز العمال ۵ / ۱۲۴.

[۱۰۳] راجع مسند الإمام أحمد ۲ / ۴۵۳ و ۵ / ۱۱۰ و ۳۴۷ و ۳۵۶ و، الصواعق المحرقة ص ۱۰۳، وكنز العمال ۶ / ۲۹۸.

[۱۰۴] راجع كنز العمال ۶ / ۳۹۷، ح ۲۵۷۵.

[۱۰۵] راجع على سبيل المثال: المعجم الصغير للطبرانى ۲ / ۸۸، والمناقب للخوارزمى ص ۲۳۵، وأسد الغابة لابن الأثير ۱ / ۲۹۶، وترجمة الإمام على من تاريخ دمشق لابن عساكر ۲ / ۲۸۵، ح ۷۸۱، وكنز العمال ۱۵ / ۱۵۷، وكتابنا المواجهة مع رسول الله وآله (القصة الكاملة) ص ۳۸۳.

[۱۰۶] يمكنك الإطلاع عليها ومعرفة مراجعها فى كتابينا: (نظرية عدالة الصحابة والمواجهة مع رسول الله وآله ص ۳۸۲ – ۳۸۵).

[۱۰۷] راجع شرح نهج البلاغة ۹ / ۱۶۹، وحلية الأولياء ۱ / ۱۳، وترجمة الإمام على من تاريخ دمشق لابن عساكر ۲ / ۲۵۹ ح ۷۸۳، ۴۸۷ ح ۱۰۱۴، والميزان للذهبى ۵ / ۶۴، والمناقب للخوارزمى ص ۴۲.

[۱۰۸] راجع سنن ابن ماجه ۱ / ۴۴، وصحيح الترمذى ۵ / ۳۰۰ ح ۳۸۰۳، وخصائص أمير المؤمنين للنسائى ص ۲۰ و ۳۳، وتذكرة

الخواص لابن الجوزی ص ۳۳۶.

[۱۰۹] راجع المستدرک ۳ / ۱۲۱ و ۱۲۸، وترجمة الإمام علی من تاریخ دمشق لابن عساکر ۲ / ۲۶۸ ح ۷۹۵، والریاض النضرة للطبری ۲ / ۲۲۰.

[۱۱۰] راجع المستدرک ۳ / ۱۴۶، والریاض النضرة للطبری ۲ / ۲۲۰، والمیزان للذهبی ۲ / ۱۸ وترجمة الإمام علی من تاریخ دمشق لابن عساکر ۲ / ۲۶۸ - ۲۷۰ ح ۷۹۶.

[۱۱۱] وقد وثقنا ذلک فی الفصل السابق، فارجع إلیه، وانظر أیضاً کتابنا: المواجهة تجد التوضیح الکامل.

[۱۱۲] راجع تاریخ بغداد ص ۲۹۰، والدر المنثور للسیوطی ۲ / ۲۵۹، وتذکرة الخواص لابن الجوزی ص ۳۰، وتفسیر ابن کثیر ۲ / ۱۴، ومقتل الحسین للخوارزمی ص ۱۱۵، وکتاب الولایة لابن جریر الطبری، وکتاب الولایة لأبی سعید السجستانی وتاریخ ابن کثیر ۵ / ۲۱۰، والبدایة والنهایة لابن الأثیر ۵ / ۲۱۳.

[۱۱۳] راجع ترجمة الإمام علی من تاریخ دمشق لابن عساکر ۲ / ۷۵ ح ۵۷۷ ومناقب علی لابن المغازلی الشافعی ص ۱۸ و ۲۴ والمناقب للخوارزمی الحنفی ص ۹۴، وتاریخ بغداد للخطیب البغدادی ۸ / ۲۹۰، وشواهد التنزیل للحسکانی الحنفی ۱ / ۱۵۸، وسر العالمین وکشف ما فی الدارین لأبی حامد الغزالی ص ۲۱، وکتابنا المواجهة مع رسول الله وآله (القصة الکاملة) ص ۴۲۸.

[۱۱۴] راجع مسند الإمام أحمد ۴ / ۲۸۱، والفصول المهمة لابن الصباغ المالکی ص ۲۴ والحاوی للفتاوی للسیوطی ۱ / ۱۲۲، ودخائر العقبی للطبری ص ۶۷ وفضائل الخمسة للفیروز آبادی ۱ / ۳۵۰، وتاریخ الإسلام للذهبی ۲ / ۱۹۷، وتفسیر الفخر الرازی ۳ / ۶۳، وتذکرة الخواص لا بن الجوزی ص ۲۹، وترجمة الإمام علی من تاریخ دمشق لابن عساکر ۲ / ۵۰ ح ۵۵۰ و ۵۵۱ و ۵۵۲.

[۱۱۵] راجع إثبات الوصیة للمسعودی ص ۱۹۰، وإعلام الوری بأعلام الهدی للطبرسی وسیرة الرسول وأهل بیته لمؤسسة البلاغ ۲ / ۱۹۱.

[۱۱۶] راجع: ینابیع المودة للقندوزی الحنفی ۲ / ۴۴۵، وکمال الدین للصدوق ص ۱۵۷، وسیرة الرسول وأهل بیته ۲ / ۱۸۹.

[۱۱۷] راجع ینابیع المودة للقندوزی الحنفی ۲ / ۴۴۵، وکفایة الأثر للقمی الرازی ص ۱۹، وکمال الدین للصدوق ص ۱۶۳، وعیون الأخبار ص ۳۸، وسیرة الرسول وأهل بیته ۲ / ۱۸۹.

[۱۱۸] راجع کفایة الأثر للقمی الرازی ص ۷، وسیرة الرسول وأهل بیته ۲ / ۱۹۰ - ۱۹۱، وإعلام الوری بأعلام الهدی للطبرسی ص ۲۷.

[۱۱۹] راجع مقدمة ابن خلدون ص ۱۷۷.

[۱۲۰] راجع کنز العمال ۱ / ۱۵۲ ح ۵۲۱۰ وقد أخرجه الطبرانی وهو الحدیث ۲۲ من أحادیث ابن حجر فی الفصل الثانی من الصواعق المحرقة ص ۱۱۲، وراجع المستدرک للحاکم ۳ / ۱۶۴ والمناقب للخوارزمی.

[۱۲۱] راجع: الکامل لابن الأثیر ۳ / ۲۴، وشرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید ۳ / ۱۰۷ و ۱۲ / ۵۳ - ۵۴، تحقیق أبی الفضل نقلاً عن تاریخ بغداد.

[۱۲۲] فی کنز العمال ۲ / ۵۷۱ - ۵۷۲ ح ۴۷۵۱ عن ابن حیان فی صحیحه، وعن الدار قطنی فی سننه، وعن أحمد بن حنبل فی مسنده، وعن البخاری ومسلم فی صحیحهما وعن الترمذی فی سننه.

[۱۲۳] راجع کنز العمال ۲ / ۵۷۳ - ۵۷۴، وصحیح البخاری ۶ / ۴۸ باب جمع القرآن ح ۴۷۵۱.

[۱۲۴] راجع کنز العمال ۲ / ۵۷۸ (ح ۴۷۶۷) و ۵۸۱ (ح ۴۷۷۵) و ۵۸۲ - ۵۸۳ (ح ۴۷۷۶) و ۵۸۷ (ح ۴۷۸۹) و ۵۸۹ (ح ۴۷۹۶) - مؤسسة الرسالة بیروت ۱۴۱۳ ه - ۱۹۹۳ م، وراجع أیضاً (اعتمده صاحب کنز العمال) صحیح البخاری ۶ / ۲۲۶ - باب جمع القرآن - وجامع الأصول ۲ / ۵۰۳ رقم ۹۷۵، والترمذی - کتاب التفسیر رقم (۳۱۰۳)، وابن الأنباری فی المصاحف.

[۱۲۵] راجع كنز العمال ۲ / ۵۷۱ – ۵۷۲ ح ۴۷۵۱ كما نقله عن صحيح البخارى ۶ / ۲۲۵ – باب جمع القرآن – والترمذى – كتاب التفسير رقم ۳۱۰۲، وجامع الأصول ۲ / ۵۰۱.

[۱۲۶] راجع كنز العمال ۲ / ۵۷۳ ح ۴۷۵۱ كما نقله عن ابن داود، وروى مثل هذه الرواية عن ابن سعد والحاكم راجع الحديث ۴۷۵۶.

[۱۲۷] راجع كنز العمال ۲ / ۵۷۴ – ۵۷۵ ح ۴۷۵۹.

[۱۲۸] راجع المصدر السابق، وكتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية ص ۵۴.

[۱۲۹] راجع كنز العمال ۲ / ۵۷۶ – ۵۷۷ ح ۴۷۶۴، ط مؤسسة الرسالة بيروت.

[۱۳۰] راجع كنز العمال ۲ / ۵۷۸ ح ۴۷۶۶.

[۱۳۱] الاتقان ص ۶۳.

[۱۳۲] أخرجه ابن سعد، راجع تاريخ الخلفاء ص ۱۸۵، على سبيل المثال.

[۱۳۳] راجع كتابنا الخطط السياسية ص ۵۵، وما بعدها.

[۱۳۴] راجع منتخب الكنز ۲ / ۵۲. حتى البخارى روى فى صحيحة ۲ / ۲۰۲ أن أنس بن ما لك: قال جمع القرآن على عهد رسول الله أربعة، كلهم من الأنصار.

[۱۳۵] راجع المستدرك للحاكم ۲ / ۲۱۱.

[۱۳۶] راجع صحيح مسلم ۳ / ۱۰۰ باب لو كان لابن آدم واديين، كتاب الزكاة، واقرأ الحديث الذى يروونه عن أبى موسى الأشعرى، وراجع الدر المنثور للسيوطى ۱ / ۱۰۵ و ۶ / ۳۷۸ والاتقان فى علوم القرآن ۲ / ۲۵، وكتابنا الخطط السياسية ص ۷۲، البيان فى تفسير القرآن للإمام الخوئى ص ۲۳۹ – ۲۵۹.

[۱۳۷] راجع آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوى ص ۱۵۰ – ۳۱۴.

[۱۳۸] راجع كتاب الاعتقاد ص ۶۳.

[۱۳۹] راجع آراء علماء المسلمين للسيد الرضوى ص ۱۶۱ – ۱۶۲.

[۱۴۰] راجع الفصول المهمة فى تأليف الأمة للعاملى ص ۱۶۳ وآراء علماء المسلمين للسيد الرضوى ص ۱۶۹ وكتابنا الخطط السياسية ص ۸۶ وما بعدها.

[۱۴۱] راجع أوائل المقالات فى المذاهب المختارات للشيخ المفيد ص ۶۸.

[۱۴۲] راجع شرح عقائد الصدوق ص ۲۳۶.

[۱۴۳] المصدر نفسه، ص ۲۳۷.

[۱۴۴] ۳ / ۲۰۷.

[۱۴۵] فى سنن أبى داود ۲ / ۱۲۶، وسنن الدارمى ۱ / ۱۲۵، مسند أحمد ۲ / ۱۶۲ و ۲۰۷ و ۲۱۶، ومستدرك الحاكم ۱ / ۱۰۵ و ۱۰۶، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ۱ / ۸۵.

[۱۴۶] المصدر نفسه.

[۱۴۷] راجع تذكرة الحفاظ للذهبى ۱ / ۲ – ۳.

[۱۴۸] راجع كتابنا المواجهة مع رسول الله وآله (القصة الكاملة)، وكتابنا الإمامة والولاية.

[۱۴۹] راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة.

[۱۵۰] وثقنا ذلك فى كتابينا المواجهة مع رسول الله وآله (القصة الكاملة)، والوجيز فى الإمامة والولاية.

[۱۵۱] راجع أصول الكافى لمحمد بن يعقوب الكلينى ۱ / ۵۹ ح ۱.

[۱۵۲] المصدر السابق ۱۰ / ۶۲.

[۱۵۳] راجع الفتاوى الواضحة للسيد الشهيد محمد باقر الصدر ص ۹۸، والتشيع لهاشم الموسوى ص ۲۷۵ – ۲۷۶.

[۱۵۴] راجع التشيع لهاشم الموسوى ص ۲۷۵ – ۲۷۶.

[۱۵۵] راجع أعيان الشيعة، المجلد الأول ص ۶۶۴.

[۱۵۶] راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ۱۱ تجد التفصيل الموثق.

[۱۵۷] المصدر نفسه.

[۱۵۸] راجع الطبقات لابن سعد ۲ / ۶۵.

[۱۵۹] راجع المغازى للواقدى ۳ / ۱۰۴۴ طبعة مؤسسة الأعلمى.

[۱۶۰] راجع الكامل لابن الأثير ۳ / ۲۴، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۳ / ۱۰۷ و ۱۲ / ۵۳ – ۵۴.

[۱۶۱] راجع سنن الدارمى ۱ / ۱۲۵، وسنن أبى داود ۲ / ۱۲۶، ومسند أحمد ۲ / ۱۶۲ و ۲۰۷ و ۲۱۶، ومستدرك الحاكم ۱ / ۱۰۵ و ۱۰۶.

[۱۶۲] راجع صحيح البخارى ۴ / ۳۱ و ۷ / ۹، ۱ / ۳۷، و ۲ / ۱۳۲، وصحيح مسلم ۲ / ۱۶ و ۵ / ۷۵، وصحيح مسلم بشرح النووى ۱۱ / ۹۴ – ۹۵، تاريخ الطبرى ۲ / ۱۹۲.

[۱۶۳] راجع التفصيل والمراجع فى مبحث (الإمامة أو الولاية أو القيادة من بعد النبى) من هذا الكتاب.

[۱۶۴] راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ۲۸۶ وما بعدها تجد التفصيل والمراجع.

[۱۶۵] راجع صحيح بخارى فى كتاب الذبائح باب ما ذبح على النصب والأصنام ۳ / ۲۰۷.

[۱۶۶] راجع كتابنا المواجهة مع رسول الله وآله (القصة الكاملة) تجد التفصيل الكامل الموثق.

[۱۶۷] وقد وثقنا ذلك راجع على سبيل المثال (كتابنا نظرية عدالة الصحابة) ص ۲۸۶، وما بعدها.

[۱۶۸] راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ۱۳ وما بعدها. تجد التفصيل والمراجع.

[۱۶۹] راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبى الحديد ۳ / ۹۷ تحقيق حسن تميم.

[۱۷۰] راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبى الحديد: ۳ / ۵۹۶.

[۱۷۱] راجع سنن أبى داود ۴ / ۲۰۹ ح ۴۶۴۱، ومعالم الفتن لسعيد أيوب ۲ / ۳۳۴.

[۱۷۲] راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ۱۲ وما بعدها لتجد المراجع والتفصيل.

[۱۷۳] راجع شرح نهج البلاغة ۳ / ۵۹۵ – ۵۹۷، تحقيق حسن تميم وادرس مراسيم معاوية الملكية.

[۱۷۴] راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ۲۰ تجد التفصيل والمراجع.

[۱۷۵] راجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ۵۵ وما بعدها.

[۱۷۶] راجع كتاب الكبائر للذهبى ص ۲۳۸، وكتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ۲۱.

[۱۷۷] راجع نظرية عدالة الصحابة ص ۵ وما بعدها، واقرأ نقضنا العلمى لهذه النظرية.

[۱۷۸] راجع الصحيفة السجادية للإمام على بن الحسين زين العابدين، من دعائه فى الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم (الدعاء الرابع) وراجع كتابنا نظرية عدالة الصحابة ص ۵۹ – ۶۲.

[۱۷۹] راجع كتابنا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية ص ۴۹۷، وما بعدها تجد المثالب التى ذكرها الإمام على.

[۱۸۰] راجع سورة آل عمران آية ۲۸، وسورة غافر آية ۲۸، وسورة النحل آية ۱۰۶.

[۱۸۱] راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ۱۰ / ۱۱۹.

[۱۸۲] راجع تفسير الرازى ۸ / ۱۳، وتفسير الزمخشرى / الكشاف ۱ / ۴۲۲، وتفسير غرائب القرآن للنيسابورى ۳ / ۱۷۸، بهامش تفسير الطبرى، وتفسير الخازن ۱ / ۱۷۷، وتفسير النسفى بهامش تفسير الخازن ۱ / ۲۷۷، وتفسير السراج المنير ۲ / ۲۶۳، وروح البيان لإسماعيل حقى ۵ / ۸۴، وجامع البيان للطبرى ۳ / ۱۵۳، وتفسير القرطبى ۴ / ۵۷، وتفسير المراغى ۳ / ۱۳۶، وتفسير القاسمى.

[۱۸۳] راجع تفسير المراغى ۳ / ۱۳۶.

[۱۸۴] راجع شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد تحقيق حسن تميم ۳ / ۵۹۶.

[۱۸۵] راجع كتابنا المواجهة ص ۶۳۳.

[۱۸۶] راجع التفسير الكبير للفخر الرازى (سورة النساء، الآية: ۲۴) القائلون بإباحة المتعة – استدلال الحجة الأولى.

[۱۸۷] راجع صحيح مسلم فى باب المتعة بالحج.

[۱۸۸] راجع مسند أحمد بن حنبل ۱ / ۵۲.

[۱۸۹] راجع مسند الإمام أحمد ۲ / ۹۵.

[۱۹۰] راجع صحيح الترمذى، كتاب النكاح.

[۱۹۱] راجع تفسير آية المتعة فى تفسيرى الطبرى والثعالبى.

[۱۹۲] راجع على سبيل المثال المغازى للواقدى، صلح الحديبية، وراجع كتابنا المواجهة تجد العشرات من أمثال هذه المواقف التى تتسم بالجرأة على الله ورسوله.

[۱۹۳] وقد وثقنا هذه الحادثة العجيبة فى كتابنا (نظرية عدالة الصحابة) ص ۲۸۶ وما بعدها، وفى كتابنا المواجهة.

[۱۹۴] راجع صحيح مسلم ۱ / ۴۶۷، و ۴ / ۱۳۱ (نكاح المتعة) ومسند أحمد بن حنبل ۱ / ۵۲، وراجع الأحاديث التى أوردناه مسبقاً تحت عنوان (الخليفة ألغى هذا الشرع).

[۱۹۵] راجع صحيح مسلم باب نكاح المتعة ۴ / ۱۳۱، وما بعدها، وباب المتعة بالحج والعمرة وسنن البيهقى باب نكاح المتعة ۷ / ۲۰۶، ومسند الطيالسى ۸ / ۲۴۷.

[۱۹۶] وقد ثبتنا ذلك ووثقنا فى كتابنا (المواجهة) ويمكن الرجوع إليه للوقوف على التفصيل والمراجع.

[۱۹۷] راجع كتابينا الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية، والمواجهة مع رسول الله وآله (القصة الكاملة) تجد التفصيل والمراجع.

[۱۹۸] راجع أعيان الشيعة ۳ / ۳۴.

[۱۹۹] راجع أصول الكافى لمحمد بن يعقوب الكلينى ۱ / ۵۱.

[۲۰۰] المصدر نفسه ۱ / ۶۲.

[۲۰۱] وقد وثقنا ذلك فى كتبنا وفصلناه: نظرية عدالة الصحابة والمواجهة، والخطط السياسية.

[۲۰۲] وقد وثقنا ذلك فى كتابينا المواجهة، ونظرية عدالة الصحابة.

[۲۰۳] وقد وثقنا ذلك كتاباً المواجهة وفصلناه.

[۲۰۴] وقد وثقت كل ذلك بشهادات علماء أهل السنة الأكابر فى كتابنا المواجهة فارجع إليه إن شئت.

[۲۰۵] وقد وثقنا ذلك كله فى كتابنا المواجهة فارجع إليه.

[۲۰۶] مقدمة ابن خلدون، بيروت الأعلمى، ص ۴۴۶.

[۲۰۷] راجع المغازى للواقدى – صلح الحديبية، وكتابنا المواجهة.

[۲۰۸] وقد وثقنا ذلك فى كتابنا المواجهة.

[۲۰۹] راجع أبا حنيفة للشيخ أبى زهرة ص ۳۰۴، والإمام زيد لأبى زهرة ص ۴۱۸.

[۲۱۰] راجع المدخل إلى علم أصول الفقه للدواليبى.

[۲۱۱] وقد عالجنا ذلك بتوسع فى كتابنا نظرية عدالة الصحابة فارجع إليه إن شئت.

[۲۱۲] وقد وثقنا ذلك فى كتابنا المواجهة.

[۲۱۳] راجع الكامل لابن الأثير ۳ / ۲۴، سيرة عمر من حوادث سنة ۲۳ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ۳ / ۹۷ و ۱۰۵ و ۱۰۷، كما نقلها عن الإمام أحمد بن حنبل أبى الطاهر فى تاريخ بغداد بسنده المعتبر عن ابن عباس.

[۲۱۴] راجع كتابنا الخطط السياسية ص ۱۷۰ - ۱۷۱.

[۲۱۵] فى الصواعق المحرقة ص ۳۰.

[۲۱۶] راجع الصارم المسلول لابن تيمية ص ۵۷۵، نقلاً عن القاضى (أبو يعلى).

[۲۱۷] راجع سنن الدارمى ۱ / ۱۲۵، وسنن أبى داود ۲ / ۱۲۶، ومسند الإمام أحمد ۲ / ۱۶۲ و ۲۰۷ و ۲۱۶، ومستدرك للحاكم ۱ / ۱۰۵ و ۱۰۶، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ۱ / ۸۵، وكتابنا المواجهة ص ۲۵۳ - ۲۵۴.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبيّة، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹